صوصافيون

وريث الصوصاف

رواية

محمد جمال




بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND

الطبعة الأولى

الإهداء

إلى أعز ما أملك..

زوجتي/حصه بودستور

أصبحت هذه الإهداءات عادة مقدسة بالنسبة لي، فأنا أتبارك بحروف إسمكِ، ولا أتمنى سوى أن تبقى هذه العادة إلى أن يشيب بنا العمر، ويجف قلمي عن الكتابة.

عزيزتي وملهمتي... هذا الإصدار لكِ

محمد جمال

رسالة إلى جميع المؤلفين في العالم

ما أجمل القراءة، كتاب تحمله بين طيات يدك، تعيش معه رحلة جميلة، غالباً لا تريدها أن تنتهي، ولكن ما أصعب الكتابة، وما أقسى المراحل التي يمر بها الكاتب لكي يخرج عمله إلى النور.

خلال العشرة سنوات الماضية أصبحت متيقناً بأن الكتابة أعطتني أشياء لم أحلم بها، ولكنها أخذت مني الكثير، وجعلتني انسان مختلف، وهذا الشعور يعيشه غالب المؤلفين الموجودين في العالم، التفكير، الألم، قلة النوم، المجهود، الإنعزال التام عن الأصدقاء والعالم، التحدي الدائم والإصرار لكي يكون الكتاب جميلاً وناجح، الكتابة جعلتني أعيش حالات نفسية مخيفة جداً، أصابتني بنوبات هلع تأتي لي في الليل وتشعرني بشعور الموت والخوف. هذه الرسالة لم أكتبها للإستعطاف ولكني أريد أن أوصلها لجميع من يقول بأنها مهنة سهلة للغاية! الكتابة كالموت الممتع البطيء، وكالعالم الساحر المهيب، تستمتع بحلاوته، ولكنك تعاني كثيراً في تفاصيله.

إذن...شكراً لجميع مؤلفين العالم، شكراً على وقتكم وابداعكم المستمر، وشكراً لك يا عزيزي القارىء لأنك متمسكاً بالكتاب وتقرأ، شكراً لأنك تقف مع مؤلفين العالم.

عزيزي الصوصافي...

أهلاً بك! هل مررتَ من قبل بتجارب صوصافية في إصداراتي السابقة؟ إن كانت إجابتك بنعم

فأنتَ سوف تعرف جميع المعلومات الروحانية السابقة، ولكن بشكل مفصل ودقيق

وإن كنتَ - متصوصفاً- جديداً

فأريدكَ أن تبحر وتستمتع في عالمٍ حقيقي، وتوجد به العديد من الغرائب والعجائب التي لن يصدِّقها عقلك البشري!

همسة بسيطة...

لربما أحد أصدقائك، أو فرداً من عائلتك، ينتمي إلى عالم الصوصافيين.

تكبَّر الظالم على الناس وزادَ جبروته

ولم يعلم بأنّ لكل بداية.. نهاية!

المقدمة

المكان: جنة الصوصافيين

الزمان: غير معروف

مدينة ساحليّة تمتاز بسحرها الخلاب، وكأنّها جنة على سطح الأرض، تحفة فنية ربانية بخلطةٍ بديعةٍ لا مثيل لها.

سمّيت بهذا الاسم منذ سنوات طويلة، اشتهرت بولادة أشهر الصوصافيين على وجه الأرض، وكأنه قد كُتب عليهم أن يستوطنوا هذه الأرض وينبع منها سحرهم السري.

مرت بهم السنوات وتزوجوا وأنجبوا، بل ورأوا أحفادهم يخطون أول خطواتهم... نعم! لقد مرّ وقتٌ طويلٌ وهم يسكنون هذا المكان.

أعدادٌ مهولة قد قطعوا مسافات كبيرة لكي يقابلوا شيوخ الصوصافيين ويتعلموا منهم أصول الروحانيات، ليتفاخروا طيلة حياتهم بأنهم قد تتلمذوا على أيادي كبراء الصوصافيين.

إن وصفنا هذه الأرض بالجنة فهي كذلك، فصفاء بحرها يسحر العيون، وخضار أشجارها تفتن العقل، وقطرات المطر المتساقطة بين الحين والآخر تطهر الجسد من الذنوب، وكأن هذه الأرض قد تباركت بوجود أخيار جماعة الصوصافيين فيها.

أبناء البلدة بسطاء جداً، تفاصيل أيامهم لا تتغير أبداً. مع شروق الشمس وبعد الانتهاء من صلاة الفجر، منهم من يذهب إلى عمله، ومنهم من يفتح متجره، فتهب الحياة في الأسواق، وتتعالى الضحكات، وينتشر مرح الأطفال في كل مكان.

وفي الفترة المسائية تُقام العديد من الندوات والدروس الصوصافية، فعلم الروحانيات والأذكار العلوية كانت تُدرس وتُعلم للجميع منذ الصغر.

جميع الناس يسكنون في منتصف المدينة، منازلهم متقاربة جداً، كل واحدٍ فيهم كان جاراً للآخر.

وفي تمام العاشرة مساءً، تتصاعد أدخنة البخور الروحانية الملونة من جميع منازل الصوصافيين، فتتزين السماء

بسحابات برتقالية اللون، و قرمزية، وزرقاء، وبيضاء. جميعهم يتلون ويرددون أورادهم الروحانية الصوصافية (1)، ولا تخلو جلسات الخلوة من البخور، فهو الشيء الأساسي وهمزة الوصل بين الصوصافي والملوك العلويين، هو باختصار العطر النقي الذي يعشقه الجن، سواءً أكانوا علويين أم سفليين.

يوجد احترام كبير بين مجموعة كبيرة من أبناء البلدة، الذين يسلكون طريق الروحانيات العلوية، والذين يصونون عهد الصوصافيين، ويسعون طوال حياتهم لكشف المزيد من الأسرار الدنيوية، والتمتع بنعم كنوز المعرفة والعلم.

وهناك مجموعة صغيرة أُخرى تسخط من مسمّى وعلم الصوصافيين، وهم الفئة التي تعشق العالم السفلي، طريق الضياع! الممتلىء بملذات إبليس الكبير، وهذا الكره الشديد طبيعي جداً، فالملاك لا يجتمع مع الشيطان أبداً.

ملوك الجن العلويين دائماً ما يحومون حول هذه البلدة، وبين زوايا جدران الصوصافيين أجمعين، يشاركونهم أسرارهم وكنوزهم، التي إن خرجت لشخص عادي، فسوف يجنّ عقله من كمية العجائب والغرائب الموجودة على هذه الأرض، فالصوصافيون يؤمنون بأن الناس خلقوا لكي يتعبدوا الرب ويعمروا الأرض، ولكن أيضاً للعوم في بحيرات العالم الثري جداً بأسرار الروحانيات. ففي ذاك الزمان كان الصوصافي يقول بأن بلدة جنة الصوصافيين هي أرضي، والمكان مكاني، ومن قوة إيمانهم وعلمهم، لم يتجرأ الشيطان الرجيم ولا أعوانه على العيش على هذه الأرض المباركة.

الصوصافيون هم جماعة تمّ تأسيسها منذ قديم الأزل وأُطلق عليهم اسم (صوصافيون). كان شعارهم التقوى والصلاح. حوربت من جميع الأديان والمذاهب، ذنبهم الوحيد هو اكتشافهم لعالم مخفي عن البشر، عالم مقارب للعالم البشري، ولكن فيه شيء غريب كالسحر! ومفعول سحره لا يعمل إلا بشروط.

استطاعوا أن يفكوا رموز علم محير! يعتمد على الأرقام

والكلمات، وأثبتوا أنّ هناك أسرارًا كونية من الممكن أن يجن منها العقل البشري!

إذا كانت هناك دولتان تفصل بينهما بحيرة، فمن السهل جدًا أن نضع جسرًا يربط بينهما وبهذا يمكننا التنقل عبرهما بسهولة.

ولكن لو كنا نريد أن نبني جسرًا بين العالم الإنسي وعالم الجن؟ فممّ سوف يتكون هذا الجسر؟

هذا السؤال الصوصافيون تمكنوا من الإجابة عنه، واكشفوا عالمًا مخفيًا فيه الكثير من الغرائب والعجائب.

اختلف العلماء حول نشأة هذه الجماعة وأهدافها ومسلك طريقها، بل احتاروا في عقيدة أتباعها وإيمانهم، والبعض يجهلون بأن الصوصافيين يحملون جيشاً مختلفاً من جميع الأديان.

بلدة جنة الصوصافيين كانت تعيش في نعيم روحاني، ولكن دوام الحال من المحال! لم يعلموا بأن حياتهم سوف تنقلب رأساً على عقب! وأن اسم الصوصافيين سوف يحارب تحت مسمى "السحر الأسود " و "حزب الشيطان " وسوف تطالهم اتهامات عدة، من بشر يعشقون العالم السفلي، ويهابون من العالم العلوي، وسيجمعون جميع طاقاتهم ونفوذهم لكي يقضوا على كل شخص يفتخر بأنه صوصافي.

---

(1) الأوراد الصوصافية: هي أذكار روحانية بها أسرار كونية، وقد انقسمت إلى العديد من الأوراد حسب المدارس الصوصافية، فكل صوصافي يتبع أوراد معلمه الذي أسّس مدرسة خاصة به في هذا العلم.

-1-

جمعينا لدينا آراؤنا ونظرياتنا حول حياتنا، والجميع أصبحوا يتكلمون في السياسة والدين و الاقتصاد والفن، وكأنهم يفقهون بأمور الدنيا بأكملها، ومن أكبر الأخطاء أن نُدخل السياسة في الدين، أو الرياضة في الغناء. من المعيب أن نربط شيئاً بشيء آخر، ولكن هذه كانت من أشهر وأقوى الطرق السياسية التي تُدرّس عبر التاريخ، إذا كانت أهداف عدوك هي إسقاطك، وإزاحتك عن عرشك الذهبي.

منذ سنوات والصوصافيون يُحاربون من قبل جهات مختلفة، هدفها هدم جميع المعتقدات الروحانية العلوية الكبيرة، أصبح الساحر يُقارن بالصوصافي! وبدأت سمعة الصوصافيين بالانحدار! فاليوم لم نعد نعلم من هو الرجل التقي، ومن هو صاحب الشيطان.

كان كل شيء يسير في الطريق الصحيح في بلدة جنة الصوصافيين، حتى صدر قانونٌ سياسي بإعادة تدوير جميع المناصب الحكومية في البلدة، جاءت هذه الخطوة بعد مطالبات كثيرة من الآخرين القاطنين في البلدة، الذين لا يسلكون طريق الصوصافيين، ويعشقون العالم السفلي، كانوا متيقنين بأنهم لا يستطيعون هزيمة الصوصافيين العلويين، خاصتاً من خلال خدّامهم السفليين من الجن، ففكروا في الورقة السياسية التي ستنجيهم من احتكار الصوصافيين لهذه الأرض، وهذه الجماعة كان أفرادها يُسيرون من قبل ساحرهم الكبير السيد - آمون - .

عبّروا للجهات السياسية بأنهم لا يشعرون بالأمان بوجود السحرة بينهم... نعم! لقد اتهموا الصوصافيين بأنهم يعلّمون أبناءهم السحر الأسود، لقد رأوا بأن هذه الخطوة قادرة على الإطاحة بالصوصافيين، فلوا وُضعت القوانين الصارمة، وتم تخويف الناس بالغرامات والحبس، فسيخافون على بيوتهم وعائلاتهم. و بين بيوم وليلة انقلبت الأحوال في بلدة الصوصافيين، ولم يتوقعوا قط بأنهم سوف يدخلون في

مواجهات مباشرة مع جهات حكومية تريد إقصاء هذا العالم العلوي.

تشكلت حكومة جديدة، ومن غرائب الأمور بأن الساحر السيد -آمون - تم تنصيبه عمدة للبلدة، وبهذا الشكل سوف يكون صاحب القرار الثاني بعد حاكم البلدة الجديد.

كان كل شيء يسير وفق مخطط شيطاني سياسي، من الممكن على المحنكين أن يجعلوك تكسب الجولة الأُولى، ولكن ثق تماماً بأنهم متأكدون من سقوطك في آخر المبارزة.

طاولة كبيرة مصنوعة من الجلد، كراسٍ فاخرة، دروعٌ و صورٌ تذكارية لرموز سياسية، أعلامٌ وطنية منتشرة في جميع زوايا المكان.

صحافة المدينة موجودة بكثافة، لكي ينقلوا للعالم أول تصريح للحكومة الجديدة بخصوص العقوبات الصارمة التي ستنزل بحق كل بيتٍ صوصافي.

يترأس الاجتماع السيد - أوناس - حاكم المدينة الجديدة، وهو يجلس على كرسيه الأسود اللماع، رجل قصير القامة، بياض وجهه يميل إلى اللون الثلجي، رأسه يدل على بداية دخوله في مرحلة الصلع، إنه ذو عينين زرقاوين تسكنان خلف نظارته الطبية السميكة، يلبس بدلة سوداء اللون، ذات قماش يدل على قيمتها الباهظة.

يقف خلفه السيد - آمون - رئيس حزب السحرة السفليين، صاحب البشرة السمراء، والطول الفارع، والشعر الأسود الليلي الغزير، ذو النظرات الثاقبة المرعبة، يملك شفتين تميلان إلى اللون الأسود، أسنانه بيضاء كاللؤلؤ، مشعة ومبهرة لعيون الناظرين، عيناه تراقبان جميع الحضور والمكان، وكأنه لا يريد أن تواجهه أية مشكلات.

هناك عدد كبير من الوزراء الموجودين على الطاولة، جميعهم اليوم يتوجب حضورهم لكي تكون صور وجوههم موجودة في جرائد الغد، إنهم يشهدون نهضة في أرض جنة الصوصافيين، عهد جديد كما يسمونه، ويعلمون تمام الثقة بأن أي قرار

سوف يصدر من قبلهم، لن يعترض عليه أحد، فهل هناك عاقلٌ يستطيع أن يعترض على القيادة السياسية؟

نهض السيد -أوناس- من كرسيه، فبدأت كاميرات الصحافة بتصويره، عمّت المكان إضاءة الكاميرات، لدرجه أن السيد -أوناس- شعر بعدم الراحة بسبب تأثر عيونه منها.

أمسك بالمكيرفون، تنحنح قليلاً، ومن ثم قال بصوتٍ جهوريٍّ:

"مساء الخير يا شعب هذه البلدة العظيمة، نعقد حالياً هذا المؤتمر العاجل، لنكشف خطط ورؤية الحكومة الجديدة. يشرفني كثيراً أنني سأحمل على عاتقي هذا الحمل الكبير والسياسي، أشعر بالمسؤولية الكبيرة عندما تمّ اختياري حاكماً جديداً لهذه الأرض المباركة، وأعدكم بأنني لن أخيب ظنكم أبداً."

مع كل حرف يخرج من فم السيد - أوناس - كان الساحر السيد - آمون - يبتسم بفرحة كبيرة، وكأن مخططه ذاهبٌ في الطريق الصحيح. أكملَ السيد - أوناس - خطابه قائلاً:

"لا أحد فينا يستطيع أن يستعمر أية أرض ويطلق عليها مسمى خاص به، فأول قرار سوف نطلقه هو تغيير اسم هذه البلدة من جنة الصوصافيين إلى أرض الجنة، لأننا جميعنا نتشارك هذه البلدة، رغم اختلاف معتقداتنا وتفكيرنا بل وحتى ديننا، تعلمنا منذ صغرنا أن نحترم جميع الأفكار، ولا نريد أن نظلم أحداً في هذه البلدة، فمن غير الإنصاف أن يُطلق عليها أرض جنة الصوصافيين، وهناك أناسٌ لا يريدون السير على خطا الروحانيين الصوصافيين، لذا بعد اجتماعات كثيرة، و حلولٍ عديدة رأينا بأنها مناسبة للجميع، سيتغير اسم هذه البلدة منذ هذه اللحظة... هل هناك أي سؤال من السادة الصحفيين حول هذه النقطة؟".

رفع أحد الصحفيين يده، وهو يعدل من نظارته الكبيرة المنزلقة على أنفه بين الحين والآخر، فأمر له حاكم المدينة بالسؤال:

"سيدي الحاكم... أنت ستغير اسم مدينة عُرف عنها بجنة الصوصافيين منذ سنوات طويلة، والجميع يعلم بأن سكانها أغلبهم من الصوصافيين، ألا تظنون بأنكم سوف تواجهون غضباً كبيراً منهم؟ وهذا الغضب باستطاعته أن يتحول إلى مظاهرات وأعمال شغب؟".

أخذ السيد - أوناس - نفساً عميقاً وكأنه يعلم بأنّ كلام الصحفي صحيحاً لا مجال للشك فيه:

"الصوصافيون قد سكنوا هذه المدينة منذ سنوات عديدة، ولكن لا يوجد ميثاقٌ أو قانون يجبر العالم على السير في التيار الروحاني أو كما يسمونه بالصوصافي، وأنت تتكلم عن مجموعة من الناس قد عُرفوا بالحكمة والعلم، ولا أظن بأنهم سوف يسببون لنا المشاكل، بل أنا متأكد بأنهم سوف يضعون أياديهم بأيدينا".

قرّر السيد - آمون - أن يثبت حضوره بين الجميع، فوقف بجانب السيد -أوناس- ودون استئذان أمسك بالميكروفون قائلاً بنبرة جادة وغامضة:

"هذه البلدة للجميع، ولا يحق للصوصافيين أن يعترضوا على شيء أبداً".

رمقه السيد - أوناس- بنظرة معاتبة، وكأنه يقول له:"من أعطاك الحق في التدخل بحواري؟".

شعر السيد - آمون - باندافعه، فرجع إلى مكانه وأنزل عيونه نحو الأرض.

عدّلَ السيد - أوناس - ربطة عنقه، وظهرت علامات الغضب على وجهه المحمر، فقال:

"دعونا نستكمل باقي القوانين في بلدتنا الجديدة. وصلت إلينا العديد من الشكاوي من أبناء البلدة بخصوص وجود الصوصافيين وطقوسهم المزعجة للبعض، وأنا اليوم و بحكم منصبي الحالي، أعلن بأن عالم الروحانيات الصوصافي ممنوع تماماً في بلدة أرض الجنة، أي صوصافي سوف يُمسك متلبساً وهو يقوم بطقوسهم المعتادة سوف يُعاقب! لن يوجد بعد الآن

دروسٌ روحانية، ولا خلوات صوصافية، ولا نريد أن نرى أي بخور ينتشر في أجواء مدينتنا الجميلة، وكل صوصافيٍّ سيرتكب مخالفة، سيعاقب بالغرامات المالية والسجن! نترك هذه الأمور للمحكمة العليا. من الآن وصاعداً العلم الصوصافي سوف يدفن في أجساد من يسلك هذا الطريق، لا نريد أن نسمع عن عالم للماورائيات أو تسخيرٍ للجن، أو أبوابٍ سرية وسحرية، هذه الأعمال دائماً ما تندرج تحت مسمى "السحر الأسود"، ونحن كحكومة لها رؤية و تخشى على شعبنا الكريم، لن نسمح لأحد بأن يمارس السحر في أراضينا".

وبهذه التصريحات النارية اختُتم المؤتمر الصحفي الذي أقامه حاكم البلدة الجديد. جميع الصحفيين حاولوا أن يسألوه عن الكثير من الأشياء، ولكنه غادرَ لا مبالياً، أما السيد - آمون - عمدة المدينة فابتسم ابتسامة خبيثة وهو ينظر لما حدث.

صوصافيون

تساؤلات كثيرة، و أسئلة لا توجد لها إجابة منطقية. من أين خرجت جماعة الصوصافيين؟ ومتى كان الموعد الفعلي لانطلاقهم في هذا العالم؟ وكيف لهم أن يستحوذوا على هذه الأسرار الخاصة بعالم الماورئيات والروحانيات والعالم الجني؟

في الحقيقية... لم تتأكد الأقاويل حول ظهور الصوصافيين في تاريخ معين، و لايُعرف شيءُ عن نشأتهم، ولكنهم كانوا موجودين منذ الأزل.

ومن يتذكر التاريخ ولم ينسَ أوراقه، فلا نستطيع أن نغفل عن قصص سيدنا - سليمان - وتسخيره للجن، كان ملكاً عليهم جميعاً، وعاملهم بمعاملة حسنة ولا أحد يستطيع أن يُحرف هذه الحقائق، إذن ماهو الرابط بين حكاية سيدنا سليمان والصوصافيين؟

هو علم يرزقه الله لعباده الصالحين، هناك فئة من الناس يُطلق عليهم - أولياء - في الأرض، بشر لو لامستَ أرواحهم لوجدتها صافية بطريقة سحرية، كُتب عليهم الصلاح والهداية وتعمير الأرض بإيمانهم وبمتعقداتهم العلوية السامية، هناك من البشر من يُرزق بالأموال، وهناك من تأتيه نجاحات الدنيا، ولكن في العالم الصوصافي، فمن ينزل عليه العلم يكون من المختارين اللذين كُتب عليهم أن يعرفوا أسرار الدنيا وخباياها، تكرّم الله عليهم بأن يصادقوا الجن ويتحدثوا معهم، بل ويستخدموهم فيما يرضي الله، وبالطبع نحن نتحدث عن الأولياء، أصحاب الطريق العلوي.

وهذه النقطة تأتي بنا إلى موضوع آخر، فمنذ نشأة الصوصافيين والجدل قد كبرت فقاعته، ولا نستطيع أن نلوم البشر في هذا الموضوع، لأنَّ نصف الكرة الأرضية ينفرون من أي شيء جديد، لأنّه قد يضرب معتقداتهم بعرض الحائط، وإن كنا نريد أن نتعمق في هذه النقطة، فسوف نرجع إلى جميع الأديان الموجودة على كوكب الأرض، لأن هناك من لا يؤمن بوجود الجن إطلاقاً، فكيف ستقنعهم بأنه يوجد إنسان يعاني

من مسّ شيطاني؟ وكيف ستستطيع أن تشرح لهم بأنه يوجد عالم خفي، يتشاركه الإنس والجن معاً؟ ويستطيع الإنسان أن يستخدم خدمات الجن لأغراضٍ مختلفة ومتعددة.

وهذا الاختلاف الفكري الذي حدث جعل الناس يرون الصوصافيين بأنهم يعملون بالسحر الأسود، وأنّ حديثهم المثري ماهو إلا خزعبلات شيطانية وسفلية! وما زاد الطين بلة، هو وجود السحرة بكثرة من قديم الزمان، وكيف لا يكونون موجودين، والله خلق الملائكة والشياطين على هذه الأرض، لطالما إبليس اللعين موجود في حياتنا، فسوف يكون هناك سحرة يقدسونه، ويتبعون خطواته، فهو من قال:

"لأغوينهم أجمعين".

هذه كانت المعضلة الكبرى بالنسبة للصوصافيين، كيف لهم أن يثبتوا لناقصي العلم، بأنهم على حق؟ وأن لا دخل لهم بإبليس وجماعة، وكيف يستطيعون أن يبرهنوا بأنًّ هناك عالماً علوياً للجن، فيه أسرار قد كُشفت لعدد مهول من البشر، مختارين بعناية إلهية. صدقني يا عزيزي القارىء بأن عقل الإنسان أصغر مما يبدو عليه عندما تحاول أن تقنعه بشيء يفوق النظريات والدروس الحياتية التي تعلّمَ ودرسها منذ نعومة أظفاره.

-2-

صوت عالٍ... أحاديث صاخبة... غضب متصاعد، ووجوه ترتسم عليها ملامح الخوف والقلق.

اجتمعَ كبراء الصوصافيين على شاطىء البحر الذي تتصاعد أمواجه بطريقة مهيبة، وكأنها تشارك الصوصافيين غضبهم العارم على الحكومة الجديدة وعلى قوانينها المتعسفة.

ستة من الصوصافيين الكبار يصنعون دائرة حول رئيسهم الأكبر السيد - صوصاف - رجل في العقد الخامس من عمره، طويل القامة، أبيض البشرة، حليق الرأس، ذو عيون زرقاء آسرة، يرتدي رداءً زهريّ اللون، وتلتف سبحتة الكبيرة حول عنقه وتمتد إلى يده اليمنى. لقد كان يتلو أوراده الصوصافية وهو في قمة الغضب العارم الذي يحسّ به الصوصافيون.

"إنهم يعلنون الحرب على جماعة الصوصافيين".

"كيف لهم أن يصفونا بالسحرة؟ هل علم الروحانيات العلوي أصبح يشبّه بالسحر الأسود؟".

"علينا أن نتحرك جميعاً، وإلا سوف يُمحى اسم الصوصافيين إلى الأبد".

كان السيد - صوصاف - يستمع إليهم وهو مغمض العينين، صرخ أحد الصوصافيين بغضب:

"يا صوصاف! هل أنتَ معنا؟".

فتح السيد - صوصاف - عيونه، وأخذ نفساً طويلاً ومن ثم قال:

"لقد قلتموها بأنفسكم، حزب الصوصافيين يتعرضون لحرب قذرة، وهذا الشيء ليس بالجديد علينا، فمنذ آلاف السنوات وأباؤنا وأجدادنا يقاتلون من أجل إبقاء راية الصوصافيين عالية. هذا الوقت يحتاج منا عدم التسرع والحكمة، نحن لسنا أمام مواجهة عادية مع السحرة السفليين، نحن أمام كيان كامل يدعمهم جميعاً، أمام تشريعات وقوانين حكومية، لا نستطيع أن نعلن الحرب على مدينة بأكملها! هذه ليست من شيم

الصوصافيين يا أحباء".

صرخ أحد كبراء الصوصافيين بغضب:

"إذن هل تريدنا أن نتفرج وهم يمحون إرثنا وتاريخنا؟ هل تريدنا أن نصمت وهم يتعدون على أملاكنا ومنازلنا؟".

"لا يا صديقي... ولكن علينا أن نفكر جيداً قبل أن نقوم بأية خطوة طائشة، نحن نملك بعضنا البعض، وأصدقاؤنا من ملوك الجن العلويين لن يتخلوا عنا إذا طلبنا المساعدة، ولكن أعيد وأكرر بأننا أمام حكومة رسمية جديدة للبلدة، لا نملك سوى الصبر".

وكأن كلام السيد - صوصاف- لم يعجب باقي الصوصافيين، فرحل كل منهم في إثر الآخر، وبقيَ هو وحيداً، ينظر إلى البحر وأمواجه الغاضبة. أمسك بسبحته بقوة وكأنها الخلاص الأخير له في هذه الدنيا. وضع يده اليمنى في التربة، وأخذ ماخرج منها من حبيبات ورماها في البحر، وبدأ يهمس بكلمات من ورده الصوصافي، فجأة بدأت أمواج البحر تثور أكثر! الغيوم نزلت بطريقة مهيبة على الأرض، انقسم البحر إلى نصفين وبدأ يعلو عن السطح، وكأن قانون الجاذبية ذهب في مهب الرياح! بدا التعب واضحاً على السيد - صوصاف- وهو يتلو بكلماته ذات السر المكنون، قطرات العرق تتساقط عن جبينه معلنة عن حالته الصعبة.

خرج من تحت سطح البحر مخلوقٌ بديعٌ، يستطيع أن يوقف دقات قلب أي شخصٍ لا يملك الإيمان القوي، لقد كان الملك - ثانوه - الجن العلوي و المسؤول عن الورد الخاص المتلو من قبل السيد صوصاف، طوله مهيب! ويتميز بعرض منكبيه، جسده يشع باللون الذهبي الآسر، لديه عيون كبيرة وواسعة ذات لون عسلي، ويحمل بيده سيفاً أخضر اللون لماعاً. طوله يستطيع أن يبدأ من منطقة الشرق وينتهي في أواخر الغرب، جسده بأكمله مكشوفٌ كما خلقه الرب.

"أهلاً بصديقي الملك ثانوه". قالها السيد صوصاف.

بدأ جسد ملك الجن بالقفز من مكان الى اخر، والبحر ثار

أكثر فأكثر، وكأنه كان خائفاً من وجود الملك - ثانوه - على سطحه، طار ملك الجن إلى الأعلى وهبط من جديد مقابلاً السيد - صوصاف- ولكن هذه المرة بجسدٍ طبيعيٍّ بشري! طوله أصبح بطول السيد - صوصاف - بل حتى سيفه اللماع قد صغر حجمه، وأخيراً كان يلبس رداءً أبيض اللون. ابتسم ملك الجن قائلاً:

"أعلم بأنك تمر بظروف قاهرة، فلا شيء يخفى علينا في هذا العالم، ولكني سعيدٌ برؤيتك".

"وأنا أيضاً يا صديقي ثانوه، لقد طلبتكَ اليوم لكي أستشيرك حولَ هذا الموقف العسير الذي أمرّ به، أو الذي يمرّ به جميع الصوصافيين".

"ولو أني أعلم ماهو طلبكَ مني وماهو قرارك، ولكني سوف أناقشك، أنتم محاربون منذ قديم الأزل، ولن تتحول هذه الكراهية إلى حب، لن تستطيع أن تقنع البشر بأن هناك باباً سرياً وأسراراً موجودة وبعيدة كل البعد عن العالم السفلي المعروف بالسحر، ولكنك تعلم كما أعلم أنا، بأنّ الصوصافيين اليوم يواجهون كياناً سياسياً، في الماضي كانت المواجهات مع السحرة بطريقة مباشرة، ولكن الآن اختلف الأمر كثيراً، وما تريده يا -صوصاف- أعتقد بأنك لم تفكر بعواقبه جيداً".

أخذ السيد - صوصاف- نفساً عميقاً، وبدأ يحرك سبحته بيده، وقال مبتسماً:

"إن كنتَ تلمح بأنني سوف أستسلم فأنت لم تعرفني حق المعرفة يا صديقي، رغم صداقتنا الطويلة، فأنت كنتَ من أول الأوراد الروحانية التي أهداني إياها معلمي الصوصافي الكبير، وعندما وافته المنية، قد ائتمني عليك كثيراً، أعلم بأنك تعرف بماذا أفكر، ولكن صدّقني هذا هو الحل الوحيد".

ضاقت عيون ملك الجن، وقال مستغرباً:

"أنت تريدني أن أحجب جميع الجن عن الصوصافيين الموجودين على هذه الأرض، بهذه الخطوة أورادهم الصوصافية لن تجلب لهم ملوكهم العلويين، هذا الحاجز سوف

يمنعهم من الاتصال المباشر بالجن، وسيذهب بهم إلى مغريات العالم السفلي، هل تريد من الصوصافيين أن يكونوا سحرة؟".

"الإنسان التقي يا صديقي لا تغرّه ملذات الدنيا، نحن نعلم بأنّ الدنيا الحقيقية تكون بعد مماتنا، هذه السنين التي عشناها وسنعيشها ماهي إلا اختبار بسيط. أريدك أن تحجب جميع الجن عن الصوصافيين، لأنني أعلم جيداً بأنهم سوف يحاربون الحكومة السياسية في قرارها، نحن لا نستطيع أن نفرض علم الروحانيات الصوصافية على أي شخص مهما كان، فهذا العلم يُشرّفك ولا ينقص من شأنكَ شيئاً، فلابد على الشخص من أن يكون مقتنعاً بهِ، صحيح أننا قد سكنّا على هذه الأرض لسنوات عديدة، ولكن كما قلتَ إنّ مشكلتنا الحالية ليست مع الأفراد، كالسحرة وجميع من يسلك العالم السفلي... لا! مشكلتنا الآن مع حكومة بأكملها، لا نستطيع أن نحكم بأحكامنا، فمهما مكثنا على هذه الأرض نبقى زواراً ليس إلا، لا نملك الأرض بأكملها".

"ولكنَّ القرار الذي تريدني أن أفعله ليس بيدك وحدك!".

رمقه السيد - صوصاف- بنظرة قاسية:

"هل نسيتَ بأنك تتحدث مع زعيم الصوصافيين الكبير؟".

أنزلَ الملك -ثانوه - رأسه بكل خضوع، وقال متأسفاً:

"أنا آسف، لم أقصد ذلك، ولكن أعلم بأنك ذو قلب رحيم وكبير، وتؤمن بآراء الناس الآخرين، إن أخذتَ برأي باقي الصوصافيين فسوف يعارضوك، هل تعلم ماذا يعني أنك تريد حرمانهم من ملوكهم الجنيين؟ حرمانهم من أن يتلوا أورادهم الصوصافية بحضور بخورهم الطيب ولا يروا أي إجابة؟.

"خسارتك للجولة الأُولى لا تعني هزيمتك، ولربما لن تفهم مقصدي، ولكن لديَّ رؤية بما سيحدث مستقبلاً على هذه الأرض، سوف نخسر أول معركة وأنا واثقٌ من هذا، ولكن لديّ خطة متأكد من نجاحها، أريدك أن تسمعني جيداً، وأن تنفذ جميع ما أتلوه عليك، ولا تبدأ فيها إلا عندما أخبرك بذلك".

أعطى السيد - صوصاف- تعليماته الى ملك الجن الخاص به

وحدثه عن مايريده وما يدور في ذهنه، استمع إليه ملك الجن بحذر وهدوء، اتفقا على ما سيحدث، رغم أنّ خطة السيد-صوصاف- كانت قاسية بعض الشيء من وجهة نظر ملك الجن. طار الملك - ثانوه - بعيداً، وبقي السيد - صوصاف- يتأمل البحر وهو يلعب بسبحته الكبيرة. أخرج من جيبه قطعة قماشٍ، وضع إصبعهُ على لسانه و أبعدهُ لثانية، وبدأ يهمس بأشياء غير مسموعة، أرجعَ إصبعه و مرره على القماش فبدأ يكتب عليه وكأن هناك حبراً يخرج من طرف إصبعه! يكتب بلون زهري لامع! لفَّ قطعة القماش على سبحته، قبّلها بحب وحنان، ورماها بقوة في البحر إلى أن غاصت إلى أعماقه، بدأ يهمس بينه وبين نفسه

"الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون

الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون

الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون".

-3-

حجرة بيضاء مربعة صغيرة الحجم، إضاءة خافته وبخورٌ روحاني منتشر بين جدران المكان، الغرفة لا تحتوي على شيء سوى بساطٍ أبيض اللون مفروشٍ على الأرض، يجلس عليه رجل في العقد الرابع من عمره، بلباسه الأبيض، لقد كانت تجاعيد بشرته واضحة حتى في وسط الظلام، و الشيب غزا رأسه بغزارة، وكأنَّ كل شعرة بيضاء تدل على كمية الصعاب التي واجهها في حياته. إنه أحد مشايخ الصوصافيين الكبار، يعتكف في غرفته لكي يكمل خلوته ويقرأ أوراده الصوصافية للتقرب من أصحابه الجن العلويين.

في الجهة الأُخرى من نفس المكان، وفي غرفة المعيشة بالتحديد، توجد زوجته وابنه ذو السبعة أعوام، لقد أنجبوه متأخراً. كان الطفل يضحك ويسرح ويمرح مع والدته التي تنظر إليه وكأنه الدنيا بأكملها، وفي كل مرة يعلو بها صوته تأمره بالسكوت لكي لا يقلق خلوة والده الصوصافي، وسرعان ما يجلس الطفل ولا يتكلم، إنها عادات منذ الصغر، تُظهر كيف يؤسّسون الأطفال كي يحترموا هذا العالم المقدس، وإذا تقدّم بهم العمر، سلكوا عالم الصوصافيين وأكملوا مسيرة آبائهم وأجدادهم.

والدة الطفل كانت تمسك بسبحة كبيرة تمرّرها بين أطراف أصابعها، تتلو وردها الروحاني في قلبها، وتحرص على تحريك لسانها عند نطقها للكلمات، فذكر اللسان يختلف عن ذكر القلوب في عالم الروحانيات، لابد أن يتحرك اللسان لكي تصل همساتها إلى أعلى ملوك الجن العلويين.

صوتُ ضربٍ قويٍ على الباب! فزعت الأم، و صُدمَ الطفل من هذا الصخب بعد ماكانوا يعيشون في هدوء وسكينة. وضعت الأم سبحتها جانباً، ونهضت باتجاه الباب، وكانت تنوي أن تفتحه ولكنه كُسر بقوة وأحدهم دفعهُ من الخارج، مما جعل الأم تسقط ويختل توزانها، بكى الطفل وبدأ يصرخ، دخلَ من الباب مجموعة من الرجال المسلحين يرأسهم السيد - آمون

- بابتسامته الصفراء المريبة، تفحّص المكان وبدأ يحرك أنفه محاولاً أن يشم مصدر الرائحة التي أتوا من أجلها.

خرج الأب من خلوته وهو مصدوم! عندما رأى الحرس برفقة السيد - آمون - الذي يبتسم بشرّ في وجهه، واتجهت عيونه إلى زوجته الملقاة على الأرض، ودموع ابنه الوحيد، سقطت سبحته الروحانية من يده، وقال مصدوماً:

"ما الذي تفعلونه في منزلي؟ وماذا فعلتم بزوجتي؟".

اقترب منه السيد - آمون - وسحبه من ثوبه الأبيض قائلاً:

"هل الذي أشمّه هو رائحة بخور صوصافي؟".

ظهر الارتباك على وجه الرجل الصوصافي، فقال محاولاً أن يتمسك بأي خيط من القوة الداخلية:

"وما شأنكَ بهذا يا آمون؟ إنه منزلي ويحق لي أن أفعل ما يحلو لي فيه".

ضحك السيد - أمون- بصوت عالٍ، وأمسك الرجل الصوصافي من عنقه، ولم يتراجع مع صراخ ابنه الصاخب:

"في السابق كان يحق لك أن تمارس طقوسك الصوصافية القذرة، ولكن الآن ومع العهد الجديد، أنت من وجهة نظر القانون مجرم، وسوف تُسجن لوقت طويل".

بإشارة منه جعل الحرس يأسرونه ويأخذونه إلى الخارج، الأم كانت حتى الآن فاقدة للوعي، والطفل يصرخ بأعلى صوته، اقترب السيد - آمون - من الطفل وهو يبتسم له بطريقة مرعبة، وضع يده على رأسه وبدأ يتلو كلمات غير مسموعة، وسرعان ما سكت الطفل، واتسعت عيونه دهشة وهو ينظر إلى السيد - آمون- فقال له:

"هوّن عليك أيها الطفل! فأنا قد خلصتك من مستقبلك الصوصافي التافه، قريباً سوف تتجه إلى عالمي أنا.. العالم السفلي الحقيقي".

تركه وخرج، فعاد الطفل يبكي من جديد، فتحت الأم عيونها بصعوبة، وجدت طفلها منهاراً، وتوزعت نظراتها بين المكان،

فعرفت بأنها لن ترى زوجها من جديد، فصرخت صرخة مدوية جعلت جميع جيرانها يفزعون من هولها!

-4-

باب خشبي عتيق، يُفتح على مصراعيه ويصدر منه صرير يهز البدن. يدخل السيد - صوصاف - إلى منزله المتواضع، حيث توجد الأريكة العتيقة في المنتصف، والطاولات التي تحتوي على المباخر التي تُستخدم للطقوس الروحانية، ثمة صورٌ معلقة على الحائط، بها أذكار صوصافية معروفة عند بني الصوصاف.

الإضاءة منخفضة في المكان، مريحة للعيون، رائحة المنزل تدل على جلسات صوصافية متكررة ويومية تقام في أركان المكان.

يُفتح باب غرفة النوم، وتدخل غرفة المعيشة زوجته - فيروزا - صاحبة الوجه الملائكي الأبيض، مع شعرها الأسود الطويل الذي يسكن الليل أعماقه، وعيونها الكبيرة والناعسة بلونها الأخضر الخلاب، وابتسامتها التي لا تفارقها عندما تستقبل زوجها طوال فترة زواجهم.

جلس السيد - صوصاف - على الأريكة وعلامات التعب والإرهاق والحيرة واضحة في عيونه، تغيرت ملامح - فيروزا - وهي تنظر إلى زوجها البائس:

"زوجي العزيز... طوال سنين زواجنا لم أرَ نظرة الانكسار هذه على عيونك، كيف للشمس أن تغرب من وجهك؟ وكيف للقمر أن ينخسف؟".

أخذ نفساً عميقاً، وضاقت عيونه كما لو أنه قد جاءه خبر وفاة أعز الأصحاب، وقال بنبرة منكسرة واضحة جداً:

"الأمور تتعقد يا فيروزا، طوال حياتي الصوصافية لم أعرف السبب الحقيقي وراء ملاحقة الجميع لنا، كثيراً ما أسأل نفسي عن دوافع كرههم لنا ولعالمنا، لا أعلم لمَ هذا الحقد الدفين الذي يحملونه، ما ذنبنا إذا كُشفت لنا أسرار الدنيا وكنوزها؟ ما عيبنا لو عرفنا أسرار عالم الجن الكبير؟ هذه الحرب التي نحن مقبلون عليها ليست كباقي الحروب، إنها مميتة... حارقة! تستطيع أن تجعل الجماد يتكلم، وتحول المتحدث إلى

أخرس".

نظرت إليه - فيروزا - بطريقة مريبة:

"لم أعهدك بهذا الاستسلام يا صوصاف، أنت المسؤول الأكبر عن جميع الصوصافيين في هذه المدينة، كيف لك أن تكون بهذا الانهزام؟".

"أنا لم أنهزم ولن أسقط وأكف عن المحاولة إلا إذا صعدت روحي إلى الأعلى، ولكن نحن في مواجهة الحكومة السياسية يا فيروزا، وهذا ما يجعل الموضوع غاية في الصعوبة، يريدون أن يطمسوا اسم الصوصافيين إلى الأبد. أعلمُ تماماً بأنّ من صاغ هذه الخطة هو الساحر - آمون- ومن ينتمون إلى حزبه. هناك غيمة سوداء تتجه نحو العالم الصوصافي، ولكن هل يجلب الله معها مطراً؟ أتمنى ذلك."

وجهت -فيروزا - عيونها باتجاه يده وقالت مستغربة:

"أين ذهبت سبحتك؟".

ابتسم السيد - صوصاف- بحزن بكبير قائلاً:

"لقد سقطت مني، لأنني بحثت عنها ولم أجدها".

"وكيف حدث ذلك؟ أنت تُحبها كثيراً، لقد ورثتها عن أبوك المتوفي، لا أعلم بماذا تشعر، ولكنني متأكدة من حزنك الكبير".

فُتح باب إحدى الغرف وخرجت منه فتاة في الثانية عشرَ من عمرها، بيضاء البشرة، وجهها يأسر العيون. ابتسمت بفرح وهي تنظر إلى السيد - صوصاف - وركضت وحضنتْه، فقبلها قائلاً:

"أهلاً بابنتي - هاميس - والله إنّ رؤيتي لك بعد هذا اليوم الشاق، تريحني كثيراً، وتجعلني أكثر قوة".

فجأة دبّ الرعب في ملامح وجههم إثر سماعهم صوتاً قوياً لصراخ أبناءالبلدة! ركض السيد - صوصاف - باتجاه الباب ورأى بأن عدداً مهولاً من الناس يمشون في الشوارع ويصرخون، أوقفَ أحد المارة، وسأله عن الذي حدث، فردّ

حزيناً:

"إنهم يحاربوننا يا سيد - صوصاف- بدؤوا باقتحام بيوت الصوصافيين، وجرّهم إلى السجون أمام زوجاتهم وأبنائهم، أرجوك افعل شيئاً، أنت كبير الصوصافيين، ونحن لا نستطيع أن نتصرف دون تعليماتك، أرجوك يا سيدي... أرجوك".

اهتز جسد السيد - صوصاف- إثر سماع تلك الكلمات، التفت إلى زوجته وابنته فرأى الحزن واضحاً على عيونهما، ولمس عدم الأمان فيها، لأول مرة شعر بأنه لا يستطيع حماية عائلته أو أبناء مدينته.

لم يرد على الرجل صاحب الوجه الحزين والدموع المتناثرة من عيونه، بل دخل إلى منزله من جديد وأغلق الباب، وسط ذهول الرجل من تصرفه!

-5-

منزل أسود اللون من جميع جهاته، وكأنّ الموت يتغذى على جدرانه، كانَ مملوكاً من قبل الساحر - آمون - وعائلته المكونة من زوجته -كليوبترا - و ابنيْه الصبييّن التوءم - ليل - و - نهار - ذوي الخمسةَ عشر عاماً.

يُفتح الباب ويدخل السيد - آمون - إلى غرفة المعيشة المطليّة باللون الأحمر والأسود، وبالرسومات المثلثية الغريبة المنتشرة على جدران المنزل، وبالتماثيل الموزعة بكثرة في المكان. كل واحد منهم له شكلٌ مختلف، ولكن جميعهم يتشابهون بكمية الرعب الذي يصدّرونه للناظرين. يوجد مبخرٌ كبيرٌ يتوسط غرفة المعيشة، وجلسة أرضية يستخدمها السيد - آمون - عندما يكشف على الناس الذين يأتون إليه طلباً للمساعدة والمشورة في الأمور الروحانية، منهم من يعلم بأن توجّهه سفليٌّ لا نقاش فيه، ولكنهم يؤمنون بعالمه، ومنهم من يظن بأنه يستخدم العلوم العلوية، فهو في كل مرة يأتي بنتيجة خيالية، وصاحب المشكلة لا يدقق كثيراً في مصادر علومه، إذا ساعدهم السيد - آمون - في مشكلتهم، فلماذا يبحثون من خلفه؟

تنزل زوجته - كليوبترا - من الدرج بنظرات تفحصية، تقف أمامه وهي تضع يدها على خصرها، لقد كانت سمراء البشرة، شعرها غجريٌّ لافت! عيونها مخيفة بعض الشيء من شدة جحوظها، تضع على وجهها مساحيق تجميل غريبة اللون، الأحمر والأصفر والأسود، إنها كابوسٌ يمشي على سطح الأرض! ولكنَّ مظهرها هو ما حبَّب السيد -آمون - بها.

"لقد تأخرت كثيراً في الخارج!".

جلس السيد - آمون - وجلست زوجته بجانبه، فقال مبتسماً بأريحية كبيرة:

"أهلاً بزوجتي كليوبترا، أهلاً بزوجة الحاكم".

نظرت إليه بذهول واستغراب:

"زوجة الحاكم؟ ولكن كيف؟ ومتى سوف يصير هذا الحلم حقيقية؟".

"قريباً جداً يا جميلتي، بدأنا نقتحم البيوت الصوصافية واحداً تلو الآخر، لقد عريناهم بمذلة كبيرة، أخيراً بدأنا نضع يدنا على هذه المدينة، والفضل كله يعود لي أنا ولأفكاري الجهنمية!".

"ما تفعله شيء مثير للإعجاب يا عزيزي، ولكن أنتَ عمدة للبلدة، قل لي كيف سوف تصل إلى الرئاسة؟ ولماذا تريد إقناعي بأنَّ هذه الخطوة محسومة بالنسبة لك؟".

ضحكَ السيد - آمون - رغم ذهول زوجته:

"لابد أن نسير في هذه الخطة خطوة بخطوة، أنا لستُ بساذج! سنوات والصوصافيون يُحكمون قبضتهم علينا، نحن الذين نتبع العالم السفلي، إن كنتِ تريدين الحق، فليس من العدل أن يأخذوا جميع هذه الصلاحيات. إذا كان توجههم للعالم العلوي، ونحن نهوى العالم السفلي، فأين هي المشكلة؟ طوال هذه السنوات وهم مقتنعون بأننا نشوه اسم عالم الصوصافيين، وكأن هذا الاسم منحوتٌ بالذهب والألماس، يحاربوننا ويحرقون خدّامنا الجن بكل قسوة، ولكن اليوم بدأ يتبدل الحال إلى حال آخر، سوف نطمس العالم الصوصافي إلى الأبد، وجوابي على سؤالكِ بسيطٌ جداً، لقد كلفتني الحكومة بأن أكون عمدة لهذه البلدة، ولم يأتِ قرارهم بسبب حبهم الشديد لي، لقد استحوذت على عقولهم بسحري الخاص! وسوف أحكم هذه البلدة أيضاً بنفس السحر".

بدأت السيدة - كليوبترا - تلعب بشعرها الغجري المثير بالنسبة لزوجها، نظرت إلى الأعلى مفكرة، ثم قالت بقلق:

"ولكن عندما تكون رئيساً لهذه البلدة، سوف يطاردك الصوصافيون من جديد، فنحن أبناء إبليس، أصحاب الأبواب السفلية! ما الفرق الذي سيجعل الصوصافيين يتغاضون عنك؟".

"لابد أن تفكري جيداً يا جميلتي قبل أن تسألي هذا السؤال، في السابق كنا نحاربهم لوحدنا، ولكننا اليوم نحارب بقوة

سياسية كبيرة جداً، قوة تحرك البلدة ومسؤولة عنها، من سيتعدى علينا سوف يُسجن ويُعاقب، سنهددهم ببيوتهم وبعائلاتهم وبأبنائهم، صدقيني سوف نتخطاهم بخطوتين، إنها نهاية العصر الصوصافي يا كليوبترا".

سكتت زوجته وكأنها خائفة من شيء ما، نظر السيد -آمون - إلى المبخر الكبير المنطفىء، فخرج غضبه الداخلي صارخاً:

"لماذا لا تشعلين البخور الروحاني؟ هل تريدين أن يهجرنا خدّامنا الجن؟".

"وكيف لي أن أشعل البخور والحكومة تطارد من يستخدمونه؟".

ضحك السيد -آمون- من جديد على زوجته، نهض من مكانه، وضع القليل من حبات البخور وأشعلها، أغمضَ عيونه وهو يستنشق هذا الدخان المثير لحواسه، ومن ثم قال بقوة جبروتية:

"لا أحد يستطيع أن يقترب من هذا المنزل، لأنني أنا الحكومة!".

دخلَ إلى غرفة المعيشة ابناهُ التوءم - ليل - و - نهار- الابن الأول - ليل - كان أكبر من أخوه - نهار - ببضع دقائق، ولكن عندما نقول توءم فهما كذلك، لا تستطيع أن تفرق بينهما، لقد ورثا سمار بشرة والدتهما، وعيون وشعر أبيهما. كان - ليل - يصرخ على أخيه - نهار - :

"أنت عديم الجدوى يا نهار، لن تصبح روحانياً سفلياً بهذه العقلية الغبية".

ذهب الأب إليهما، وأمسكهما بقوة من أذنهما معنفاً:

"ألم أقل لكما بأنكما غير مسموح لكما بالشجار؟ أنتما أخوان، لابد أن تكونا في صف واحد".

"ولكن يا أبي هو لا يريد أن يتعلم، دائماً يصدني عندما أعلمه بعض الأبواب الشيطانية". قالها - ليل - .

رمق الأب ابنه - نهاراً - بنظرة مريبة ومرعبة:

"أمازلتَ لا تريد أن تكون سفلياً يا نهار؟".

رفع رأسه بعيونه الحزينة قائلاً:

"إنني أخاف يا أبي، لا أستطيع أن أتخيل بأنني سوف أشارك حياتي مع الجن!".

تنهد الأب وهو ينظر إلى زوجته التي تراقب المشهد بكل هدوء وقلق، أخذ ابنه - نهاراً - من يده وجعله يجلس معه قائلاً بكل هدوء:

"لقد كُشفتْ لنا الأسرار يا بني منذ صغرنا، ألا تريد أن يكون لك خادمٌ من الجن يطيعك وينفذ أوامرك؟ ألا تريد أن تكون مميزاً عن باقي البشر؟ انظر إلى أخيك ليل، أصبح متمرساً في العالم السفلي، ويحظى بخمسة من خدام الجن السفليين، بل إن هناك فتاةً من الجن تريد الزواج منه، إنهنّ يعشقنهُ."

ابتسمت الأم مبهورة:

"فتاة من الجن تعشق ولدي؟ إنه يحمل صفاتكَ يا آمون، إنه يحطم قلوب الفتيات كما حطمت قلبي يا حبيبي".

ابتسم آمون لكلمات زوجته الرقيقة، أخرجَ من جيبه قماشاً أزرق اللون، فتح يد ابنهِ نهار ووضعه فيها:

"أريدك أن تذهب مع أخيك الآن وتبدأ في جلسة تحضر بها هذا الجني اللطيف، سوف ترى بأن الموضوع ليس مخيفاً كما تظن، سوف يكون صديقاً لك، وينفذ جميع أوامرك."

أمسك - نهار - بالقماشة متردداً، ومن ثم قال مستسلماً:

"حسناً يا أبي! سوف أفعل ذلك".

ابتسم أخوه - ليل - وحضنهُ بحب قائلاً:

"سوف نكون قوة ضاربة في العالم السفلي يا أخي، فقط أريدك أن تجعلني أساعدك".

ابتسم - نهار - له ابتسامة صفراء، استعدّا للخروج من غرفة المعيشة، ولكن الأب قال بصوت عالٍ:

"لا تنسيا يا أولاد أن.....".

أكملا جملته معاً:

"أن نشعل البخور الروحاني يا أبي".

ابتسم الأب وجلس من جديد وهو يواجه زوجته قائلاً:

"قريباً جداً يا كليوبترا سنحكم هذه البلدة، وستكونين زوجة الحاكم، و سيرأس ابنايَ مناصب سياسية كبيرة."

نهضت زوجته وقبلته قائلة:

"لا أستطيع أن أنتظر أكثر، أريد أن أرى السحر الأسود وعلومنا السفلية تغرد في السماء".

"لكِ هذا يا عزيزتي، وقريباً جداً".

-6-

في منزل السيد - صوصاف- تجلس زوجته - فيروزا - في غرفة المعيشة وهي ممسكة بسبحتها الروحانية، القلق واضحٌ في عيونها، والشك أقلقها في الساعات الماضية وهزمها بكل سهولة، وتظهر ابنتهما - هاميس - وهي تجلس على الأرض ساندة رأسها على الحائط، تنظر إلى الأعلى سارحة.

أصوات الباب تطرق بقوة، والناس في الخارج يصرخون بأعلى صوتهم:

"نريد أن نقابل السيد صوصاف!".

"إن لم يستطع حمايتنا، فمن يستطيع ذلك؟".

"هل بعثَ قضية الصوصافيين أيها الصوصافي الكبير؟".

كان قلب - فيروزا - ينفطر وهي تسمع هذه الأقاويل خارج منزلهم، فمنذ القدم وزوجها قد تولى رئاسة حزب الصوصافيين، جميع الناس يعتمدون عليه في أبسط الأشياء وأكبرها، بل كانوا لا يتجرؤون حتى على الزواج من إحدى الفتيات، إلا عندما يعطيهم مباركته الخاصة.

زاد صراخ الناس في الخارج، وضعت الابنة - هاميس - يدها على أذنها محاولة أن تعزل نفسها عن هذا العالم المخيف، سقطت دموع الأم بكل حزن. فجأة... فُتح باب إحدى الغرف وخرج السيد - صوصاف - بملابسه البيضاء، و بوجهه الحاد والشاحب، نظر إلى ابنته وزوجته دون أن ينبس بأية كلمة، لقد كان يدرس حالة حزنهم وبؤسهم، شعر بأنه لايستطيع متابعة الطريق في صورته الماضية، الرجل القوي الذي لا يُهزم! أنزلَ رأسه وقاله بصوت خافت:

"أرجو منك يا فيروزا أن تغلقي جميع منافذ الأبواب من الأسفل، و ألّا تتركي أي شبابيك مفتوحة، فأنا أريد أن أبخّر غرفتي لكي أستقبل أصحابنا من الجن".

ركضت نحوه ابنته: "أبي!".

ولكن بإشارة من يده جعلها تتوقف، وقال لها بكل قسوة:

"ليس الآن يا هاميس... ليس الآن!".

نهضت الأم من مكانها وأخذت طفلتها:

"تعالي معي يا هاميس، فأنا أحتاج إلى مساعدتكِ".

دخل السيد - صوصاف - إلى غرفته من جديد. أخرجت الأم - فيروزا - منشفة كبيرة الحجم ووضعتها أسفل الباب لكي تمنع خروج أي هواء من المنزل إلى الخارج، جعلت ابنتها - هاميس - تغلق جميع النوافذ بإحكام، وأخيراً جلستا على الأرض حاضنتين بعضهما البعض بكل خوف وحسرة.

في الجهة الأُخرى، يجلس السيد - صوصاف - في غرفته على الأرض، ويضع أمامه العديد من الأوراق الذهبية اللون، يمسك بريشته ويكتب بحبر دم الغزال عدة حروف متفرقة، يرسم مثلثات عديدة بين أطراف الصفحات، ويضع الأذكار الصوصافية في المنتصف. يشعل البخور الروحاني ويجعله ينتشر في المكان، يستنشقه كما يستنشق أوكسجين الحياة، فجأة يقف ويدور حول المبخر وهو يغمض عيونه، يتلو بهمسات غير مسموعة إحدى الأبواب الخاصة بملوك الجن العلويين، يُخرج من جيبة قطعة ذهبية دائرية، ينظر إليها بكل احترام، يرميها في الهواء و تستقر في منتصف المبخر، فتشتعل نيرانه ويتصاعد البخور بصورة أكبر، بدأ العرق يتصبب من فوق جبهته، مسحهُ بطرف ثوبه الأبيض.

يمد يده ويدخلها في نيران المبخر، ويخرج القطعة الذهبية من جديد، بدأت تتوهج أكثر وكأنها كانت بقيراطين، وأصبحت بأربعةٍ وعشرين قيراطاً، رفعها إلى الأعلى وصرخ بأعلى صوته:

"آمرك يا أيها الملك الجبار - قيراث - أن تحضر إلى جلستي الصوصافية، بحق هذه القطعة الذهبية التي ورثتها عن أجدادي، والتي كانت هدية من أجدادكم، آمرك أن تحضر حالاً وتكشف عن نفسك بصورة طيبة وحسنة".

فجأة ينفرج سقف الغرفة ويفتح بطريقة سحرية دون أن تتكسر منه قطعة واحدة! يرفع رأسه السيد - صوصاف - فيرى السماء

كما لم يرها من قبل! كان ينظر إلى السماء الثانية التي لا تُرى بالعين البشرية المجردة، السماء التي يسبّح فيها العديدُ من ملوك الجن العلويين، النجوم بارزة جداً ومشعة، إلى درجة أن عيون السيد - صوصاف - بدأت بالتأثر وعلى إثر ذلك سقطت دموعه من هيبة ما يراه.

أتى من البعيد رجلٌ ذو بنية جسمانية مخيفة، وشعر أسود كثيف جداً، يمتطي إحدى النجوم كالحصان، يصرخ وهو يطير بها:

"أنا ألبّي مطلبك يا كبير الصوصافيين، أنا في خدمة العالم الروحاني طالما حييت".

اقترب من سقف السيد - صوصاف- وهبط في غرفته والنجمة المشعة تحت أقدامه، نظر السيد - صوصاف - إلى النجمة بكل انبهار، وكأنه شعر بالسعادة لرؤيتها أكثر من رؤية ملك الجن، فجأة اختفت النجمة بهيئة حبيبات ذهبية انتشرت في المكان. بوجهه الملائكي، وبابتسامته الساحرة، وبثوبه الأزرق المشع، وبشعره الأسود الطويل اللامع، قال مبتسماً:

"كيف لي ألّا أحضر إلى مكان سيد الصوصافيين، الذي يملك القطعة النقدية الجنّية العلوية، التي لا تخرج من عائلتنا إلّا إلى الأشخاص الذين يستحقون ذلك".

"أشكركَ على لطفك وكرمك أيها الملك قيراث، أريد منك خدمة بسيطة".

"اتلُ عليّ ما تريده وسوف أحققه لك بلمح البصر!".

بدأ السيد - صوصاف - بشرح جميع ما يحتاجه من الملك - قيراث- والذي لم يكن متعجباً كثيراً ممّا يسمعه، وعندما انتهى الحوار قال:

"طلباتكَ لا تُناقش أيها الصوصافي، لك ما تريد، ولكن بشرط أن تخبر بذلك الطرف الآخر والذي يسمع حوارنا الآن، أستطيع أن أشعر به".

"أعرف بأنه يستمع إلينا ولكنني لم أسمح له بالدخول، شكراً لك على قبول دعوتي وتلبية طلبي".

أنزلَ ملك الجن رأسه بكل خضوع واحترام:

"نحن في خدمة الصوصافيين الأتقياء إلى أن تفنى هذه الدنيا ومن فيها."

قالها وطار بعيداً إلى السماء، رفع رأسه السيد - صوصاف- ورآه يمتطي نجمة أخرى، فابتسم وشعر بفرحة، وكأنّ هذا المشهد أنساه مشاكله مع الحكومة السياسية وحربها على الصوصافيين. أُغلقَ السقف من جديد. رجع الصوصافي إلى الأرض، أغمض عيونه، وقذف بالمزيد من البخور على المبخر قائلاً:

"تستطيع أن تدخل الآن يا أيها الملك ثانوه".

بسرعة البرق دخل الملك عبر إحدى حوائط الغرفة، والغضب يتصاعد من عيونه:

"تريد أن تضع فوقي ملكاً يا صوصاف؟ ألا تعلم من أنا؟ وماهي رتبتي في عالم الجن؟ كيف لك أن تهينني بهذه الصورة؟".

"لن يأتي هذا اليوم الذي أهينكَ فيه أو أقلل من شأنكَ يا صديقي، ولكن أريد لخطتي أن تنجح، وأنا خائفٌ عليك كثيراً، لابد أن يكون معك أحد يراقبك، ويراقب من يراقبك".

"طلبتَ مني أن أكون مستعداً لحجب ملوك الجن عن جميع الصوصافيين، وكان طلباً صعباً وقاسياً، ولكني خضعتُ لك لأنك تملكُني، ولأنك سيد الصوصافيين، ولكنني لن أسمح لك بأن تضع ملكاً آخر من الجن لمراقبتي".

"لن يراقبك يا ثانوه! سوف تشكلان فريقاً يصعب كسره، وأنا لديّ نظرة فيما أفعله، لا تناقشني كثيراً... أرجوك".

بدأ ملك الجن بالطيران حول جدران الغرفة، لقد كان يدور خمساً وأربعينَ دورة في سبعِ ثوانٍ! إلى أن استقرّ من جديد أمام وجه السيد صوصاف محاولاً أن يتمالك أعصابه:

"ماذا تريدني أن أفعل؟".

"لربما تستغرب من تصرفاتي، ولكنني واثقٌ بأن

الصوصافيين سينهزمون في هذه المعركة، ليس لدينا أي موشر يبعث لنا الأمل". رأى الصدمة على وجه ملك الجن، ولكنه قرر أن يكمل كلامه:

"لدي وصية لك، ولكن قبل أن أقولها لك... أريدك أن تطرد جميع الجن من المكان، القريب منهم والبعيد".

باستغراب كبير: "ولماذا؟".

"نفذ يا ثانوه!".

ملامح الملك توحي بأنه غير راضٍ عن طلبات السيد - صوصاف - ولكنه رفع يده عالياً وضربها بقوة على الأرض محدثاً زلزالاً صغيراً، ارتعشت رجلا السيد - صوصاف - من شدة الضربة.

"أؤكد لك الآن بأنَّ أحداً لن يستطيع أن يسمع حوارنا".

اتسعت عيون السيد - صوصاف- ورفع إصبعيه قائلاً:

"اقترب!".

"لماذا تريد مني الاقتراب؟ ما السبب الذي يجعلك تخاف حتى الآن؟ لقد أكدت لك بأن جميع الجن قد طردوا من هذا المكان".

لم يعلق على كلامه، ولكنه أمره بالاقتراب مرة أخرى من خلال إصبعيه. اقترب الملك منه، فبدأ الصوصافي بالهمس له، تغيرت ملامح ملك الجن و صُدمَ وغضب، رجع بضع خطوات إلى الخلف و قالَ غير مصدق:

"ماذا؟ تريدني أن أحمي هذا المعتوه؟ أنا لا أتشرف بسماع صوته، كيف لي أن أحميه؟ وأن أتبعه في كل مكان".

بدأ الغضب يتصاعد على وجه الصوصافي، فاقترب من ملك الجن دون رهبة أو خوف، وقال بنبرة قاسية ومخيفة:

"اسمعني يا ثانوه! لقد سئمتُ من تكرار طلباتي لك! أنتَ عليك أن تنفذها دون نقاش، ولكنني أحاورك لأنك صديقٌ قبل أن تكون مُلكاً لي".

قاطعه ملك الجن وهو ضائع ومرتبك:

"هل لهذا السبب تخلصتَ من سبحتك الصوصافية؟".

"إن مرت السنوات، وتعثّر حالي، وحُبست في السجن، وهذا وارد جداً، وتأكدتُ بأنك لم تنفذ وصيتي، فأنت ملعون يا ثانوه في الدنيا والآخرة".

رغم عدم قناعة ملك الجن بكلام الصوصافي، ولكنه لا يستطيع أن يكسر كلمته:

"حتى البخور الذي أشعلته من أجلي لم أستمتع به من هول ما سمعته منك يا صوصاف، ولكن لك مني السمع والطاعة، وصيتكَ سوف أبقيها أمام عيني طوال حياتي، لن أخذلك أبداً، هذا وعدٌ مني لك."

ابتسم الصوصافي بطمأنينة، أمسك ملك الجن من كتفه قائلاً:

"إذن الآن سوف أقول لك ماهيَ خطتي".

-7-

كم من مسجون كان دمه نقياً من فساد العالم، يجلس في زنزانته وينام مرتاحاً رغم ظلم الناس له، وذلك يعود ليقينه التام بأنه لم يكن على خطأ أبداً، هناك الكثيرون ممن ينامون في سجنهم بسبب ظلم العباد، هؤلاء هم الأتقياء عند الله، ولن يضيع شقاؤهم وتعبهم سدىً.

في إحدى محاكم المدينة، يظهر رجلٌ في العقد الخامس من عمره، بشوش الوجه، قصير القامة، ذو رأسٍ غزاه الشيب فرسم له وقاراً مُلفتاً. كانَ يضع يده على حديد الزنزانة، و عيناهُ حائرتان و مصدومتان، يرى القاضي وكأنه أمله الوحيد في الإنقاذ.

يوجد كثيرون من الناس و الصحفيين في المحكمة، ومن بينهم يجلس الساحر السيد - آمون - وهو مبتسمٌ بكل نصر، يوزع نظراته بين المسجون و القاضي الذي سيحكم بشيء سيجلب له راحة و طمأنينة. إنها أول محاكمة تنقل بشكل مباشر للعالم أجمع، فيها يتم النطق بعقاب أحد الصوصافيين الذين خالفوا قوانين البلدة، باستخدامه للبخور الروحاني وللخلوات الصوصافية.

يجلس القاضي الذي يبلغ العقد السابع من العمر على كرسيه الأسود الفخم، كان بديناً جداً، يضع نظارة طبية سميكة، رأسه أصلع ومستطيل الشكل، أسنانه الصفراء تدل على أنه مدخن من الدرجة الأولى، وتجاعيد وجهه تؤكد توالي السنوات عليه وهو يشغل وظيفته الحالية.

أمسكَ الأوراق التي أمامه وتمعَّن فيها، ألقى نظرة على الصوصافي الذي يجلس خلف القضبان.

اقتربت إحدى الصحفيات من الصوصافي وألتقطت له عدة صور، انزعجَ الصوصافي من تصرفها فصرخ متألماً:

"لا داعي لالتقاط الصور لي، فأنا لستُ بمجرمٍ، عليكم أن تلتقطوا صوركم في مكان آخر".

دبَّ الرعب في نفس الصحفية فرجعت إلى مكانها بسرعة.
ضرب القاضي بمطرقته الخشبية صائحاً:

"سكوت! اليوم سوف تتم محاكمة السيد - ابراهيم - والذي خالفَ قوانين مدينتنا الجديدة، و ثبتَ عليه بأنه كان يمارس الطقوس الصوصافية في منزله".

وجَّه القاضي نظرةُ إلى المسجون قائلاً: "ماهي أقوالك؟".

ابتسم الصوصافي بسخرية واضحة، وقال واثقاً:

"لقد ولدنا بدمٍ متشبّعٍ بالروحانيات الصوصافية، تعلمنا و كبرنا على مبادئ هذا العلم العظيم، قوانينكم الجديدة لا تهمّني، فأنا في نظر نفسي لستُ مذنباً، ولكنَّ الظالم يريد إقناع الجميع بأنه إنسانٌ رحيمٌ وقلبه على الجميع، وأنت يا سيدي القاضي إنسانٌ ظالم! حتى ولو كانت القوانين الجديدة قد أتت من السلطات العليا، عارٌ عليك أن تكون صامتاً ولا تنطق بكلمة الحق، أرجوك قل لي: ماهي تُهمتي؟ أطلقتُ بعضاً من البخور الروحاني ومارستُ طقوسنا الصوصافية؟ هل الصوصافية أصبحت جرماً؟ هل كشفُ أسرار الدنيا صار من الخطايا؟ عارٌ عليك يا سيدي القاضي، والعار يمشي على ظهور جميع الموجودين في هذه القاعة، الذين من المفترض أن ينصروا المظلوم، و ألّا يصفقوا للظالم".

ظهر الغضب على وجه الساحر - آمون- ولكنه تمالك أعصابه ونظر إلى القاضي، الذي بدوره شعر بالكثير من الغضب بسبب كلام الصوصافي، رفع أصبعه باتجاهه مهدداً:

"لستَ أنت من تقيّم الناس بين ظالم و مظلوم، في كل مكان في الدنيا هناك قوانين صارمة، تمنح الشعب الطمأنينة والراحة، ووجود الصوصافيين حولنا لن ينتج عنه سوى المشاكل، و عارٌ عليك تشكيككَ في قوانين السلطات العليا. حكمتُ عليك يا سيد - ابراهيم - بخمسين جلدة أمام أبناء البلدة كلهم، لتكون عبرة لمن يعتبر، ولكي نرسل رسالة واضحة لكل الصوصافيين، مفادها أنّ عهدكم قد انتهى! ونحن في بداية نهضة جديدة، تخلو من الروحانيات والخزعبلات

الصوصافية التي تندرج ضمن السحر الأسود. ولكن هذه لن تكون عقوبتك النهائية، فبعد انتهائك من عقاب الجَلد، سوف تُسجن لمدة عشرين سنة". ضرب القاضي بمطرقته قائلاً:

"رفعت الجلسة".

انهارَ الصوصافي داخل سجنه الصغير، وظهرت الابتسامة المخيفة على وجه الساحر - آمون-

و امتلأت القاعة بالأهازيج من المناصرين للحكم، و بالاحتجاجات من المعترضين عليه، وبدأت الصحافة بأخذ العديد من الصور لتخليد أول محاكمة للصوصافيين.

-8-

"أنت لا تعلم الغيب يا صوصاف! لماذا كل هذا التشاؤم؟".

نظر - صوصاف - إلى زوجته - فيروزا - وهما جالسان في غرفة المعيشة في منزلهما، كانت درجات التوتر العالية واضحة على وجنتيه الحمراوين، و عينيه المرهقتين مايؤكد أنهُ لم يذق طعم النوم طوالَ ليالٍ عديدة.

"صحيح بأنني لا أعلم الغيب، ولكني متيقن بأن هذه المعركة لن تكون سهلة، والصوصافيون سوف يتساقطون واحداً تلو الآخر".

كانت ابنتهما - هاميس - تسمع حوارهما من خلف الباب، ولكنها خرجت فجأة وركضت باتجاه حضن والدتها، وبكت بكاءً شديداً.

نظر إليها أبوها بحرقة، ولكنه لم يملك أية قدرة لكي يواسيها.

"صوصاف... أنتَ أكبر الصوصافيين في هذه البلدة، والجميع يتطلعون إليك، إياك أن تضعف! عنقك يحمل أمانة جميع العائلات الصوصافية الموجودة هنا، حتى ولو كنت تحارب جهة سياسية، فأنت أقوى بكثير مما تظن". قالتها فيروزا.

"القوة والشدة من الله سبحانه، و نحنُ نستمدها منه، عشتُ طوال حياتي أفني عمري و أنا في خدمة الصوصافيين، ولم أغير مسار طريقي عن العالم العلوي. كسبتُ معرفة الكثير من ملوك الجن، وإن حان موعد سقوطي، فأنا سوف أقع مرفوعَ الرأس يا فيروزا، لكل بداية نهاية في هذا العالم، ولكن ربما تكون هناك بداية جديدة بعد هذا النهاية".

ظهر القلق على وجه - فيروزا - وهي تلعب بشعر ابنتها وتواسيها:

"هل هذا يعني بأننا سوف نستسلم لقراراتهم الجديدة؟ ونسلم أرواحنا للسحرة الذين يتبعون العالم السفلي؟ ويشوهون سمعة

الصوصافيين مدَّعين بأنهم هم من يسلكون طريق السحر الأسود؟ هل يرضيك ذلك يا صوصاف؟".

"بالطبع لا يرضيني يا فيروزا يا حياتي، ولكن ثقي تماماً بأن كل شيء مكتوبٌ في الصحف العليا، لا نستطيع أن نغير الواقع! ولكن دعينا نستبشر خيراً في الأيام القادمة، لن أخدعك وأقول بأنها ستكون وردية على العالم الصوصافي، أنا أعلم بأنهم سيعانون لسنوات طويلة! وربما يختفي هذا الإرث قليلاً، ولكني أؤمن بأنَّ طريق الصواب هو الحل، الصوصافيون يمرضون ولكنهم لا يموتون!".

أوشكتْ فيروزا أن تفتح فمها مستكملة حوارها، ولكن فجأة خُلعَ باب المنزل، و دخلت عناصر الشرطة و أفرادها بأسلحتهم برفقة عمدة المدينة الساحر - آمون- الذي لا تختفي ابتسامته أبداً. صرخت فيروزا، وبكت ابنتها فزعاً. رمقَ - آمون - السيد - صوصاف- بنظرة لا يفهمها أحدٌ سواه.

نهضَ الصوصافي، وركعَ على الأرض ووضع يده فوق رأسه معلناً استسلامه. اقترب منه السيد - آمون - شامخاً، وقال بنبرة شريرة وواثقة:

"صوصاف! أنت متّهم بزرع الفتنة في أرض الجنة، وتعليم السحر الأسود للجماعة التي يُطلق عليها بالصوصافيين، لم تهب الله في الأطفال الذين يتبعون هذا العالم المظلم، ولَم تحترم قوانين البلدة الجديدة، وتظن بأنك أعلى من قادتنا السياسيين، سوف تُحاكم محاكمة أمام الملأ، وستُعاقب على جميع أفعالك".

أخذ صوصاف نفساً عميقاً و أخفضَ رأسه نحو الأرض، ومن ثمَّ قال ببرود واضح:

"أنا مستسلم... افعل ما شئت!".

شعر السيد - آمون - باستفزاز من برود السيد - صوصاف - فاقترب منه:

"ركوعكَ على الأرض يعجبني، فهذا المكان هو مكانك يا صوصاف، ومكاني أنا كما تراه... أعلى منك، لكي تراني

عليك أن ترفع رأسك عالياً. سنوات مرت وأنا أحاول أن أُطيح بهذه الجماعة الملعونة، وجاء اليوم الذي أراكَ فيه راكعاً أمامي".

رفع الصوصافي رأسهُ، وبثقة كبيرة وقوية قال:

"نحن لا نركع إلا لله سبحانه وتعالى، لا نفعل كما تفعل جماعة السحر الأسود، والذين ينتمون إلى العالم السفلي، نعم... أعنيكَ أنتَ و أتباعك، وإن هزمتني اليوم يا ساحر، فهذه نقطة لك، ولكن علينا أن نجمع النقاط في النهاية لنرى من هو الفائز".

ابتسم السيد - آمون - لكي يُظهر له بأنه لم يستفزّه إطلاقاً، ولكن في الواقع كان يغلي في داخله غضباً من كلمات السيد - صوصاف - و بإشارة منه جعل الحرس يأخذونه إلى الخارج. علت صيحات زوجته - فيروزا - وبكت الابنة الصغيرة وهي ترى والدها يؤخذ كالأسير مكسور الخاطر.

من الباحة الخارجية لمنزل صوصاف، تُرى جميع أبواب الصوصافيين وهي تُفتح، ويخرج الرجال من منازلهم مصدومين! الجميع مستغربون وينظرون إلى بعضهم برهبة. انتشرت الأحاديث والأقاويل بينهم:

"لماذا لا أستطيع أن أستفيد من أورادي الروحانية؟"

"وكأن قوتنا الصوصافية قد تعطلت!".

"لم أستطع أن أستدعي ملوك الجان الخاصين بي".

ومع صدمتهم لأنهم يواجهون سداً منيعاً خفياً، يمنعهم من استدعائهم لملوك الجن، ويُفشل مخططاتهم في خلواتهم الروحانية الصوصافية، سرعان ما صُدموا مرة أُخرى عندما رأوا السيد - صوصاف - وهو مكبل بالسلاسل، و عناصر الشرطة يسحبونه بقيادة السيد - آمون - المتفاخر بابتسامته الدالة على نصره الكبير.

مرَّ السيد - صوصاف - من أمامهم ورأى حجم الإحباط والحزن على وجوههم، فأنزل رأسه وهو يردد بصوت عالٍ:

"تذكروا بأنَّ الصوصافيين يمرضون، ولكنهم لا يموتون... لا

تنسوا ذلك".

نظر كل شخص إلى الآخر غير مصدقٍ لما يراه! و ظلّوا يرددون جملة الصوصافي الكبير:

"الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون

الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون".

-9-

اكتظ المكان بحضور جميع الناس، إنها محاكمة مختلفة من قبل الحكومة الجديدة، و الأمر المستجد أنّ من يجلس خلف القضبان، هو السيد - صوصاف - كبير جماعة الصوصافيين.

الكآبة تنبع من هذا المكان بالذات، وكأنها وردة سوداء اللون... في أواخر أيامها، يئستْ من سقاية صاحبها لها بالماء، فباتت تموت و تنبعث منها رائحة كريهة غير مستحبة.

المكان بأكمله ممتلئ بالصوصافيين، توجد زوجة السيد - صوصاف - وابنته وهما تنظران إليه بكل حسرة وألم، ولكنه كان يبادلهما الحسرة بالابتسامة الهادئة.

بالطبع السيد -آمون- موجودٌ وحرص على ذلك، لأنه تمنّى أن يرى هذا المشهد من سنوات عديدة، ولم يكفهِ أن يحضر إلى المكان وحيداً، بل جلب معه زوجته - كليوبترا - و ابنيْه التوءم - ليل - و -نهار- اللذين كانا صامتين من هول ما يرونه، فهما لم يحضرا في المحكمة من قبل. ولكن أصرَّ والدهما على أن يحضرا معه، لأنه أطلق على هذا اليوم اسم: يوم زفاف العالم السفلي!

الصوصافيون منهم من كان يبكي، ومنهم من ترى السواد يتوضّع تحت عينيه، نعم إنهم يعيشون حالة حداد على شخصٍ حتى الآن هو حي يرزق! ولكنَّ الغريب في الأمر أنّ المحكوم كان هادئاً مبتسماً وكأنه يعلم شيئاً لا يعلمه أحد، و لايفقه فيه أحد.

حضر القاضي إلى القاعة، نهض الجميع احتراماً له رغم أنهم يعلمون بأنه سوف يُصدر حكماً ظالماً بحق الصوصافيين.

نظر إلى الأوراق لعدة ثوانٍ، ومن ثم أطلق الرصاصة التي دخلت إلى قلوب الصوصافيين أجمعين حينما قال:

"حكمت المحكمة على السيد - صوصاف - بالحبس لمدة ثلاثين سنة قابلة للزيادة! وهذا الحكم سوف يكون تاريخياً وأول مرة يُنطق به في المحكمة، والزيادة في سنوات السجن ترجع

إلى نظرة الخبراء في تقييم حالة السيد - صوصاف - في فترة سجنه، وجاء هذا الحكم من بعد الأدلة التي لا غبار عليها، بأنَّ السيد - صوصاف - هو الرأس المدبر لعالم الصوصافيين الذي يُشجع على السحر الأسود، رُفعت الجلسة".

وبهذه البساطة تمَّ سجن السيد - صوصاف - مع ارتفاع صرخات الناس الموجودين في القاعة، بإشارة من السيد - صوصاف - ركضت زوجته إليه مسرعة، فهمس لها بكلمات غير مسموعة، اتسعت عينا زوجته - فيروزا - صدمة، فقال لها ملحاً:

"عديني أن تفعلي ما طلبتهُ منك يا فيروزا".

رغم حيرة زوجته من طلبه الغريب، ولكنها وافقت فوراً:

"أعدك يا صوصاف!".

"نلتقي بعد شهرين من الآن يا فيروزا حياتي".

قالها وسُحب بالقوة من قبل عنصر الأمن المسؤول في المحكمة، وكأنه مجرمٌ خطير لا يمكن الاستهانة به.

وقفت زوجته - فيروزا - مصدومة مما تراه! تتلفت إلى جميع الحضور الذين يصرخون بأعلى صوتهم:

"هذه إهانة للصوصافيين!".

"لن نسكت على هذا الظلم".

"الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون".

-10-

منذ إلقاء القبض على السيد - صوصاف - وأرض جنة الصوصافيين، أو أرض الجنة كما يُطلق عليها الآن، تعيش حالة عزاء!

وكأنَّ الورود قد ذُبلت، والرياح فقدت برودها المريح، والسماء ترفض أن تُنعم على الناس بمطرها الذي يُنقّي من الخطايا.

هل شعرتَ يوماً بأنك تعيش في حالة حداد، رغم أنه لا توجد لديك حالة وفاة؟ هذا هو حال الصوصافيين بعد حبس أكبر الصوصافيين في البلدة. كيف يُسجن وهم ينظرون إليه كمثل أعلى؟ هو المُخرج الوحيد من الصعاب، وهو المرجع الموثوق، بل هو جميع الكُتب والمعاجم والأبحاث الذي توجد على سطح الأرض.

لم يستطع أحد أن يعرف كيف يتصرف، الحكومة السياسية الجديدة كانت واضحة تماماً في إبادة العلم الصوصافي عن هذه الأرض. جميعهم أصبحوا مرضى نفسيين! يعيشون في حالة حزن لا تنتهي، فكيف تقطف الوردة من بستانها وتريدها أن تنمو وتزدهر؟ وكيف تكتم النَّفَس، و في نفس اللحظة تطلب من الناس أن يعيشوا؟ هذا ملخص كل صوصافي على أرضهم التي باتت غريبة عليهم.

ومازاد قلق الصوصافيين هو عدم مقدرتهم على التواصل مع الجن! أورادهم الروحانية لم تنقطع عن ألسنتهم، ولكنهم عاجزون تماماً عن الوصول إلى خدمات الجن الذين لم يفارقوهم منذ فترة طويلة، لا أحد يستطيع أن يعرف أين تكمن المشكلة، وكأنك يوماً ما تحظى بقوة خارقة، وفي اليوم التالي ستجد نفسك ضعيفاً جداً. الوضع أشبه بالحلم القاتل... الكابوس! الذي تريد أن تستيقظ منه وتأخذ أنفاسك بكل بساطة عندما تطمئن بأنها فترة وانتهت، ولكن للأسف ما يحدث الآن هو واقع، ولن يتبدل في يومٍ وليلة.

على الرغم من نجاح خطة الساحر - آمون - بالانقلاب

السياسي على جماعة الصوصافيين، إلا أن السحرة كانوا في فترة كساد وخمول، لم تكن هناك ثورة من السحرة على أرض الجنة، وكأنهم غير موجودين إطلاقاً! وهذا ما زاد من قلق الصوصافيين، فأصعب شيء تواجهه في أية معركة حياتية، هو ألّا تستطيع اكتشاف طريقة تفكير عدوك، ترى ماهي خطوته القادمة؟ ولماذا هذا الهدوء الغريب؟

جميع ما حدثَ من قبل الساحر - آمون - كان مدروساً بعناية، فهل من المنطقي أن يحدث انقلاب يرجّح كفة أبناء إبليس السفلي على الصوصافيين العلوين، ولم يكن مدروساً بالطريقة المثلى؟ جميع خبايا وخطط الساحر - آمون - سوف ترى النور في الوقت المناسب، فليس من الذكاء أن أطيح بالشخص المطلوب وآخذ مكانه، ولكن من العبقرية أن أجعله يقتنع بأنه مهزوم من بداية خطتي إلى آخر يومٍ في حياته الدنيوية.

صوصافيون

من يُشبّه الصوصافي بالساحر، كمن يشبّه التفاحة الفاسدة بالطازجة! هناك فروق عديدة وكثيرة ومن السهل الكشف عن صاحب الطريق العلوي، ورجل العالم السفلي.

الصوصافي العلوي يحظى بخدمة ملوك الجن من خلال المداومة على ذكر أوراده الصوصافية، وهنا تُكشف له العين الثالثة المعروفة، والتي من خلالها يستطيع أن يرى الجن ويتواصل معهم، حالهم حال البشر!

والساحر السفلي يملك العين الثالثة نفسها، ولكنه يتواصل مع أبناء إبليس السفليين، الذين يستطيعون فعل الكثير من خلال طلبات لا نستطيع الإفصاح عنها لشدة بشاعتها، و تدنيسها لرموز الأديان المقدسة.

الصوصافي العلوي عندما يصل إلى مراده فإنه يملك الدنيا وما فيها، فلا يحتاج إلى مال أو كماليات، لأنه سيرى العالم كله تحت أقدامه، وهذه الميزات تأتي كالمكافآت على إيمانه وإخلاصه للعالم العلوي.

ولكن الساحر من السهل كشفه عند التعامل معه، فهو دائماً ما يعرض عليك خدمات سحرية وخيالية، ولكن في المقابل يريد منك الأجر المادي، فكيف لهذا الرجل أن يملك أسرار الكون بأكملها وهو يطلب منك النقود؟ هناك شيء غير مفهوم ولكنه ملحوظ! الساحر السفلي باستطاعته أن يجعلك قوياً من خلال خدّامه الشياطين، ولكن بالطبع عليك أن تقبل بشروط من الممكن ألّا تتحملها طيلة حياتك. وهناك الكثيرون ممن فارقوا الحياة انتحاراً، بسبب عدم قدرتهم على مجاراة طلبات الجن السفليين، وزدْ على ذلك بأنَّ من يسلك العالم السفلي نادراً ما يستطيع أن يخرج منه معافىً و سليم! لأنهم لن يتركوه إلا عندما يبتزّوه بأغلى ما يملك، بحياته وبسلامة عائلته وبأعز الناس الذين ترعرع وكبر معهم.

ولكنَّ الصوصافي العلوي لا يطلب منك أموالاً أو شروطاً تعجيزية تتعارض مع مبادئك ومتعقداتك التابعة لملّتكَ

الخاصة.

نأتي إلى السؤال الأهم والأقوى: هل الصوصافيون العلويون كعبهم أعلى من السحرة السفليين؟ في الواقع نعم ولا! نعم لأنهم يستخدمون كتاب الله وأورادهم الروحانية التي من الممكن أن تدمر أي شيطان في هذه الدنيا، ولكن هل كل الشياطين بنفس القوة؟ هنا يقع الاختلاف، فالساحر السفلي ليس بهذا الضعف أبداً، هناك حكاية تاريخية في إحدى الدول المعروفة، تحكي عن بيتٍ مهجور وقديم! قررت بعض الجهات الخاصة هدمهُ وإعادة بنائه كفندق فخم، ولكن كلما أتى عمال الهدم كي يشرعوا بعملهم، يُفاجؤون بأن أدواتهم لا تعمل! زادت حيرة المُلاك الجدد بهذا المنزل الغريب! قرروا أن يطلبوا المساعدة من بعض الشيوخ الروحانيين، والغريب في الأمر أنهم جميعهم قد هربوا راكضين خارج المنزل، مدعين بأن من يسكن زوايا المكان هي قوى سفلية قوية جداً. هنا نعلم بأنه ليس كل من يسلك العالم العلوي يمتلك قوى خارقة. وحدهم الروحانيون والمُدرجون ضمن الصوصافيين يستطيعون أن يحاربوا أية قوة سفلية مهما كانت، ولكن كما يوجد ملوك علويون أقوياء جداً، هناك أيضاً قوى لا يستهان بها في العالم السفلي المسؤول عنه إبليس و جماعته، وأكبر مثال على هذا الكلام، هو ما يحدث في عالمنا الحالي، من حالات انتحار وقتل وسرقة واغتصاب، وأعمال لا تمت إلى الإنسانية بصلة أبداً.

الصوصافي العلوي قويٌّ بكل تأكيد، ولكن الساحر السفلي لايجب الاستهانة به أبداً.

-11-

مكتب أبيض اللون أطرافه الجلدية تدل على فخامة صناعته، و حرس من الشرطة يتجولون في المكان نظراً لأهميته الكبرى.

يجلس حاكم البلدة وهو مشغول الذهن، ينظر إلى الكثير من الأوراق التي تراكمت على مكتبه، تمر عليه أوقات يلعن نفسه فيها مئات المرات لأنه وافقَ على شغل هذا المنصب المتعب، ولكنه عندما يفكر في الامتيازات والمكافاة المغرية التي سوف تحوّل حياته إلى جنة رغداء، سرعان ما يطرد جميع هذه الأفكار من ذهنه، ويرجع إلى عمله المزدحم.

كان قرار تعيينه قد جاء إثرَ مشاورات حكومية وكبيرة في البلدة، لأنَّ ملفه الشخصي كان ثرياً جداً بالإنجازات السياسية، وهو نفسه من طلبَ تعيين الساحر - آمون - عمدة للبلدة، رغم رفض الجهات العليا لطلبه، ولكنه أصرَّ على وجوده معه، هو نفسه لا يعلم لماذا يريده بجانبه، وكأنه إحدى الدمى التي يتم التحكم بها عن بعد! في داخلهِ إحساس نفور من السيد - آمون - ولكنه في نفس الوقت يريده... يستلطفه، أهو نفاقٌ نفسي؟ أم سحرُ يجري في دمه؟ في الواقع سيادة الحاكم لا يعلم بماذا يشعر بالضبط.

فجأة وهو يفكر بالسيد - آمون - وبشخصيته الغريبة والمُريبة، يراه يدخل عليه فرحاً بابتسامته المرعبة التي تدل على خبثهِ ومكره، يهلل ويرحّب بحاكم البلدة، ورغم أنّ الحاكم يشعر بالنفور منه، ولكنه يجد نفسه مرغماً على الابتسام له، ورد تحيته ومعاملته أحسن معاملة. جلس السيد - آمون - على الكرسي المقابل للحاكم وهو يقول مبتسماً:

"ألا تشعر يا سيدي الحاكم بأنَّ البلدة بدأت تصبح أجمل عندما أغلقنا جميع أبواب الصوصافيين؟ ألم تتأكد الآن بأننا نعيش بسعادة وطمأنينة عندما صدرت جميع الأحكام الصارمة بحقهم؟".

نظر إليه الحاكم باستغراب، هذه العملية التطهيرية التي تُقام في البلدة ضد الصوصافيين، لم تُشعر الحاكم بأي إنجاز

يُذكر، ولكنه يتعجب من فرحة السيد - آمون - المبالغ فيها بعد معاقبة الصوصافيين على ممارسة سلوكهم وطقوسهم.

"نعم.. نعم يا سيد آمون، هذا ما نريد للشعب أن يشعر به، لهم الحق أن يعيشوا في بلدتهم بكل أمان وهدوء، والصوصافيون أصبحوا من الماضي. لن أسمح لأيّ كان أن يستخدم البخور الروحاني، وأن يقوم بخلوات روحانية يملؤها الدجل والسحر الأسود".

ابتسم السيد - آمون - برضاً تام، ومن ثم أخرج من جيبه ورقة بيضاء، وضعها أمام رئيس البلدة، الذي انتابه الشك والحيرة عند رؤيته لتلك الورقة.

تمعّن الحاكم في الورقة وبدأ في قراءتها، وسرعان ما تبدلت ملامح وجهه، ونهض من كرسيه غاضباً، وكأنه تمَّ سكب ماءٍ مغلي فوق رأسه:

"هل جُننتَ يا آمون؟ كيف تطلب مني هذا الطلب؟".

لم يخف السيد - آمون - من ردة فعل الحاكم، بل ظل مبتسماً وهادئاً. اقتربَ منه بثقة كبيرة، ووجَّه ناظريه إلى عينيهِ المرتبكتين:

"أظن بأنه قد حان الوقت لهذا الأمر يا سيدي الحاكم! أريد أن أريحك من هذا الكم الهائل المليء بالمشاكل الصوصافية. دعني أستلم القيادة منذ اليوم، وإن كنتَ تريد مناصبَ، فتستطيع أن تأخذ مكاني.. أي تصبح عمدة للمدينة".

احمرت وجنتا الحاكم غضباً، وشعر بأنَّ ضغط دمه بدأ بالارتفاع مع صعود وتيرة الحوار الغريبة، فوقف وصرخ مدّعياً القوة، رغم أنه يعلم في داخله بأنه ضعيف جداً أمام السيد - آمون - حتى ولو كان حاكماً لهذه المدينة:

"أريدكَ أن تأخذ هذه الورقة وتخرج من المكتب حالاً، وسأزيلكَ من منصب عمدة المدينة، لقد تماديت كثيراً يا آمون!".

يمسك السيد -آمون - بيد الحاكم، ويجلسه على الكرسي كالطفل:

"اجلس يا سيدي الحاكم، لا أريدك أن تغضب أبداً، سأريكَ شيئاً مميزاً".

يُخرج من جيبهِ بلورة صغيرة، تحتوي على سائل بنفسجي اللون، يشع كالقمر! انبهر الحاكم وكأنه قد سُحر من جمال البلورة. طلب السيد - آمون - منه أن يفتحها لكي يشمّ رائحتها الزكية، وبالفعل فعلها، وسرعان ما تحول السائل إلى بخارٍ يدخل في جهاز الحاكم التنفسي. تحولت عيناه إلى اللون الأسود الحالك، بدا كالرجل الآلي الذي يتم التحكم به. اقترب السيد - آمون - من إذنه هامساً:

"سوف توقّع الآن على هذه الورقة، وتعلنني غداً حاكماً جديداً على هذه المدينة، من بعد أن تقنع السلطات السياسية بأن هذا المنصب يحتاج خبرتي مع جماعة الصوصافيين، وعندما تنتهي مراسيم تنصيبي، أريدك أن تقتل نفسك دون نقاش!".

"حسناً!". قالها الحاكم وكأن السحر تغلغلَ إلى روحه، وتحكَّم في أعصابه وقراراته.

ابتسم السيد -آمون - بخبث قائلاً:

"كلا...كلا! حسناً... ماذا؟".

"حسناً يا سيدي الحاكم!".

وضع الساحر يده على رأس حاكم المدينة، وكأنه يداعب كلباً قد انصاع لأوامره.

صوصافيون

كما ذكرنا سابقاً فإن الصوصافيين موجودون في كل مكان، ينتمون إلى جميع الأديان، ولكن طرقهم مختلفة، والأساس يبقى ثابتاً.

الجن موجودون قبل الإنس منذ سنوات عديدة، أي أنهم شهدوا على ظهور جميع الأديان على هذه الكرة الأرضية، وهذا يعني بأن عالم الروحانيات الذي اندرج تحته علم الصوصافيين، لا يقتصر أبداً على ديانة واحدة فقط.

هناك قولٌ شهيرٌ وأظنُّ بأن الجميع قد سمعوا به وهو: "لكل شيخٍ طريقة ". هنا تكمن الاختلافات بين جميع الصوصافيين الموجودين معنا.

ثمة مدارس عديدة، شيوخ مختلفون، طرق ربما تختلف في شروطها وأحكامها، جميع أتباعها يرفعون راية الصوصافيين عالياً.

مبدؤهم واحد، الصلاح والصواب والطريق إلى الأبواب العلوية، لا يوجد بينهم شخصٌ ينتمي إلى العالم السفلي، ومن يفكر في ذلك، فإنه يُطرد كما طُرد إبليس من جنة الله سبحانه وتعالى.

بخّورهم الروحاني متشابه، وطقوسهم أيضاً لا تختلف كثيراً، ولكن يبقى الأساس، والأذكار التي تختلف ولكنها تتشابه في المعاني السامية والعالية.

هناك مدرسة "الباء "وأيضاً مدرسة "القاف "وتوجد مدرسة "الألف "ونختصرها إلى حروفها الأولية خوفاً من غضب الصوصافيين! نعم، فهم يغضبون أيضاً إذا تمَّ ذكرهم دون علمهم، ولأننا نحترمهم جداً، فلن يتم ذكرُ أسماء المدارس الحقيقية، والمشايخ المسؤولين عنها.

في الماضي كان وجودهم طاغياً في كل أنحاء العالم، ولكن سرعان ما بدأ يخفت وميضهم لسببٍ تم ذكره من قبل، وهو محاربة الجميع لهم، نادراً ما تجد المدارس الصوصافية في

أية بلدة، ومستحيل أن تجدهم يهتفون بعلمهم بأعلى صوتهم. هم يعلمون بأنهم على صواب وهذا كافٍ ووافٍ لهم ولجميع من يؤمنون بهم. باختصار... عالم الصوصافيين هو العالم السحري الحقيقي الذي يشبّهونه هذه الأيام بالحكايات والروايات والأفلام الخيالية التي تعتمد أفكارها على عالم الماورائيات، لأنَّ هذا العالم تمَّ اكتشافه من قبلهم، نعم وحدهم الصوصافيون من أخرجوا كنوز وأسرار هذه الدنيا.

-12-

في غرفة مربعة وصغيرة، يجتاح زواياها النور من ذاك الشباك الصغير الموجود في الأعلى، والذي يُحرس بعناية من قبل الأسلاك الحديدية.

يوجدُ فيها ستة رجالٍ قد حُبسوا لأسباب كثيرة ومختلفة. يجلس السيد - صوصاف - على الأرض وهو يضع يده على رأسه، يعيش حالة حزن وضياع، وكأنَّ الزمن قد كتب عليه أن يعيش مر الدنيا واختباراتها الصعبة.

هناك رجلان يجلسان أمامه ويتهامسان بضحكات خبيثة، حاول السيد - صوصاف - ألا يدخل معهم في نقاش لا يغني من جوع، ولكن ضحكاتهم المستفزة وكلماتهم الجارحة جعلته يشعر وكأنه سينفجر. وقف بكل غضب، وكأنه أسدٌ سيهجم على فريسته:

"ما المضحك يا ترى؟ هل لكما أن تشاركا الجميع حديثكما الشيق؟".

وقف أحد الرجلين، كان أسمر البشرة، طويل القامة، سمين الجسد، على وجهه ندبة كبيرة ناتجة عن جرح سكين حادة، من المتوقع بأنها طُبعت على وجهه إثرَ مشاجرة جرت في حياته البائسة. اقترب من السيد - صوصاف - بصعوبة بسبب الشحوم والدهون التي تملأ جسده:

"نضحك عليك يا صوصاف! أين كنت.. وأين صرت الآن؟ أين هم ملوكك العلويون؟ لماذا لا يأتون لإنقاذك؟ أين أسرارك الصوصافية التي تستطيع أن تنقلك إلى أي مكان بلمح البصر؟ هل هذه نهايتك أيها العلوي الخسيس؟ ربما لا تذكرني، ولكنك حرمتني من أخي وصديقي عندما أمرتَ بالهجوم عليهما".

نظر إليه السيد - صوصاف - بغضب، ولكنه تكلَّم بهدوء ملحوظ:

"أظن بأنَّ صديقك وأخاك كانا من أتباع إبليس، لا أحملُ في

داخلي أسفاً على من يتبعون درجات العالم السفلي".

الغريب في الأمر، أنّ الرجل لم يُستفز من كلام السيد - صوصاف - فقال له مبتسماً بمكر:

"كلامك هذا ربما تكون له دلالات قوية في الماضي، ولكن الآن نحن نعيش في العهد الجديد، مدينة بلا صوصافيين! سوف نكتسحها بالعالم السفلي، وبأبناء إبليس الذين لا يعجبوك، سوف يكونون أسيادك يا عبد".

شدَّ السيد - صوصاف - على قبضة يده، محاولاً أن يمسك أعصابه، فمشاكل الدنيا جميعها تتجمّع فوق رأسه، وليس من الحكمة أن يدخل في دهاليز السجناء، وخاصةً السحرة السفليين الذين يمسكون زمام الأمور اليوم في هذه المدينة.

أعطى السيد - صوصاف - ظهره للرجل وذهب باتجاه حديد الزنزانة وأمسكه بيده بقوة، وكأنه يعجنه كالمخبوزات، ويخرج غضبه عليه.

ضحك الرجل بصوت مستفز، و اتّجهَ إلى صديقه الجالس على الأرض، وقال بصوت مسموع:

"هل رأيته كيف يتهرب مني؟ هل هذا هو رئيس الصوصافيين؟ أهذا ما كنا نهابه؟ إنه نكرة، وسوف يموت مع كل من يقف أمامنا. . .نحن السحرة السفليين".

أغمضَ السيد - صوصاف - عينيه وهو يردد بينه وبين نفسه الجملة التي يؤمن بها، ويعرف بأنها هي الصواب:

"الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون!".

-13-

حوائط سوداء شبيهة بالموت، ومكان ليست له ملامح سوى الكآبة، هنا يجلس ابنا الساحر التوءم - ليل - و - نهار - أمامهما مبخر دائري الشكل، لونه كدم الغزال، منحوت بعناية وبجمال ساحر للعيون، و فيه أحرف متفرقة مكتوبة باللغة السريانية الخاصة بالجن.

أخذ - ليل - حبات البخور ورماها في المبخر وأشعله. انطلقت الرائحة الغريبة والجاذبة في أنحاء المكان، نهضَ - نهار - من مكانه مفزوعاً:

"ماذا تفعل يا أخي؟ ألا تعلم بأن البخور الروحاني ممنوع في بلدة أرض الجنة؟".

ضحك - ليل - غير مبالٍ، وطلب بإشارة من إصبعه جلوس أخيه. جلس وهو مغلوبٌ على أمره، تتملّكهُ مشاعر الخوف والقلق، قال ليل بسخرية:

"ومَن الذي يتجرأ أن يطرق باب منزل عمدة المدينة؟ أبونا الذي سوف يتم تنصيبه كحاكم لهذه البلدة، هل تعلم ما يعني هذا يا أخي؟ سنكون أحراراً وننشر تعاليم العالم السفلي بكل حرية. الصوصافيون الأوغاد سوف يذوقون عذابنا الذي عشناه لسنوات طويلة، أغمضْ عينيك لثوانٍ، وفكر بحالك عندما يراكَ جميع هؤلاء الناس ابناً لحاكم المدينة، كيف سيكون حالنا يا أخي؟ ماهي الميزات الرهيبة التي سنحظى بها؟ سوف نضع يدنا على كل شيء، ولن يستطيع أحد إيقافنا".

نظر - نهار - إلى أخيه دون اقتناع، ومن ثم قال متسائلاً:

"ولكن ما الذي سوف يحدث للصوصافيين؟ لا أراه عدلاً أن يتم طمسهم بهذا الشكل، فهم يملكون زوجات وأبناء، كيف سيعيشون بعد هذه القوانين الجديدة؟".

ظهر الغضب الشديد على وجه - ليل - فزجرَ أخاه بشدة:

"ألم تستحِ وأنت ترى عقلك وقلبك يتجه إلى صف الصوصافيين؟ دعهم يذهبون إلى الجحيم، لا يعنونَ لي شيئاً

أبداً، دع عنك هذه الخزعبلات وأبدأ في تحضير الطلسم الخاص بالجنية - الصغيرة - ملكة الجن المسؤولة عن إشباع رغبات بني آدم، سوف أريك العجب في هذه الليلة يا أخي.

أخذ - نهار - قلم الريشة الموضوع أمامه بيده المرتجفة، وأمسك بالورقة الصفراء التي تبدو غريبة بعض الشيء، متوسطة الحجم، لونها رمليٌّ، متقطعة من الأطراف.

اقتربَ - ليل - من أخيه وبدأ يهمس في إذنه، فكتب - نهار - حروفاً متفرقة على الورقة التي يمسك بها.

وعندما انتهى من الكتابة، أخذ - ليل - الورقة ورسم على أطرافها مثلثات عديدة، ووضع أرقاماً متفرقة على بعض الأحرف المكتوبة، وابتسم وهو يعطيها لأخيه.

أمسك - نهار - بالورقة ووضعها في كف يده، ورفعها فوق المبخر الذي ينشر البخور الروحاني في جلستهما، أغلق عينيه وبدأ يهمس بكلمات غير مسموعة، ارتجفت يده بطريقة مفاجئة، ووصلت الرعشة إلى جميع أنحاء جسده. كان - ليل - يراقب المشهد وهو مبتسمٌ، فخورٌ بأخيه الذي بدأ يدخل في العالم السفلي، إلى أن اختفت الورقة من كفه بطريقة سحرية! رجع - نهار - بضع خطوات إلى الخلف وهو مرعوب، نظر إليه أخيه مستغرباً:

"أين اختفت الورقة؟ لقد كانت في كفّي! ماذا سيحدث الآن يا أخي؟".

رفع - ليل - يده إلى الجهة الأُخرى من الغرفة، التفت أخوه فوجد قطة سوداء، بذيل قرمزي اللون، سوادها يظهر بدرجة خلابة، عيناها واسعتان و لهما رموش طويلة جداً، ركضت القطة وارتمت على جسد - نهار - الذي شعر بالخوف منها، ولكنه في النهاية أمسكها وربّت عليها بكل حنان، بدأ يشعر بالأمان من جديد. نهض - ليل - من مكانه وأخذ القطة ووضعها على الأرض، أمسك بيد أخيه وجعله يقف أمامه و أعطى ظهره للمخلوقة السوداء.

أمسكَ رأس أخيه بحزم وهو مبتسمٌ:

"هذا الطلسم الذي علّمتك إياه جلبَ إليك الملكة - صغيرة - وهي هدية منّي لك يا أخي، لقد كبرتَ وتستحق أن تعيش هذا الشعور، ولابد من أن تطبقه كي ترضى عنك جماعة السحرة السفليين. سوف ترى جمال وروعة العالم السفلي، وكيف نحن أقوياء بصحبة ملوك الجن الأبالسة، سأخرج من الغرفة، وعندما أغلق الباب أريدك أن تلتف وترى القطة من جديد".

رغم ذهول - نهار - من كلمات أخيه، إلّا أنهُ وافق على الفور. خرج - ليل - من الغرفة وأغلق الباب، استدارَ - نهار - بجسده بكل حذر وخوف، رأى القطة تنظر إليه بطريقة غريبة، وكأنها تركز على تفاصيل وجهه و تتفحّصهُ. وماهي إلا ثوانٍ بسيطة، حتى تحولت القطة إلى فتاة سوداء البشرة، عيناها زرقاوان لامعتان، شعرها لا يختلف سواداً عن درجة لون جسدها، ولكنه طويلٌ ولامع وساحر، مفاتن جسدها واضحة كوضوح الشمس، لديها ابتسامة أخاذة وجمال يوسفي. اقتربت منه وأمسكت يده، فشعرَ - نهار - ببرودة قارسة تأتي من جسدها، وكأنها تعيش في مناخ متجمد! وضعت يده على قلبها وقالت:

"أنا الآن لكَ، وسوف أفعل ما تأمر به أيها السفلي الجميل!".

-14-

جمهور غفير، واستعدادات ضخمة وسط بلدة أرض الجنة، الأغاني والاحتفالات حاضرة بقوة، وجميع أبناء البلدة ينتظرون الخبر الهام الذي تطلّبَ حضورهم اليوم.

هذه الحكومة السياسية الجديدة زرعت فيهم الثقة العمياء، فمنذ أن تمّ الإعلان بأن هناك قرارات شعبية هامة وجديدة، اجتمعوا جميعهم وهم واثقون بأنهم سيفرحون بأي نبأ سوف يخرج من الحكومة التي بدّلت حال المدينة، وغيّرت ملامحها لتتناغم مع طموح الشعب...ويقُصد بالشعب أهل الطبقة الكارهة للصوصافيين.

الصحافة كعادتها موجودة لنقل ولتغطية هذا الإعلان الهام. الصوصافيون موجودون أيضاً في المكان، فأنسب طريقة لفهم عدوك هي الاستماع إليه و إلى أفكاره. من السهل علينا التمييز بين الصوصافيين وكارهيهم، علينا فقط أن ننظر إلى الوجوه بتمعن، فالكارهون يضحكون وأصوات أحاديثهم عالية جداً، والصوصافيون يغلب على ملامحهم الكآبة والحزن الشديد.

."مساء الخير أيها الشعب العظيم...شعب بلدة أرض الجنة"

بدأ بهذه الكلمات، واستطاع أن يلفت الأنظار إليه وهو يقف أمام الميكروفون، لقد كان حاكم البلدة، كان يقف خلفه عمدة المدينة السيد -آمون - وبجانبه تقف زوجته - كليوبترا- وبجانبها أيضاً يقف طفلاهما التوءم - ليل - و نهار -. أكملَ حاكم البلدة حديثه بوجه شاحب وغريب، وكأنَّ الدم لم يكن يندفع في جسده:

"شكرا ًلحضوركم الكريم، هذه البلدة عظيمة جداً بوجودكم فيها، عندما أرى الكم الهائل من الحضور، فأنا أتيقّن بألّا خوف علينا من الأعداء لأننا نملك جيشاً وفياً يحب بلدته. لقد اجتمعتُ مع القادة السياسيين، وقررنا تعديل أمرٍ سيكون في مصلحة الجميع".

ابتسم السيد -آمون - لأنه أخيراً سوف يصل إلى مبتغاه، وضغط على يد زوجته مشاركاً إياها هذه اللحظة التاريخية.

"منذُ أن توليت حكم هذه البلدة، ونحن في خطوات ثابتة لمحاربة الفساد والمفسدين، أصبحت أرضنا تتنفس بدون ضغوطات الصوصافيين وسحرهم الأسود".

بانت علامات عدم الرضى على الحضور من الصوصافيين، لقد شعروا بالإهانة الكبرى من حديث الحاكم، ولكنهم مقتنعون بأنهم لن يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم.

أكمل الحاكم حديثه، وقرر أن يفجّر قنبلته الجديدة. أمسكَ بيد السيد - آمون - وجعله يقف بجانبه قائلاً:

"لقد رأينا بأنَّ السيد - آمون - من أكثر الأشخاص حرصاً وخبرة في إدارة شؤون البلدة، هو من حرركم من الصوصافيين بأفكاره النقية، وهو من وضع لنا خارطة الطريق الصحيحة، ومن بعد مشاورات وقرارات مع الحكومة، قررتُ أن أتنازل عن حكم البلدة وأعطيها للصديق السيد - آمون -، وأعلم - بل أثق - بأنكم سوف تكونون في أيدٍ أمينة، أما أنا فساكون موجوداً حين تطلبني الحكومة لأي منصب يكون في خدمة شعب بلدة أرض الجنة.. .شكراً لكم".

صفق الجميع بحرارة وبإعجاب على هذا القرار الجديد، وارتسمت الخيبة على وجوه الصوصافيين، لقد شعروا بأنهم سوف يعيشون أياماً أشدّ سواداً من الليالي الحالية.

نزلَ الحاكم من مكانه، فرفع السيد - آمون - يده كالبطل الجديد لتحية أهل البلدة، جعل زوجته وأبناءه يقفون بجانبه، فقال متفاخراً وبنبرة قوية:

"أريد أن أشكر الحكومة الموقرة لتقليدي هذا المنصب الكبير والحساس، وأريد أن أشكركم أيضاً على تقبّلي بكل صدر رحب، أعاهدكم اليوم بأنَّ البلدة سوف تكون من أجمل بقاع الأرض، لن أغير قناعاتي وسياساتي التي بدأتُ بها. الصوصافيون غير مرحّب بهم في هذه الأرض! نريد أن نعيش بسلام دون سحرهم الأسود، يحق لنا أن نؤمّن أنفسنا ومستقبل

أحفادنا من طقوسهم المهلكة. لقد كنتُ مواطناً عادياً في هذه البلدة، وأصبحت عمدة لها واليوم أنا الحاكم، ولكن ثقوا تماماً بأنني أنا - آمون - المواطن البسيط، لن أتغير أو أتكبر عليكم، تستطيعون التواصل معي في أي وقت، مكتبي ومنزلي مفتوحان لكم حتى آخر يوم لي في الحكم.

وأول قرار سوف أتخذه هو تعيين زوجتي السيدة - كليوبترا -عمدة لهذه المدينة العريقة، وصدقوني أنا لم أعيّنها لأنها شريكة حياتي، بل لأنني واثقٌ بأنها ستكون الشخص المناسب في المكان المناسب، وسترون بأنفسكم تحركاتها وعملها المتقن في محاربة الصوصافيين وسحرهم الأسود...شكراً لكم".

قالها، فبدأ الحضور يصفقون بحرارة، أما الصوصافيون فبدؤوا بالانسحاب واحداً تلو الأخر.

-15-

يدخل الساحر - آمون - إلى مكتبه الجديد في قصر الحكم، ينظر إلى المكان وهو مبتسم بكل انتصار و انشراح، يشمّ الهواء وكأنه يتنفس للمرة الأُولى في حياته، يتحسس أطراف المكتب الجلدي الفخم بأطراف يده، وكأنه يقول للمكان بأنه ملكُ له، و قد استحقه بعد كل التعب والمشقة والأفكار الإبليسية التي خرجت من ذهنه الذهبي.

يُطرق الباب، ويدخل سكرتيره الخاص، الذي تمَّ تعيينه من قبله شخصياً، وبالطبع سوف يكون من أحد أتباعه الذين يسلكون الطريق السفلي.

"عذراً يا سيدي، ولكنك لن تتوقع من يطلب رؤيتك في الخارج".

التفتَ السيد - آمون - بحيرة: "من؟".

"إنه السيد يعقوب، صديق السيد صوصاف الذي تمَّ سجنه مؤخراً".

برقت عينا السيد - آمون - وتراقصتا فرحاً، ولكنه يعرف سر هذه الزيارة، فطلب من سكرتيره الشخصي أن يأتي به إلى الداخل.

جلسَ السيد - آمون - خلفَ مكتبه بكل شموخ وعزة، وماهي إلا لحظات حتى دخل السيد - يعقوب - إلى المكتب، ملامحهُ تعبة، وهناك مؤشرات جسدية واضحة، توحي بأنه لا يريد المثول في هذا المكان.

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

نظر إليه السيد - آمون - مبتسماً، فقرر أن يستمتع بهذا اللقاء بطريقته الخاصة:

"مساء النور، كيف أستطيع أن أخدمك يا يعقوب؟".

شعر السيد - يعقوب - بنبرة السخرية التي صدرت عن السيد -آمون -، فهو حتى لم يرد السلام بطريقة لائقة. و بعد تلعثمه بسبب الغصّة التي يشعر بها في قلبه حول الأحداث

الأخيرة الصادمة لمعشر الصوصافيين، قال بطريقة هادئة:

"جئتكَ اليوم لكي أطلب منك طلباً، وأشعر بأنه من حقي، لأنني في البداية والنهاية مواطنٌ حالي كحال غيري في أرض جنة الوصافيو..". قاطعه السيد - آمون - غاضباً:

"إنها أرض الجنة... أرض الجنة! إياك أن تنسى هذا الشيء".

ابتسم السيد - يعقوب - وحرَّك رأسه يميناً وشمالاً ليثبت له بأنه غير مقتنع:

"مسمَّى البلدة لا يعنيني حالياً، بما أنكَ قد أصبحت حاكمها، فعليك أن تستمع إلى شكاوي المواطنين".

"إنك تطيل الحديث بلا فائدة، قل ماهي مشكلتك؟ فأنا لا أملك كل الوقت لك، جدولي مزدحم وأنت تعلم هذا".

"حسناً! شكواي هي بلساني وبلسان جميع أصدقائي وعائلاتهم، نحن نخسر وظائفنا لأسباب غير معروفة، الكثيرون من الصوصافيين يضطهدون بصورة مباشرة، وهذا الشيء لا ينبع من العدل".

أخرج السيد -آمون -قطعة من النقود من جيبه، وبدأ يلعب بها، يقذف بها في الهواء وتسكن في يده، وقال غير مبالٍ:

"من هم الصوصافيون يا ترى؟ هل نسيتَ بأننا في العهد الجديد؟ ولا يوجد تمييز بين الناس، لا يوجد صوصافيون بعد الآن يا يعقوب، وأنت تعي هذا الشيء".

"لن أجادلكَ في إرث جبار قد تُرك من قبل أجدادنا، الصوصافية تسري في دمائنا، ولا نحتاج إلى أن نثبت لكم الأمر. وإن كنتَ ترى بأنَّ العهد الجديد لا يحمل تفرقة، فعليك حماية وظائفنا. كيف سنطعم أبناءنا وزواجاتنا؟، نحن نُحرم من أبسط حقوقنا في هذه البلدة".

وضع السيد - آمون - القطعة النقدية على المكتب، ووقف أمام السيد - يعقوب - مبتسماً:

"اسمعني جيداً... الوظائف تُوزّع بطريقة عادلة جداً، وإن

طُرد أحدكم من مكانه، فهذا يدل على إهماله وعدم حرفيّته في عمله، هل تريدني أن أتوسَّط لكم ظلماً كي تعودوا إلى وظائفكم؟".

"ظلماً؟ وهل من العدل أن نخسر مصدر رزقنا بهذه السهولة؟ إنكم تُعدمون حياة الصوصافيين، وتضعون السفليين في أماكننا".

ظهر الغضب الشديد على وجه السيد - آمون - فصرخ مزمجراً:

"اسمعني جيداً، عندما تتكلم مع الحاكم فأنصحكَ أن تختار كلماتك بعناية، وإلا رميتكَ في السجن مع صديقك صوصاف... صوصاف! هل تتذكره؟ قلت لك بأن الوظائف تُوزّع على الأنسب من الناس، وإن كنت تبحث عن وظيفة فأستطيع أن أعطيك واحدة، وسوف أكون كريماً معك، وظيفة لك ولزوجتك الجميلة: تستطيعان أن تنظفا دورات المياه الخاصة ببيوت الناس السفليين الذين لا يعجبونك، وأعدك إن عملتَ بجهد في تنظيفها، فسوف أعطيك إكرامية مناسبة". أنهى السيد - آمون - حديثهُ بابتسامة خبيثة ومستفزة. شعر السيد - يعقوب - بإهانة كبيرة، فنظر إليه بغضب شديد، وقرر أن يخرج من المكتب دون رضا.

-16-

يجلس السيد - صوصاف - على أرضية السجن، رائحة المكان كريهة جداً، ينتشر في زواياها القيء المقزز، والطاقة الصادرة من أجساد المساجين تشبه الموت، وهذه الأجواء لم يتعود عليها الصوصافي الكبير، ولكن كُتب عليه أن يُسجن ظلماً، ويتحمل قدرهُ المكتوب عليه من المولى عز وجل.

كان يتمتم بكلمات غير مسموعة، ويستخدم أصابع يده لكي يحسب أذكاره الصوصافية، لم ينقطع عنها أبداً مُنذ أن سَجن.

لقد اعتاد على مضايقات الناس له، فجميع من يشاركونه المكان، هم بالأساس من أتباع الطريق السفلي، إلا من رحمَ ربي، الذي يهتمون بشؤونهم الخاصة.

رفع رأسه فجأة عندما سمع حارس السجن ينادي باسمه:

"صوصاف...صوصاف! هناك من يريد رؤيتك!".

نهض الصوصافي من مكانه، وخرج من الزنزانة، ودخل إلى مكتب صغير الحجم، رأى زوجته - فيروزا - تستقبله بعيون دامعة و بابتسامة مكسورة، كانت برفقتها ابنتها - هاميس - وولدٌ عمره مقارب لعمر ابنتهما.

حضنَ زوجته بحرارة بالغة، شعر بالأمان الذي فقده في الفترة الماضية، جلسا على عجل، وكأن عقارب الساعة تطاردهما لكي تُطيح بهما في أية لحظة.

"طمئنني عنك يا صوصاف، أكاد أجن وأنا أفكر بك كل يوم".

"أنا بخير يا فيروزا، أنا سعيد جداً برؤيتكم". وجَّه ناظرهُ إلى ابنته التي تبتسم له بحزن، فأخذها في حضنه، ومن ثم رأى الولد الذي جلبتهُ زوجته معها.

"كم يسعدني بأنكِ نجحتِ في الخطة، وجلبتِ الفتى لي".

نظرت زوجته إلى الصبي وهي خائفة، إلى درجة أن قطرات عرقها بدأت تتساقط من جبهتها:

"لا أعلم كيف خطفتهُ من منزله يا صوصاف! ولا أستطيع

تفسير كيف دخلتُ به إلى هنا، قل لي: ماذا يحدث؟ فأنا سوف أفقد عقلي، ما الذي تخطط له يا عزيزي؟".

"في البداية خبر خطفكِ لهذا الفتى سوف ينتشر قريباً، وستصدر عقوبات وخيمة، ولكن لابد من أن نضحي من أجل مستقبل الصوصافيين، ودخولك به إلى هنا كان سراً... نعم هو سر! فلا أحد يستطيع رؤيته غيرنا، لقد وضعتُ عليه تعويذة، وهو لا يستطيع أن يتكلم الآن أو يشعر بشيء، إنه كالروح الداخلة في حالة غيبوبة، وجميع ما أفعله الآن قد خططتُ له مسبقاً، وأتمنى من الله أن يهبني المزيد من الحكمة لكي أستطيع مواصلة خطتي في الإطاحة بالساحر - آمون - واسترجاع هذه البلدة للصوصافيين".

"حسناً! أريد أن أعرف الآن: ماهي الخطوة القادمة؟".

"بمجرد أن تخرجي من هذا المكان، أريدكِ أن تخبّئي الفتى في منزلنا، لا أريده أن يرجع إلى عائلته الآن، نحن نخسر الجولة الأُولى أمام الساحر آمون وجماعته السفلية، ولكنني أرى أمامي شيئاً لا ترونه يا فيروزا، أريدكِ أن تثقي بي، فسرعان ما سينقلب الحال على الساحر آمون، وسيجد نفسه في ورطة كبيرة، تجعل الأرض تتزلزل من تحت أقدامه و أقدام جماعته، ولكنها لن تكون النهاية لهم".

نظرت إليه زوجته وهي في حالة توهان وضياع:

"حتى الآن يا صوصاف لم أفهم شيئاً، ماهي خطتك؟ أرجوكَ صارحني".

نظر الصوصافي إلى ابنته و إلى الفتى الذي يقفُ بجانبها، لقد كانت هناك طاقة تنافريّة بين الاثنين وواضحة وضوح الشمس، جعلهما يقتربان منه. أمسكَ برأسيهما وبدأ يقرأ إحدى التعويذات الخاصة به، سرعان ما خرجَ شعاع أحمر اللون، وتغلغلَ في جسميهما، في الزاوية التي يسكن فيها قلبيهما بالتحديد.

نظرت ابنته إلى الفتى الواقف بجانبها بانبهار، شعرت بأمان كبير يغشى أحاسيسها بطريقة مفاجئة، والفتى شعر بنفس

الشيء، وسرعان ما وضع الفتى يده في يد ابنة الصوصافي وابتسما لبعضهما البعض بكل حب وإعجاب، رغم صغر سنهما إلا أنهما ومن خلال تعويذة الصوصافي، وقعا في شباك الحب!

نظرت زوجة الصوصافي غير مصدقة: "ما الذي فعلته يا صوصاف؟ كيف تأمر الحب بأن يعيش في موطنٍ ينتشر فيه الأعداء؟".

"فعلتُ ماهو ضروريٌّ يا فيروزا!".

"الحب يأتي بالفطرة، وبالمعاشرة يا صوصاف، ولا يأتي بالتعاويذ حتى لو كانت مباركة وعلوية، أنت تتحكم في مصير ابنتنا الوحيدة، وترميها بحضن.... هذا الفتى!".

"قلتُ لكِ مسبقاً بأنكِ لابد أن تثقي بي، هذا الفتى الذي يأتي من بيئة سفلية، باستطاعته أن يغير الكثير من أحداث حياة الصوصافيين، إنه ورقتي الرابحة".

"وهل ابنتنا ستكون حقل تجارب؟ هل قلبُها بهذا الرخص؟ كيف لك أن تعلقها وفي هذا العمر بشخص لا تعرفه، ولا نثق به، وجميع أفراد عائلته مجرمون وسفليون!".

شعرَ الصوصافي ببعض الغضب، رغم أنه مقتنع بأنَّ كلام زوجته صحيح، ولكنه الآن وسط حربٍ دامية، وعليه أن ينقذ شعب الصوصافيين بأكمله، ولابد من التضحيات.

"وقت الزيارة انتهى يا صوصاف!". جاءه صوت مراقب السجن. رأى زوجته بنظرة حزينة، وكأنها الأخيرة في حياتهما، وشعرت هي بذلك، فسقطت دموعها، وكأنها تودع فيها زوجها وحبيبها الذي لا يفارق تفكيرها.

مشى الصوصافي بعيداً، فنظرت الزوجة إلى ابنتها التي تمسك بيد الفتى وتبتسم له بحب واضح للعيان. تحطَّمَ قلب فيروزا على حال ومستقبل ابنتها، ولكن أقنعت نفسها بأن التضحيات واجبة، وعليها مساعدة زوجها الصوصافي في التغلب على السحرة السفليين.

صوصافيون

إن كنتَ تريد أن تشغل وظيفة في إحدى الشركات الكبرى، غالباً ما يضعونك تحت الاختبار لفترة من الزمن، وخلال هذا الوقت عليك أن تثبت لهم بأنك كفءُ لهذا المنصب.

هذا هو حال جميع الصوصافيين الجدد، هناك من يستغربون سبب خلوتهم البعيدة عن البشر، تطور الأمر وظنوا بأن خلوة الصوصافيين هي مرحلة من مراحل الانفصام والجنون.

قبل آلاف السنوات ومنذ بزوغ علم الصوصافيين والروحانيات، كان -المتصوصفون- يتعمدون أن يختلوا في الجبال البعيدة، نعم! يتسلق احدهم الجبل إلى أن يصل إلى أحد الكهوف المهجورة والمظلمة، إننا نتكلم عن بشر قلوبهم كالصخر، لا يستطيع أي بشريّ أو جني أن يخيفهم، فعالم الروحانيات ليس لضعاف النفوس.

فكرة الخلوة الروحانية بسيطة ولكنها ليست سهلة، هي اختلاء الإنسان وعزل نفسه عن جميع الناس و الأطعمة التي تشتهيها الروح، إنها الهروب من الناس بغرض تصفية الذهن التام في بداية الرحلة الصوصافية، فأي تفكير خاطىء سوف يضيّع تعب الصوصافي، و أية فكرة شهوانية سوف تفشّل عمله. لا أبالغ عندما أقول بأنَّ البعض لا يختلون بزوجاتهم في الفترة الأُولى من دخولهم إلى عالم الروحانيات، فشهوات الإنسان ـ حتى ولو كانت محللة ـ فهي دائماً ما تفتح أفاقَ عقله على أفكار شيطانية، ونظرات شهوانية، ولا نتكلم هنا عن شريكة حياة الصوصافي، بل عن كل إنسان يوسوس له الشيطان بأفعال مشينة. وهذا الحديث يسري على الرجال و النساء، فلم تقتصر فكرة الصوصافيين على الذكور فقط، هناك -متصوصفات - كثيرات في عالمنا الحالي.

عندما يختلي الشخص بنفسه، فإنه يسخر جسده لذكر الأورادات الروحانية الصوصافية، ويأكل الأكل الخفيف الذي لا يتعارض مع شروط العين الثالثة، والعين الثالثة هي البوابة التي تُفتح للصوصافي لمقابلة الجن أجمعين، إن كانت روحه

خفيفة ونقية، وخلوته صحيحة، فإنه سوف ينجح في إيقاظ تلك العين، وسيرى الجن ويتحدث معهم بكل بساطة، وكأنه يرى البشر بالضبط.

في أيامنا الحالية، بات يختلي في الجبال عددٌ بسيط جداً من الناس، و قد استُسهلت الأمور رغم صعوبتها في ماضيها. الخلوة اليوم تنجح في الفلل والشقق والمزارع والغرف، أي مكانٍ مغلق ولا يصل إليه ضوء الكهرباء فهو ناجح في جميع أركانه الروحانية.

وأخيراً... الخلوة ليست فقط من أجل الدخول إلى عالم الروحانيات ولكي - يتصوصف - الشخص، ولكنها مطلوبة في جميع جلسات تحضير الجن سواءً العلويين أم السفليين. في هذه الجلسة يتم نشر البخور في المكان، والامتناع عن الحديث مع الناس، حتى مع أقرب الأشخاص، وتلاوة القسم المقصود، ولا ننسى الصيام الروحاني الذي سوف نتحدث عنه لاحقاً، و الذي هو مبدأ نجاح أي عمل صوصافي.

يحدث الآن!

مداهمة سريعة وسرية من قبل الرئيس - آمون - برفقة جيش البلدة، إلى بيت السيد - صوصاف - الذي يقضي وقته في السجن، يتم كسر الباب بالقوة، والدخول إلى المنزل دون احترام أو شفقة. يرى الرئيس - آمون - بأنّ ابنه - نهاراً - يجلس في غرفة المعيشة برفقة زوجة الصوصافي - فيروزا - وابنتها - هاميس - ينظر إلى ولده المخطوف غير مصدق بأنه يعيش لحظات جميلة وسعيدة في هذا المنزل.

يتم ضرب السيدة - فيروزا - ضرباً مبرحاً، وتمزيق ملابسها والاعتداء عليها جسدياً أمام ابنتها التي تبكي دون حول أو قوة. يزداد جبروت السيد - آمون - وطغيانه وسعادته وهو ينظر لما يجري لزوجة الصوصافي المحبوس.

يقترب من ابنه - نهار - ولكنه يُصدم بأنه ينفر منه! فيضربه مراراً وتكراراً لأنه غير راضٍ عمّا يجري لزوجة الصوصافي، شعر السيد - آمون - بصفعة قوية من ردة فعل ابنه الذي تغير حاله في يوم وليلة.

بدأ يركل زوجة الصوصافي على بطنها بكل قسوة وهو يصرخ ويسأل عن الذي فعلته بابنه، وكيف تم تغيير سلوكه نحو والده، لم يتلقَّ أي جواب سوى الشماتة والضحك من قبل - فيروزا -

تصاعدَ الغضب في داخله، وشعر بالإهانة من ردة فعل خاطفة ابنه، فأخذ أحد الأسلحة الموجودة برفقة الجيش المنتشر بكثافة في المنزل، وأطلق الرصاص على - فيروزا - دون رحمة. ساد السكوت في المكان، إلا من صرخات الطفلة - هاميس - التي ارتمت أرضاً و قد غطّتها دماء والدتها المغدورة.

لم يكفّ - نهار - عن ضرب أبيه معاتباً إياه، ولكن سرعان ما سقط على الأرض إثرَ صفعة قوية من أبيه، ولكن زادت صدمة السيد - آمون - عندما رأى طفله وهو ينظر إليه بطريقة عدوانية، نظرة لم يشهدها منه من قبل.

أمرَ الجيش بأن يسجلوا حادثة الموت بأنها تعدٍّ على القوانين السياسة والجيش، و سببها تمادي زوجة الصوصافي بكلامها ومحاولتها قتل الحاكم.

جميعهم يعلمون بأن السيد - آمون - كاذبٌ، ولكن لا يستطيعون فعل شيء، فهو الآمر الناهي في هذه البلدة، ونصفهم تمَّ تجنيدهم لخدمة العالم السفلي.

***

في هذه اللحظة وفي مكان آخر وبعيد، في السجن الذي ينام فيه الصوصافي، ينهض من نومه المتقطع شاهقاً، يضع يده على قلبه متألماً ومكسور الخاطر. تدمع عيناهُ بغزارة، يرفع يده إلى السماء داعياً بأن يحفظ الله ابنته التي سوف تواجه معركة لن تكون سهلة أبداً، عرف السيد - صوصاف - في هذه اللحظة أن زوجته قد وافتها المنية، لم يرَ المشهد أمامه، ولكن خطته هي التي أسقطت زوجته أرضاً.

تضحيات...تضحيات...تضحيات، ولكن ماهي النهاية يا ترى؟

صوصافيون

ماهو الصيام الروحاني؟ ولماذا له أهمية كبرى؟ وماهي نتائجه في رحلة الصوصافي في عالم الروحانيات؟

هو الأساس الثابت الذي لا يُمس أو يتغير، هو الامتناع عن أكل كل ذي روح أو ماخرج من الروح، كالدجاج واللحوم والجبن والبيض، لأن الإنسان يكتسب صفاته الداخلية من أكله، أكلك يُفصّل لك حياتك، والصيام الروحاني يكون بقعة صافية في نفس الشخص، ويجعله يبتعد عن المعاصي وملذات الحياة، فكلما كسرت بذرات شهوتك، كلما أصبحت قوياً لا تقهر من الأفكار الشيطانية التي تهجم طوال الوقت على بني آدم.

هو صيامٌ لا يختلف عن الصيام التقليدي المعروف، ولكن الإفطار يكون بطعام قليل وليس دسماً، كالتمر والخبز، ويجوز شرب الشاي والقهوة والماء بالتأكيد، والمفارقة العجيبة في الموضوع، أنَّ البصل والثوم مسموح بهما في الصيام الروحاني، ولكنها منبوذان في المآكل الروحانية العلوية، بسبب كره الجن لرائحتهما، فالجن لا يحضرون إلى أي مكان تنتشر فيه رائحة البصل والثوم، وهنا نتكلم عن ملوك الجن العلويين، أما السفليون فلا يتأثرون بهذه الروائح، بل يعشقونها.

الصيام الروحاني يجعل روح الروحاني خفيفة جداً، تكاد تطير في السماء!

وهنا نأتي إلى السؤال عن عدد الأيام التي يصوم فيها الصوصافي لإنجاح عمله. جميع الأعمال تبدأ بصيام من ثلاثة وتمتد إلى عشرة أيام. يختلف الرقم باختلاف طريقة التحضير، و بمن تختصّ، وماهي شروطها من قبل حاكم الجن إن كان علوياً أم سفلياً، وفي هذا الموضوع لا تجوز التجربة إذا كان صاحبها جاهلاً، فعندما يحضّرون ملوك الجن، يعلمون جيداً مع من يتعاملون ومن يحدثهم، ولن يقبلوا بأية إهانات تؤدي إلى التقصير بطلاسمهم وأورادهم الروحانية.

ولكن ماهي الصلة الأساسية بين الصيام الروحاني والتواصل مع الجن؟

الإنسان خُلق من جسدٍ ونفس وروح، ومخلوقات الجن خُلقت من نفسٍ وروح فقط، وهذا يعني بأن التواصل بين الطرفين مستحيل، لأن هناك عنصراً مفقوداً!

وفي الصيام الروحاني تنخفض قيمة الجسد لدى الصوصافي، و تزيد قيمة الروح، وهنا تكتمل المعادلة ويتم التواصل مع الجن بكل سهولة.

-17-

في أحد الكهوف المهجورة في بلدة أرض الجنة، يجتمع عدد من الصوصافيين الذين وضعوا يدهم بيد السيد - صوصاف - ووكلوه لكي يكون كبيرهم وصاحب القرار.

يوجد ثلاثة منهم، عددهم كان أكبر من ذلك بكثير، ولكن الخوف دبَّ في نفوس الباقين، ولم يقبلوا بهذا الاجتماع المخالف للقوانين الجديدة النابعة من القيادة السياسية، واحدٌ منهم كان السيد - يعقوب - الذي اجتمع بالساحر - آمون - ليلة البارحة. يقول وهو يتحدث بكل ألم:

"صديقنا صوصاف أصبح من المساجين، هذا الظلم الذي وقع عليه ليس بالهين، لطالما اعتمدنا عليه في الكثير من أمور البلدة، لم نرَ منه أي تقصير، وهو من ساهم في نشر التعاليم الصوصافية في كل مكان. أجتمعُ بكم اليوم لكي أسمع أراءكم، أنا نفسي لا أعلم ماهي الخطوة القادمة والصحيحة، ولكن يا أصدقاء، أنا مؤمنٌ جداً بأن لكل بداية نهاية، وهذه المحنة سوف تزول مع الوقت، فالظلم لا يدوم أبداً، ودائماً ما يسقط صاحبه أرضاً".

يتكلم الصوصافي الثاني الملقب ب - حمزة - و هو رجل في العقد الخامس من عمره، طويل القامة، أبيض البشرة، حليق الرأس، عيناهُ زرقاوانِ جذّابتانِ، وذقنه ذهبيّ اللون طويلٌ جداً، يمسك بيده سبحة طويلة يستخدمها في أوراده الصوصافية:

"لا أحد منا يعلم ما الذي يحدث، كيف تنقلب الصورة بهذا الشكل بين يوم وليلة؟ الصوصافيون لا يستحقون هذا الحاضر، ماضينا كان أجمل، ومخططاتنا للمستقبل لم تتطرق إلى أي نوع من الظلم والكراهية، ولكن هذا ما كُتب على الصوصافيين منذ قديم الزمان، نحن محاربون يا أصدقائي".

رفع سبحته إلى الأعلى قائلاً:

"حتى سبّحتي الصوصافية لم تعد تعمل! لم أهمل أورادي الروحانية أبداً، ولكني أعجز عن رؤية ملوك الجن العلويين، لا أعلم أين يكمن الخلل! و أنا متأكدٌ بأن جميع الصوصافيين

يعانون من نفس الشيء، حتى أنتم، لماذا لا نستطيع أن نستحضر ملوكنا من الجن؟ ما الذي حدث يا رفاق؟".

الصوصافي الثالث كان صامتاً بشكل غريب! ينظر إلى الأرض وكأنه لا يريد أن يرفع رأسه ويرى أصدقاءه، قال السيد - يعقوب - بكل حسرة:

"ما تتكلم عنه هو مايؤلم قلبي يا حمزة، كيف لم نعد نستطع رؤية الجن؟ هل الساحر آمون وجماعته السفلية وضعوا لنا حاجزاً يمنعنا من التواصل معهم؟".

"ولكن السفلية لا تنتصر على العلوية يا صديقي، هناك سرٌّ في هذا الموضوع". قالها حمزة.

"الأوراد العلوية لا تعمل في هذه الأرض، وقد تم تعطيلها بفعل فاعل! ولكن أوراد الجن السفليين تأتي بثمارها ولم تتوقف!". قالها الصوصافي الثالث وهو حتى الآن خافضٌ رأسه نحو الأرض. الرجل القصير ذو الشعر الأسود الكثيف، والعيون الناعسة، إنه - المعتز - الرجل ذو الخامسة والأربعين من عمره، والذي كان يقضي معظم وقته مع السيد - صوصاف - .

نظر إليه - يعقوب - بكل صدمة وذهول:

"وما الذي يجعلك تقول هذا يا معتزّ؟ وما شأنكَ أنت بالعالم السفلي؟"

رفع - المعتز - رأسه قائلاً بصوت مرتجف:

"لأنني أكاد أجنّ من عدم نجاحي في استدعاء ملوك الجن العلويين الذين يخدمونني، زادت حيرتي في الأيام التي مضت، فقررت أن أختلي بنفسي، وأن أُحضر إحدى ملكات الجن السفليات، وإحساسي لم يخنّني أبداً، لقد رأيتها في مجلسي تحدثني وتغريني بخدماتها الكبيرة، إلى أن صرفتُها، وتأكدت بأننا محجوبون عن العالم العلوي".

اتسعت عينا - حمزة - صدمة، وتصاعد الغضب على وجه - يعقوب - الذي صرخ:

"هل جننتَ يا معتزّ؟ كيف تخرج من العالم العلوي وتذهب إلى العالم السفلي بكل هذه البساطة؟ هل تعي ما فعلته؟ لقد

أخطأت وارتكبت جريمة شنعاء بحق جميع الصوصافيين، إنه إثمٌ سوف يكون في رقبتك إلى أن تموت".

"وماذا تريدني أن أفعل؟ قل لي؟ إننا محاصرون من القادة السياسيين، ومن أصحاب العالم السفلي، كنتُ أريد أن أتأكد من شكوكي وظنوني، من الذي حجب العالم العلوي عنّا، إنه هو نفسه من ترك العالم السفلي موجوداً إلى الآن في هذه المدينة، هو من.....".

لم يستطع المعتز إكمال جملته، بل إنَّ أصدقاءَه الصوصافيين شُلت أطرافهم عندما شاهدوا الساحر - آمون - يدخل المكان برفقة جيش المدينة، ابتسامته لا تفارقه أبداً، وكأنها علامة شماتة بالصوصافيين دون أي كلام.

"اجتماعات مغلقة للصوصافيين مخالفة للقوانين السياسية الجديدة". قالها الساحر - آمون - ناظراً إلى جميع الصوصافيين الذين أكلت القطة لسانهم.

بإشارة منه، جعل الجيش يقبض عليهم ويقيدهم بالأغلال، مرَّرَ يده على ملابسه الفخمة، وكأنه يُزيح بعض الغبار، أو هي إشارة مبطنة للصوصافيين تخبرهم بأنهم سوف يختفون من الوجود ببساطة، و صاحَ بهم:

"سوف أحكم عليكم بالسجن الأبدي، وتُهمتكم هي التشجيع على ممارسة الصوصافية، والتعامل بالسحر الأسود، لن تروا النور طالما أنّ آمونَ حاكمٌ لهذه البلدة".

صوصافيون

جلسات التحضير... ماهي طقوسها؟ وما المراحل التي تمر على الروحاني طوال فترة التحضير؟

ذكرنا كلمة "الروحاني "ولم نقل "الصوصافي "لأنه سواءً أكان المقصود الصوصافي العلوي، أم الروحاني السفلي، فهما يحتاجان إلى التحضير لاستخدام الجن و الحصول على خدماتهم .

في بداية الموضوع ـ كما قلنا سابقاً ـ فالخلوة الروحانية ضرورية لمن يريد استحضار الجن. خلّو المكان من إنارة الكهرباء واجب، والعمل على ضوء الشمع أمرٌ إجباري، فالجن ينفرون من الكهرباء وأضوائها. وهنا نستطيع أن نُنهي الجدل في موضوع تصوير الجن، لأن هذا الأمر مستحيل حدوثه ولا يمت إلى الواقع بصلة.

الصيام الروحاني من الشروط على كل من يريد عقد جلسة لاستحضار أحد الملوك، ووجود البخور في المكان يُنجح العمل، وبدونه لن يكون كاملاً. وعندما نتكلم عن البخور، فليس أي نوع من الممكن أن يتماشى مع تحضير ملوك الجن. هناك العديد من الأنواع، وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة عميقة ودقيقة، فالجن يتغذّون على رائحة البخور، ويعتبرونها رسالة شكر وعرفان من الروحاني نفسه. تخيّل أنك تدعو أحد الأصدقاء إلى منزلك ولا تقدّم لهُ كوباً من الشاي، أو قليلاً من الماء والطعام. سيظن بأنك إنسان وقح! ولا تتحلّى بحسن الضيافة، هذا ما يحدث مع الجن تماماً عندما يُدعون إلى جلسة روحانية لا تحتوي على بخور.

عندما يجمع الروحاني جميع الشروط الذي ذُكرت في الأعلى، يبدأ برسم الطلاسم الخاصة بالجني المطلوب، ويقرأ أوراده الروحانية الخاصة به، فأوراد الجن تختلف! بل حتى الطلاسم الخاصة بتحضيرهم، فإن كنتَ ستحضّر الملك "ف "، فإنَّ دعوته ستكون مختلفة عن الملك "ق ". جميعهم لديهم وردٌ خاصٌ بهم، عندما يسمعونه يأتون إلى الروحاني ويلبون

نداءهُ.

لكن ما الذي يحدثُ بالضبط عندما يخرج ملك الجن للروحاني؟ بالطبع إن كان علوياً فسيكون السلام المعروف هو أول كلماته، وإن كان سفلياً فسيكون سلامهُ مقتبساً من كلمات إبليسية، وبعد السلام يتفقان على الطاعة، وهذه الطاعة تشملُ الطرفين، أي أنَّ الروحاني يُلزم نفسهُ بالورد الخاص بالملك يومياً ولا يقطعه، وهنا ينقسم الموضوع إلى قسمين جديدين.

الملوك العلويون يطلبون من الصوصافي أن يلتزم بالأوراد الخاصة بهم، ولا يقطع صلاته ولا يفعل الفحشاء، وسوف يكونون عوناً له دون مقابل، وسيعطونه من أسرار الدنيا ولن يبخلوا عليه بشيء.

أما الملوك السفليون فسوف يطلبون أيضاً من الروحاني أن يلتزم بالأوراد الخاصة بهم، ولكنهم يشترطون عليه فعل المعاصي والكثير من الأمور التي يصعب ذكرها من شدة بشاعتها، وما يزيد الطين بلة، أنهم يأمرونه بفعل أشياء خادشة للحياء و للدين، وكل هذا في سبيل أن يبقوا معه، وأن يساعدوه في الأفعال المشينة المرتبطة بالسحر، كالتفرقة، وزرع الكراهية، والمس الشيطاني، والطلاق وغيرها من الأمور الإبليسة. وهنا تأتي المفارقة بين الصوصافي العلوي والروحاني السفلي، الأول لا يُطلب منه شيء مقابل خدمة الجن، والآخر يُحكم عليه بأعمال شاقة في سبيل المحافظة على خدمته من الجن السفليين، والسبب واضح وبسيط: خدمة الجن العلويين لا تأتي بالأمر السهل أبداً، أما الطريق السفلي فبابهُ مشرعٌ لكل من يطرقه.

يبقى السؤال الأهم عندما يستحضر الصوصافي أو الروحاني أحد الملوك: تُرى هذا الملك أين يذهب عندما يتم الاتفاق معه على الخدمة؟ هل يعيش طوال حياته واقفاً خلف من يطلب مساعدته؟ بالطبع لا! فهو يسكن في أعماق روحه! نستطيع تشبيه هذه الحالة بالمس! وعندما يكون الصوصافي مداوماً على الصيام الروحاني والأعمال الخيرية وذكر الأوراد، فالملك العلوي يكون قوياً بداخله، وعندما يفعل الروحاني أعمالاً



مشينة كثيرة، يقوى أيضاً الملك السفلي الذي يسكن أعماقه.

وهذه النقطة تلخص لنا أمراً هاماً جداً، و هيَ أنَّ قوة ملك الجن الحقيقية تأتي من جسد الإنسان سواءَ أكانَ صوصافياً أم روحانياً سفلياً. صحيح أنَّ ملوك الجن أقوياء جداً، ولكنهم يكسبون قوتهم الحقيقية من داخل جسد الشخص الطالب لخدمتهم.

يحدث الآن!

خبر عاجل

تم إلقاء القبض على حاكم بلدة أرض الجنة، السيد - آمون - بعد ضبطه بالجرم المشهود وهو يقيم علاقة غير شرعية مع إحدى الفتيات التي تنتمي إلى أصول صوصافية مشهورة وتدعى - ياسمينا -

وبعد التحقيقات الرسمية والموسعة، اتضح بأنه على علاقة وطيدة بها منذ سنوات طويلة، وهذا الأمر الذي خبّأه عن الجميع طوال الفترة الماضية، وبالأخص عن زوجته - كليوبترا -

هذه الفضيحة هزّت أركان البلدة و قلبت الموازين على جميع الأصعدة، القادة السياسيون في موقف محرج، والشعب يثور في الشوارع، بدأت مخططات و رؤية العهد الجديد بالتفكك السريع!

تمّ إلقاء القبض على السيد - آمون - في السكن الخاص بعشيقته -ياسمينا - إثر معلومة سرية تم تسريبها للقيادة السياسية. تحركَ الجيش نحو المكان المنشود، وعند اقتحام عناصره للمكان، وجدوا بأنَّ السيد - آمون - يشارك الصوصافية - ياسمينا - نفس السرير.

ثار الحاكم الحالي لبلدة أرض الجنة في وجه الجيش الحكومي، وطلب من عناصره الرحيل وهدد بمعاقبتهم، ولكنهم لم ينصاعوا له لأنهم مُسيّرون من جهة أكبر من الحاكم نفسه.

وعندما عرف السيد - آمون - بأنه مذنبٌ، صرخ وعبَّر بكل حرية عن حبه للصوصافية -ياسمينا - والتي بدورها ضربت بشجرة عائلتها العريقة، وقالت بأنها تتشرف أن تكون عشيقته رغم خلافه الكبير مع الصوصافيين. وعرف السيد- آمون - بأنّه قد هُزم ولا يستطيع محاربة جيش كامل من قبل الدولة. رأى نفسه في نفس الموقف الذي وضع فيه السيد - صوصاف - وكأن الدنيا قد دارت عليه، عالمهما العلوي والسفلي

يستطيعان به محاربة الخير والشر، ولكن من المستحيل عليهما أن يعلنا الحرب على بلدة بحكومتها وجيشها الغفير، لذا فالاستسلام أفضل حل.

الفوضى تعم في المدينة، الشعب بدأ بأعمال الشغب الشديدة، بدأ الناس يحطمون المتاجر، ويرفعون نبرات أصواتهم عالياً، حتى الموالون للسيد - آمون - جاءتهم الصاعقة بعد هذا الخبر، فكيف يكونون مخدوعين بحاكمٍ ينام بين أحضان صوصافية؟

هذه الليلة سوف تكون طويلة على الجميع، على الشعب الغاضب، وعلى الحكومة التي ترى نفسها في موقف محرج، وأيضاً في بيت السيد - آمون - فزوجته تعيش في حالة غليان، وتريد أن تضع يدها على عنق زوجها الخائن.

تُرى ماهو قرار القيادات السياسية بعد هذه الفضيحة الشنيعة؟ كيف سيُبررون للشعب بأنهم وضعوا شخصاً لمحو سلاسلة الصوصافيين من البلدة، وفي نفس الوقت يقيم علاقة غير شرعية مع إحدى فتياتهم؟

يحدث الآن!

مراسيم لضرورة حكومية:

-عزل الحاكم الحالي السيد - آمون - من منصبه وسجنه سجناً مؤبداً عقاباً على جميع التهم التي وجهت له، ومن أهمها خيانة الأمانة والتعامل مع العدو.

- تمت إقالة السيدة - كيلوبترا - من منصب عمدة المدينة، على أن يظل هذا المنصب شاغراً بانتظار الشخص المناسب.

- تنصيب السيدة - كليوبترا- حاكمة لبلدة أرض الجنة.

-الإكمال في نفس النهج المطروح في محاربة الصوصافيين، والقضاء على جميع من يتعاملون بالسحر الأسود.

-إنزال أقصى العقوبات على جميع من يخرجون و ينشرون الفتن والزعزعة بين الحكومة والشعب.

-منح مكافأة نقدية للشعب بكافة فئاته كتعويض معنوي من الحكومة عمّا جرى من أحداث مؤسفة.

يحدث الآن!

تخرج الحاكمة الجديدة أمام العلن، تنظر إلى الشعب الذي ينتابه الشك والحيرة. بجانبها يقف - ليل - المبتسم جداً، وكأنَّ الأحداث لم تهزه أبداً، وبرفقته أخوه - نهار - الذي تفضحه تفاصيل وجهه، إنه غير راضٍ عمّا يجري من حوله.

"عرفتموني بأنني زوجة الحاكم السابق - آمون - و شغلتُ منصب عمدة البلدة لفترة محدودة، أنا أعلم بأنكم تعيشون شعور المرارة لما حدث، فكيف لنا أن نثق بشخصٍ وعدَنا بأنه سيحارب الصوصافيين، و في النهاية نراه يقيم علاقة غير شرعية مع واحدة من بناتهم. وأعلم بأنَّ شعور الغدر مؤلم، وأسألوني أنا، أنا التي تزوجته وعشت معه طيلة حياتي، لم أتوقع أن أراه بهذا الذل أبداً. أنا أعلم بأن كلماتي لن تكون كافية أبداً، ولكني أعاهدكم بأنني سوف أكمل مشوار القضاء على الصوصافيين وعلى سحرهم الأسود، وعودي لن تكون كوعود المجرم آمون، ولكي أبيّن لكم مدى جدّيتي في هذا الأمر، فأول عقابٍ صوصافي سوف أصدره الآن وأمام أعينكم و مسامعكم هو أنّ الفتاة التي قُبض عليها برفقة آمون، سوف تُعدم غداً، ولو كان الأمر بيدي لعدمتُ آمون معها، ولكنّ قرار القيادة السياسية لابد أن يُحترم، فهو لن يرى شعاع الشمس بعد الآن، سوف يقضي جميع سنواته في السجن المؤبد. ارفعوا رؤوسكم يا أهل أرض الجنة، فأنتم قدركم كبير لدي ولدى الحكومة الكبيرة، يداً بيد سوف نقضي على جميع الصوصافيين ونطهر البلدة منهم. من اليوم لن يكونَ الناس مقسّمين إلى مجموعات، لا نريد الإنسان الطبيعي والصوصافي، لا نريد الأحزاب! جميع أبناء بلدة أرض الجنة متساوون في الألقاب، ومن يعصِ هذه الأوامر ويصنف نفسه بأنه صوصافيٌّ،فسوف يحرم نفسه من جميع الامتيازات التي تمنحها الدولة: لن يعمل ولن يجد مسكناً له ولعائلته، ولن يتزوج و يوثق أوراق زواجه، أو يمتلك أية عقارات، سوف يكون مشرداً وسط بلدته، لا طبقية ولا تفرقة في عهدي... شكراً

لكم!".

قالتها، فصفّقَ الحضور بطريقة باردة جداً وملحوظة من قبل الحاكمة الجديدة، وتيقنت بأنهم لم يقتنعوا بكامل كلامها، وعليها أن تبرهن لهم صحته مع الأيام.

-18-

يُفتح باب الزنزانة على مصراعيه، ويُدخلون السجين الجديد إليها، يجلس ضعيفاً ومستسلماً، و مطأطئاً رأسه نحو الأرض.

"لقد كنتُ أعرف بأنني سأراك بجانبي قريباً". قالها السيد - صوصاف - وهو مبتسمٌ بثقة، فنظر إليه السيد - آمون - غاضباً:

"لا تفرح كثيراً يا أيها الصوصافي! فسقوطي لن يدوم كثيراً، وإن لم أستطع أن أخرج، فزوجتي و ابناي وجميع قومي السفليين سيكملون مشوارنا، وسنقضي على جميع الصوصافيين في هذه البلدة".

"يقال إنَّ العبرة تكمن في النهاية، وما بنيَ على باطل فهو باطل، و خبثُ نهجك وأفكارك لن يدوم طويلاً".

شعر السيد - آمون - بالغضب من كلمات الصوصافي، ولأول مرة قرَّر أن يصمت، لأنه يعلم تماماً بجهله عما سيحدث في بلدة أرض الجنة في غيابه.

"كيف كان شعورك؟".

نظر إليه السيد - آمون - مستغرباً:

"شعوري؟ ماذا تقصد".

ابتسم الصوصافي وقال قاصداً أن يستفزه:

"كيف كان شعورك عندما كنت على علاقة مع الصوصافية؟ هل شعرت بالنظافة من بعد النجاسة؟ لأنني أعلم بأنَّ معشر السفليين لا يعلمون معنى الطهارة، ورغم أنك كنت في علاقة غير شرعية، لكنك كنت مع إنسانة جذورها صوصافية، أي أنها طاهرة، ولا تتبع الشيطان".

ضحك السيد - آمون - بصوت عالٍ:

"لا تتبع الشيطان؟ إذن كيف لها أن تنام معي في نفس السرير؟ هل تريد أن تُزين أخطاءكم يا صوصاف؟ جميعكم تتبعون وتعشقون الشيطان بين الحين والآخر".

"أتفقُ مع كلامك! فالشيطان موجود إلى أن تفنى هذه الدنيا،

ويوسوس لنا ويحثنا على فعل المعاصي، لربما عشيقتك الصوصافية تبعت طريقهُ لوهلة بسيطة، ولكنها في داخلها سترجع إلى المسار الصحيح. أما أنت ومن معك، فقد سلّمتم حياتكم للشيطان اللعين، وانظر كيف انتهى الحال بك، في السجن!".

"إن كنتُ في السجن، فحالك لا يختلف عن حالي!".

"أنا مسجون من أجل الحرية، وأنت محبوس من أجل الذل، هذا الفارقُ كبيرٌ جداً أيها الساحر".

صوصافيون

جميعنا نشعر أحياناً بأننا مراقبون من شخص ما، أو نحس بأنَّ هناك أحداً يقف خلفنا، يهمس لنا في عقولنا، في بعض المرات يكون عقلك الباطن هو ما يتحدث إليك، ولكن هناك احتمال أن تكون معك روحانيات... فما هي الروحانيات يا ترى؟

جميع الصوصافيين الذين يستخدمون الأبواب العلوية، وجميع الروحانيين الذين يعملون بالسحر السفلي لديهم روحانيات، أي لديهم ملوكٌ يستخدمونهم في خدماتهم الخارقة. ولكن هناك بشرٌ بعيدون كل البعد عن العالم الروحاني، ربما لا يؤمنون به، ولا يفقهون فيه شيئاً، ولكنهم يمتلكون روحانيات في أجسادهم، أي يمتلكون ملوكاً أو أشخاصاً من بني الجن، يرافقونهم بشكل سري في حياتهم، ربما يتحدثون معهم، يهمسون لهم، يتعمدون أن يفرضوا وجودهم في إشارات بسيطة، ومضات مشككة لصاحب الشأن. هل رأيت وميضاً يخرج فجأة من خلفك؟ أو بجانبك؟ هل سمعتَ صوت خطوات في غرفة المعيشة رغم أنَّ المنزل خالٍ؟ هل استيقظتَ ذات يومٍ وشعرتَ بأنَّ هناك من هو معك في نفس الغرفة؟ هذه روحانيات، إنها تختار معظم الناس دون استشارتهم، جميعهم لديهم نظرة معينة في الشخص الذي يرافقونه، بعضهم يريدون التواصل، والبعض الآخر يريدون أن يكون وجودهم سرياً.

هل من الممكن التواصل مع هذه الروحانيات؟ معرفة أسماء أصحابها؟ أعمارهم؟ و إلى أية قبيلة من الجن ينتمون؟

في الواقع إنّ هذه العملية بسيطة جداً في عالم الروحانيات، فالتأكيد عليها غير مضر ولا يؤدي إلى التهلكة، ولكن في عصرنا الحالي، لا يستطيع أحدُ أن ينشرها خوفاً من تكفيره، أو اتهامه بأنهُ يمارس السحر الأسود. ولكن كنقاط تشويقية، لابد أن يتم صرف - عمّار المكان - لكي تحصل المعرفة إن كان الشخص برفقة إحدى الروحانيات أم لا، وعمّار المكان

هم الجن الموجودون معنا في المنازل، يسكنون زوايا المكان، ومنهم المسلم و منهم الكافر، أي أنَّ العلويينَ والسفليين منتشرون بشكل عشوائي في جميع أنحاء العالم.

ومن بعد أن يتم صرف عمّار المكان، يبدأ المُجرب فيمد يده إلى الأمام، ويقرأ كلمات مباركة ويكررها ثلاث مرات، ويأمر الذين في داخله أن يخرجوا لتعريفه بأنفسهم. وهذه المعرفة من الممكن أن تتمّ في الواقع أو في المنام، ولكن احتمال حدوثها في المنام أقوى، لأنّ الجني إذا كان موجوداً مع الشخص ويحبّ التقرب منه، فيأتي إليه في نومه، لكي لا يفزعه، فرؤية الجن حتى لو كانوا متشكلين بأجمل الصور، دائماً ما تكون مخيفة لأي شخص، تخيل أن تجلس لوحدك وفجأة يخرج أمامك شخصٌ من الجدار، أو من تحت الأرض، أو يهبط من السماء، كيف ستتماسك أعصابك حينها؟

بعد أن يتلو الشخص الأسماء المباركة التي يصعب نشرها هنا، ويمد يده إلى الأمام، إن شعر برعشة غريبة فهناك أحدُ من الجن برفقته، أي أنّه يمتلك روحانيات، وسرعان ما سيتم التواصل بينهما، وكما قلنا بأنّ المنام هو أسهل طريقة للتواصل بين الطرفين.

بعد مرور 15 سنة

مرت أرض الجنة في منعطفات كثيرة في السنوات الأخيرة، من احتكار الصوصافيين لهذه البلدة، والانقلاب الذي حدث لهم من قبل الساحر - آمون - برفقة وقوة القادة السياسيين، والظلم الذي نزل على الصوصافيين وعائلاتهم، وسجن السيد - صوصاف - ويليه الساحر - آمون - وتعيين زوجة الحاكم السابق السيدة - كليوبترا - حاكمةً على بلدة أرض الجنة.

خلال هذه السنوات، لم تتغير المبادىء أبداً، فالسيدة - كليوبترا- أكملت على نفس النهج، وهو طمس هوية الصوصافيين، ومعاقبة كل من يُجري طقوساً سرية في منزله، وأيضاً أعطت كامل الحريات لجماعة السفليين، وكيف لا ؟ وهي تتبع نفس المسار الإبليسي.

الفريق السفلي توسّع بشكل كبير وملحوظ، فتح أتباعه متاجر العرافة وكشف الطالع، والأعمال والعلاجات، وكل هذا ببركة الحاكمة - كليوبترا - فهي من أقنعت الحكومة بأنَّ مايفعلونه هو طب روحي! بعيد كل البعد عن الروحانيات والسحر الأسود. و من الناحية الأُخرى حرمت جميع الصوصافيين من طقوسهم.

الشيء الغريب والمحير في عالم الصوصافيين، هو أنهم استطاعوا من جديد أن يستخدموا أورادهم الروحانية، أي أنهم نجحوا في استدعاء جميع خدماتهم من قبل ملوك الجن العلويين، ولكن حتى الآن يشعرون بالضعف الشديد، لأنهم حتى لو قرروا شنّ الحرب على السفليين، فهم سوف يدخلون في حرب سياسية لا ترحم! وسيموت العديد من الأبرياء فيها، وهذا ماكان يقوله لهم السيد - صوصاف - قبل أن يُسجن، فهو لن يُحارب السفليين كعاداته من قبل، الموضوع أكبر من هذا بكثير، نحن نتكلم عن بلد وقانون وسياسة، فالحرب خيار مستبعد جداً.

خمسَ عشرة سنة ولم يتغير شيء سوى النهضة السفلية، والانحدار الصوصافي، فالسحرة تملكوا كل شيء، وأصبحوا

يسيرون في كل مكان بكل تفاخر وقوة، والصوصافيون يجتمعون خلسة، ومنهم من يقرأ ويشعل البخور الروحاني في الخفاء، وكأن علمهم وأسرارهم العلوية، أصبحت اليوم جريمة يُعاقب عليها القانون الغريب.

-19-

"متى يحين موعد اللقاء من جديد؟ إلى متى هذا الجفاء؟ أنت تعرف بأنني مكسورة من الداخل... محطمة، لا أعرف أين هو طريق الصواب، ماهي الخطوة القادمة؟ تركتني وحيدة دون تلميح أو مساعدة، بدأت أتعب من هذه الحياة، إنني محاربة مثلي مثل الصوصافيين المساكين، لا تشرق الشمس فوق رؤوسنا، نعيش وسط الظلام والحيرة، أين الحل يا أبي؟".

انتهت - هاميس - من كلامها وسقطت دموعها على خدّيها، إنها تقف أمام والدها السيد - صوصاف - في السجن، ببياض بشرتها اللامعة التي لم تغيره قسوة السنين، وبشعرها الأسود الطويل اللماع، و بعينيها الآسرتين الجميلتين، ترى أباها الذي بانت عليه ملامح التقدم في العمر، ينظر إليها مبتسماً بحزن، يضع يده على شعرها لمواساتها، يعلم بأن الحمل عليها كبير جداً:

"اسمعيني يا هاميس، هذه الحرب ضد الصوصافيين بدأت منذ سنوات طويلة، لم يُكتب لي أن أختارها أبداً، هي أقدارنا التي قررت أن تسيِّرنا في هذا الطريق الوعر، يحق لكِ أن تشعري بالتعب، ولكن ليس بيدكِ أن تستسلمي، هل نسيتِ ما علمتكِ إياه؟".

مسحت - هاميس - دموعها، وقالت مبتسمة بألم:

"الصوصافيون يمرضون، ولكنهم لا يموتون يا أبي".

"نعم صحيح، هذه هي ابنتي القوية التي أعرفها، حكايتنا مرت عليها سنوات طويلة، ولكنها إلى الآن في منتصفها، لم نصل إلى النهاية بعد، ودوركِ هامّ جداً في كفّ قبضة السفليين عن هذه البلدة، لابد أن يسترجع الصوصافيون أمجادهم وأيامهم، لقد ظلمونا ومازالوا يظلمون".

"ولكن ما الذي أستطيع أن أفعله يا أبي؟".

"عليكِ القتال وعدم الاستسلام، والأيام كفيلة بأن تعلمكِ خطوتكِ القادمة".

"حسناً يا أبي! سوف أحاول".

"أنتِ تعيشين في منزلنا وحيدة، لذا عليكِ الحذر، وعندما أقول الحذر، فأنا أقصد - ليلاً - إياكِ أن تجعليه يقترب منكِ، هذا الساحر مشى على طريق أبيه، وتأتيني الأخبار بأنه أصبح أكبر معالجٍ للأمراض في البلدة. وبالطبع الحكومة لن تفعل معه شيئاً، لأنَّ والدته الحاكمة تضع قبضتها على المدينة بأكملها، الحق يقال بأنني كرهتُ ومازال أكره زوجها آمون، ولكن اتضح أنها أقوى وأكثر شراً منه بكثير".

"وماذا عن - نهار - يا أبي؟".

ابتسم لها والدها، وقال مداعباً:

"هل تظنين بأنني رجلٌ عجوز ولا يفقه في الحب شيئاً؟ أعلم بأنكِ تحبّينه يابنتي، وهو يحبكِ، ومتأكدٌ أيضاً بأنه لا يشبههم أبداً، هو النهار في عائلتهم كاسمه، وأخوه يحمل كل ظلمات الليل ومخاطره. ولكن احذري يا هاميس، واجعلي قراراتكِ من عقلكِ قبل قلبكِ".

"سوف أفعل ذلك، ولكن أرجوك ساعدني ولو بتلميح، أين طريق الانتصار؟ أهو شرقاً أم غرباً، هل هو في الخلف أم في الأمام؟".

أخذ الصوصافي نفساً عميقاً وقال:

"الأمل والفوز مع وريثي للحقبة القادمة.... وريث الصوصاف! ومع الأيام سوف تنكشف لكِ جميع حلول هذه الألغاز".

نظرت إليه ابنته وهي تعيش في حالة ضياع، وريثه؟ وريث الصوصاف؟ ترى من يقصد؟ هل هاميس سوف تأخذ زمام الأمور من الآن فصاعداً؟

كانت - هاميس - ستغادر، ولكنَّ أباها قال لها جملة، أشبه باللغز الجديد:

"لابد في المرحلة القادمة من أن تضحي يا ابنتي، وهذه التضحية ربما لن تكون سعيدة أو مرضية بالنسبة لكِ، ومن المؤكد بأنك ستشعرين بالألم لكل ما سيحدث، ولكن لدي



رؤية، وهذه الرؤية لن تخيب أبداً، سامحيني يا هاميس إذا قست الدنيا عليكِ قليلاً، وتذكري بأن ما سيحدث هو مكتوب في الصحف العليا، وسرعان ما تنزل الأمطار فوق رأسكِ من بعد فترات جفاف".

أخذت - هاميس - أنفاسها بصعوبة بعد الكلمات المخيفة التي سمعتها من أبيها، صعب على الإنسان ألّا يعلم ماهي ملامح المرحلة القادمة، وماهي الصعوبات التي قد تواجهه في قادم الأيام.

-20-

في المنزل الأسود المخيف، المملوك من قبل السيد - آمون - الذي سقط من حوزته وأصبح ملكاً لزوجته -كليوبترا - يقف الأخوان - ليل - و -نهار - في السرداب الكبير الموجود في المنزل، إنه المكان الذي يقيم فيه - ليل - جميع جلساته الروحانية وعلاجاته التي يقدمها للناس، ولكل من يطلب المساعدة منه، أي أنه المقر الرسمي لجميع أنواع السحر الأسود والشعوذة التي تُقام من قبله.

المكان مظلم وأسود حتى بجدرانه القديمة، هناك جلسة كبيرة، ويوضع فيها مبخرٌ كبير اللون، هو نفسه الذي كان موجوداً في غرفة الجلوس، تمَّ نقله إلى الأسفل لكي يبدأ - ليل - في أعماله ولكي يكون له مكانٌ رسميٌ لاستقبال الناس.

ملامح الأخوان التوءم لم تتغير أبداً عبر السنين، سمرة بشرتهم، وعيونهم المميزة، إلى الآن لا أحد يستطيع أن يميّز بينهما أبداً، إلا إذا تمت محاورتهما. هنا يسهل الكشف عن هويتهما، ف - ليل - هو المناصر الأكبر لعالم والديه... العالم السفلي! أما - نهار - فكان يشمئز من حكايات الشيطان وأتباعه، قلبه يهوى الصوصافيين، وكأنه أحد اليهود و قد كُتب عليه أن يعشق مسلمة.

الغضب والتوتر والرهبة حاضرون في حوارهما، يقفان وجهاً لوجه، يصرخ - نهار - مدافعاً:

"هؤلاء الناس مساكين يا أخي، إلى متى سوف تستمر هذه الحرب على الصوصافيين؟".

بغضب كبير من أخيه:

"وما دخلك بالصوصافيين يا نهار؟ هل تغافلتَ عن هويتك؟ هل نسيتَ أنت ابن من؟ هل تخدع نفسك و تظنّ بأنك علويٌّ؟ أنت سفليّ ابن سفلي ابن سفلي، وعالم الروحانيات السفلية ورثناهُ عن أجدادنا، فكيف تصدر منكَ هذه الوقاحة وتدافع عن الصوصافيين الأوغاد؟".

"لو كنا على الطريق الصحيح كما تقول، فالعدل لابد أن يكون أساس جميع القوانين، لماذا أنت لك الحرية في استخدام الأعمال السفلية و علانية أمام الجميع؟ والصوصافيون يُحرمون بل ويُعاقبون إذا أشعلوا القليل من البخور؟".

"لأننا أسيادهم... وهم مُرغمون على إطاعتنا، نحن الصواب والقانون، ومن يحمينا هي والدتنا التي تتحكم برئاسة البلدة، لديك جميع عوامل القوة، لماذا تصر على الميلان إلى الضعف؟".

"أنا لستُ بضعيف يا ليل، ولكني أريد الحق، كيف تستطيع أن تنام و أنتَ تعلم بأن هناك من يُظلم من قبلنا؟".

ابتسم - ليل - بخبث وسخرية:

"أنام وأنا مرتاح البال، ولا أفكر بحثالة المجتمع! الصوصافيون لا يملكون أي حق في هذه البلدة، أرجوك أفِقْ من أوهامك، ولا تكن التفاحة الفاسدة في عائلتنا".

سكت - نهار - وكأنه مغلوبٌ على أمره، فتقرَّب منه - ليل - مستهدفاً ضعفه:

"ألا تتذكر يا أخي عندما كنا صغاراً؟ كنت آخذك وأعلمك على أبواب العالم السفلي، هل نسيت هديتي لك؟ عندما ساعدتك في تحضير إحدى ملكات الجن الجميلات؟ هل تتذكر هذا الزواج التي تم بينكما لمدة ثلاث ليال؟ أغلق عينيك وحاول أن تعيش التجربة من جديد، إحساس المتعة، اللذة المُسكرة، القوة والهيبة، كيف لك أن تتخلى عن كل هذا؟".

عينا - نهار - كانتا حزينتين جداً ومتأثرتين، ولكن سرعان ما بدرت منهما نظرات جادة:

"نسيت يا أخي أو تناسيت الأخطاء التي ارتكبتُها حتى رغم حلاوتها الساحرة! وإن كنت تستطيع أن تنام و أنتَ ظالمٌ للصوصافيين، فنحن لسنا بتوءم، من الممكن أن نتشابه في الشكل، ولكنَّ أرواحنا مختلفة جداً".

قالها وترك أخاهُ وغادر المكان، بدأ - ليل - بتكسير كل ما يقع تحت يديه وهو غاضب:

"أحمق... سوف تعيش وتموت أحمقَ".



صوصافيون

الصوصافيون والثراء... ماهي الصلة بين الطرفين؟ لماذا كبراء شيوخ الصوصافيين لا يعملون؟ وغالباً لا يتقاضون أجراً عندما يعالجون الناس ويساعدونهم؟ ومع هذا فإنهم يملكون ثروة من المال، من أين يأتي هذا المال؟ وما هو مصدر دخلهم الرئيسي؟

في رواية تاريخية وموثقة عن أحد المشايخ، قيلَ فيها أنه لا يعمل وليس لديه عقارات أو مصدرٌ للدخل، ولكنه ينام كل ليلة ويصحو على مبلغ من المال موضوعٍ تحت وسادته.

السر بسيط ولكنه كبير، الصوصافيون الأتقياء يكرمهم الله بأسرار الدنيا وعجائبها، وهذه الأسرار دوماً ما تأتي عن طريق الملوك العلويين الذين يخدمون الصوصافي نفسه، فمداومتهم على الأذكار النورانية تجلب لهم الخيرات إلى أماكنهم.

منذ بدء الحياة على هذا الكوكب وهناك اكتشافات عديدة نقرأ عنها يومياً، مثال على الدول الغنية عندما تكتشف حقولاً جديدة من النفط، هو موجود منذ سنين طويلة، ولكن يكتشفونها صدفة ودون تعب، وبعيداً عن النفط، هناك أيضاً كنوزٌ مدفونة في جميع أنحاء العالم و تحت الأرض، وبطريقة سرية، مات أصحابها ومات سرهم معهم. هنا يأتي دور الصوصافيين، فهم يستطيعون من خلال ملوكهم العلويين البحث عن كنوز الدنيا، واستخراجها، وغالباً هذه الثروة تخص أشخاصاً قد رحلوا عن الدنيا منذ مئات السنوات. عملية البحث عن الذهب والثروة ليست بالهينة حتى على ملوك الجن، هي تحتاج إلى صبرٍ وعزيمة، وليس جميع أنواع الملوك باستطاعتهم أن ينفذوا هذه العملية من الحفر والاستكشاف.

إذن الصوصافي الذي لديهِ ملكٌ بهذه القوة، هو بالطبع من الأتقياء و من الذين يحبهم الله ويريدهم أن ينعموا بخيرات الدنيا، وهذا هو التوضيح لسرّ الصوصافيين الأثرياء، هو اصطيادهم لخيرات و لكنوز الأرض المدفونة برفقة إحدى ملوك الجن الصالحين.

-21-

يقف - نهار - خارج منزله، يراقب الشارع بقلق شديد، ينظر إلى وجوه الناس لعله يجد الإنسان الذي يبحث عنه، وفجأة يرى بأنّ - هاميس - قد وصلت إلى منزلها الذي يقع مقابلاً لمنزل عائلة -نهار - سرعان ما يتجه نحوها ويسألها بكل خوف:

"أين كنتِ يا هاميس؟".

نظرت إليه بحزن باستطاعته أن يشعل النيران في العالم كله:

"كنتُ أزور أبي في السجن، لماذا؟".

" أنني قلقٌ عليكِ يا حبيبتي، عندما نتفارق أشعر بأنّ الروح قد خرجت لتلتقي مع خالقها، أشعر وكأنّ عقارب الساعة لا تريد أن تتحرك، ثمة شللٌ تام يصيب عالمي الكئيب من دونكِ، ولا تلوميني، فنحن لم نتفارق منذ أن كنا صغاراً".

وكأنّ كلماته أحيت روحها من جديد، ابتسمت بخجل ووضعت شعرها بخلف أذنها قائلة:

"سحر كلماتكَ غير موجود لا في عالمنا العلوي، ولا في العالم السفلي، باستطاعتك أن تغير مزاجي حسب فصول حروفكَ، كيف تكوَّنَ هذا الحب داخلنا؟ فنحن من عالمين مختلفين! عائلتك تهوى السحر والأبواب السفلية، وأنا أنتمي إلى الصوصافيين، هل عشقنا حرام؟ هل نحن مخدوعان بنفسيْنا؟ قل لي يا نهار... هل ما أعيشهُ معك حلمٌ؟".

" إنه واقع! و عالمٌ ملون ومزدهر بالورود والفرح والعشق، لا يهمني إذا كان تاريخ عائلتي ينتمي إلى العالم السفلي، ما يهمني هو نفسي يا هاميس، تعلمين بأنني لا أتبع نهجهم، منذ أن كنا صغاراً وقلبي ينبض لكِ، لو كنت فعلاً أميل إلى العالم السفلي لما أحببتكِ، سحقاً لإبليس وعالمه. سوف أعلن راية استسلامي، وسأصرخ بأعلى صوتي بأنني مصرحٌ بهزيمتي بسبب نظرة عيونكِ، وعذوبة لسانكِ، أنا لكِ يا هاميس، وأنتِ لي، ولن أقبل بغير هذه المعادلة العادلة، أنا حاكم الحب،

وأنتِ سوفَ تكونين حبّ حتى آخر يوم في عمري".

ابتسمت هاميس، ولكن سرعان ما اختفت ابتسامتها:

"ولكن ما نهاية هذا الحب يا نهار؟ مصيرنا تملؤه السحابات السوداء، التي لا نعرف هل ستمطر على رؤوسنا، أم سنعيش في ظلام دامس لبقية حياتنا".

"بيدنا نتحكم بالحاضر، ونستطيع تشكيل المستقبل سوياً، لمَ الخوف يا جميلتي وأنا معكِ؟".

"لأنّ عائلتك لن توافق على أن ترتبط بصوصافية، هل نسيت ماذا فعلوا بأبيك عندما علموا بعلاقتهِ بالصوصافية ياسمينا؟ لقد سجنوه و كان حاكماً لهذه المدينة، وأعدموا المسكينة التي كانت أكبر خطاياها أنها عاشقة!".

"قلت لكِ من قبل وأكررها: أنا من سوف يحميكِ، وسنتزوج، سواءً بموافقة عائلتي أم لا".

"لن يدعوني أعيش في سلام، حتى لو تزوجنا وهربنا سوياً، سوف نعيش في حياة ضبابية، من الصعب أن نرى ملامحها، سوف نُطارد من قبل جميع السحرة السفليين، وثورة الشعب والحكومة السياسية لم تندلع ضد أبي لأنه عشق صوصافية، بل لأنه كان يمتلك وجهين: الأول يُطارد فيه الصوصافيين، والآخر يغرق في غرام امرأة منهم. أما أنا فلستُ حاكماً عليهم ولم أعدمهم بشيء، ولا توجد قوة في الكون ستمنعنا من الزواج، وهل نسيتِ خطاب والدتي قبل خمسة عشر عاماً، عندما تولت رئاسة المدينة؟ قالت بأنّ الناس سواسية ولن يوجد بيننا مسميات مثل الصوصافيين وغيرهم، أي أنكِ حرة يا هاميس! حتى ولو كان والدك رئيس الصوصافيين من قبل، لطالما أنكِ لا تصرخين بأعلى صوتكِ بأنكِ صوصافية فأنتِ في سلام، لا أقول لكِ بأن عليكِ أن تغيري مبادئكِ، فأنا نفسي أميل إلى عالم الصوصافيين، ولكن أيضاً ليس عيباً أن تكون دوافعكِ سرية، كل ما أريده منكِ أن تدعي الأمر لي، وسترين بأننا سنعيش تحت سقفٍ واحد، في منزل صغير الحجم، نكوّن فيه عائلة لا تُجبَر على الرضوخ إلى قرارات تعسفية كما يجري

الآن في هذه المدينة. لا يهمني إذا أصبحَ أولادنا مناصرين للعالم السفلي، أو انتموا إلى العالم العلوي، لا يهمني إذا انجرفوا وراء أي علم في الدنيا، لطالما هم سعداء فأنا سعيد، ولطالما أنتِ معي، فأنا أعيش!".

"أحبكَ يا نهار!".

ابتسم نهار، وأخذ يدها وقبّلها بكل حرارة وحب.

نظرت إليه بطريقة تفضح فيها نفسها بأنها عاشقة ومحبة له، فقالت:

"أنا نهار وأنت....". وسكتت، لم يفهمها حبيبها:

"لم أفهم!".

وضعت يده على قلبها، ووضعت يدها على قلبه:

"نحن نكمّل بعض، فأنا أرى نفسي نهاراً، وأنت ترى نفسك هاميس، لا تنسَ هذه الجملة أبداً".

أغمض عينيه مبتسماً، وقال:

"أنا هاميس... وأنتِ نهار".

يقف في الجهة الأُخرى - ليل - خارج المنزل، وهو ينظر إلى أخيه وحبيبته هاميس، عيونه تميل إلى الخبث، وكأنه يخطط لإلقاء قنبة مدوية فوق رأسيهما.

عندما انتهى من مراقبة أخيه، ورأى بأنه سوف يرجع إلى المنزل، سرعان ما دخل مرة أُخرى وهو يضع الخطط والمؤامرات في رأسه. في السابق كان ينظر إلى أخيه - نهار - بأنه شريكٌ له في صناعة وتسيير أبناء العالم السفلي، ولكنه تأكد اليوم بأنه وحيدٌ، وبأنّ أخاهُ - نهاراً - بعيد كل البعد عن مخططاته الإبليسية، وأن لا فائدة من المحاولة معه. نعم - ليل - قد ورثَ جميع صفات والده المسجون، وأهم صفة هي حب النفس، والتفكير في مصحلته أولاً وأخيراً.

-22-

إضاءة خافتة تأتي من شموع بالكاد هي مضيئة، المكان ينتشر فيه البخور الروحاني، الرؤية ضبابية وغير واضحة، هدوء مخيف، وأجواء تقشعر منها الأبدان، درجة حرارة المكان باردة جداً، وكأن فصل الشتاء مدفونٌ في زوايا الغرفة، وحركة غير معلومة المصدر، تخرج وتختفي، وكأن هناك قوى غير مرئية تركض وتسرح في المكان.

هناك عددٌ من القطط السوداء تحوم في المكان تمثل أن الأرض أرضها والمكان مكانها، مواء القطط غريب ومخيف! أشكالهم ليست حيواناتٍ عادية! بل جناً تلبّست أجسادهم الصغيرة.

تجلس امرأة في العقد الخامس من عمرها، بيضاء البشرة، وجهها مميز جداً بوجود الشامة الكبيرة التي نُقشت أسفل أنفها الكبير، بجانبها ابنتها حنطية البشرة، ذات العيون الكبيرة والخائفة، والشعر الذهبي الحريري. كانت ممسكة بذراع أمها خائفة، وكأنها طوق النجاة الأخير لها في الدنيا.

كانتا تجلسان أمام الساحر - ليل - الذي يمسك بسبحته الطويلة جداً، أمام المبخر الذي تتراقص أدخنته بطريقة غريبة ومريبة، تارة يكون ساكناً وتارة يهيج مع كلمات - ليل - المتلوّة باللغة السريانية الخاصة بالجن.

عيون الأم وابنتها تتفحصان المكان المرعب بتمعّن، تشعر المرأتان بأنّ هناك من يمر باتجاههما بسرعة البرق ويمضي، ولكنهما لا تريان شيئاً، هناك من يمسك بأطراف أرجلهما بين الحين والآخر، تصرخان مستغيثتين بالساحر - ليل - والذي يرد عليهما بكل هدوء:

"التزما الصمت! فنحن في حضرة الجن الكبار، لن يؤذيكما أحد بوجودي".

بدأ العرق يتصبب من جبهة الأم وهي تسأل:

"سيدي - ليل - قل لي: ماهي مشكلة ابنتي؟ فأنا صرت لا

أعرفها، لقد تغيرت عليّ بشكل كبير! وكأنها ممسوسة من قبل الجن".

وضع الساحر - ليل - حبات البخور في المبخر، فانطلق الدخان إلى الأعلى بقوة، أصبح المكان مخيفاً جداً:

"ابنتكِ تعاني من مس شيطاني، إنه شيطان عاشق لها، لا يريدها أن تلتفت إلى غيره، لا مفر منه يا سيدتي، يريدها له، ولن يرتاح إلا عندما تكون في مملكته".

بدأت ابنتها تصرخ وتبكي، وبطريقة مفاجئة تقطّع قميصها الزهري الذي ترتديه، نهضت الأم من مكانها مفزوعة وهي تصرخ، سقطت الفتاة على الأرض، وتقطعت ثيابها المتبقية على جسدها، إلى أن أصبحت عارية، و هي تصرخ وتضحك في آن واحد، تستمتع وتتعذب في نفس اللحظة، المشهد الذي جعل والدتها تشعر بأنها سيغمى عليها. صرخت الأم على الساحر - ليل - :

"ما الذي يحدث لها؟ أرجوك ساعدها".

قذف الساحر المزيد من البخور، وأغمض عينيه هامساً بكلمات غير مفهومة، ومن ثم قال:

"قلت لكِ إنه يريدها، عليك أن تتشرفي بهذا الإعجاب، لأنه من أحد الملوك الأقوياء جداً، يريدها معه في باقي مشواره، سوف تكتسب حب واحترام معشر الجن، ستكون عليهم ملكة لها الأمر و النهي".

زاد صراخ الفتاة وهي ملقية على الأرض، وفجأة صمتت وبدأت تبتسم وتشعر بشعور غريب، وكأنها تجربة جديدة عليها، جسدها يتحرك بقوة يميناً وشمالاً، ابتسم الساحر - ليل - قائلاً:

"الملك لا يريد أن ينتظر أكثر من هذا! لقد تم الزواج بينهما، وهذه خلوتهما الشرعية، ابنتك لم تعد بكراً ".

وضعت الأم يدها على رأسها، بدأت تشعر بأنها تريد أن تسقط، ولكنّ ابنتها بحاجة إليها، بدأت تصرخ بغضب كبير:

"لقد جئتُ إليك لكي تنقذها، عليك فعل أي شيء لتخليصها

منه!".

مدّ الساحر - ليل - سبحته أمام وجه الأم قائلاً بغضب:

"لقد ساعدتها بالفعل، أنا جعلتها تتقبل مصيريها ومكتوبها، سوف تحرمين من وجودها معكِ، ولكنها سوف تكون ملكة في عالمٍ خفي، أعطي ملكها الجديد قليلاً من الاحترام، لكي لا يغضب ويحولك إلى نعجة حمقاء! لطالما حدث الزواج الآن، وتواصلت أرواحهما كما رأيتِ، فإنها موافقة على هذا القدر المكتوب، افرحي لأجلها يا امرأة، فليست جميع فتيات الإنس بهذا الحظ".

بدأت الفتاة ترتعش وهي ملقية أرضاً، تبتسم لأنها تشعر بشيء خارق للطبيعة، تلاشى جسدها السفلي بالكامل، وكأنه تمّ مسحها من خلال ممحاة، توسعت عيون والدتها من الصدمة، لم تعد تتحمل ما تراه، إلى أن اختفت الفتاة بالكامل من المكان!

هدأ دخان البخور في المكان، انطفأ نور الشموع، فتح الساحر - ليل - إضاءة المكان العادية، وقال وهو مبتسمٌ:

"ابنتك في العالم الآخر الآن! هنيئاً لها!".

قالها لوالدتها، التي حاولت أن تتمالك نفسها، ولكنها سقطت أرضاً مغشياً عليها، نظر إليها الساحر بكل قرف وانزعاج قائلاً:

"يا للبشر الأغبياء! هل هناك من يرفض الزواج من ملوك الجن السفليين؟".

-23-

في الحديقة المجاورة لمنزلهم الصغير، تتمشى - هاميس - وسط الزهور الملونة، تتأمل في جمالها لعلها تنسى المشاكل والهموم التي وُضعت فوق كاهلها رغم صغر سنها، تبتسم عندها ترى الورود الحمراء، لأنه اللون المفضل لديها. من يراها بين الورود لابد و أن يسأل نفسه: من هو الورد في هذه الحديقة؟ لديها جاذبية لم يهبها الرب لكثيرين من الناس، باستطاعتها أن تدخل قلب أي مخلوق عندما يراها، ولكنها لا تريد الاهتمام من الناس، بل تريد شخصاً واحداً، وهو - نهار - الذي عشقته منذ طفولتها، ولم يفارقا بعضهما أبداً.

أغلقت عيونها، وأخذت نفساً عميقاً، تحاول أن تُدخل قليلاً من الهواء النقي إلى رئتيها، لربما يلطف جراحها النفسية.

اتجهت نظراتها إلى الناحية اليمنى من الحديقة، فوجدت رجلاً مسناً، بيده عكازة متهالكة، قصير القامة، حليق الرأس، ذقنه أبيض، لا تعلم لماذا؟ ولكنها توجهت إليه:

"مرحباً يا عم! هل تريد المساعدة؟".

التفت إليها الرجل المسن، وسرعان ما ابتسم في وجهها قائلاً:

"أنتِ هاميس ابنة الصديق القديم صوصاف؟ أم أنني فقدت ذاكرتي وأصبحتُ لا أفرق بين الناس؟".

"ذاكرتكَ قوية حتى الآن يا عم، نعم أنا هاميس". قالتها مبتسمة.

وضع يده على خدها الناعم، وقال متأثراً:

"أنكِ تشبهين أمك رحمها الله، ماتت غدراً وظلماً، ولكنَّ الله لن يضيع حقها أبداً".

ظهر الحزن على وجه هاميس، أنزلت رأسها منكسرة، ولكنها قاومت هذا الأسى قائلة:

"الله لا ينسى أحداً يا عمّ، وأتمنى ألّا ينساني في هذه اللحظات، لأنني أشعر بأنني واقفة على أعلى التل، ويراودني

شعور بأنني سأقفز و أموت، لعلي أرتاح من هذه الدوامات التي لا تنتهي".

حرّك الرجل المسن عصاته على الأرض مبتسماً:

"دوركِ لم يحن بعد يابنتي! كلّ ما يحدث للصوصافيين سينتهي يوماً ما، وريث الصوصاف هو من سوف يُطهر المدينة منهم، وأنا أظن بأن الوريث يقف أمامي".

تعجبت هاميس من كلامه! وريث الصوصاف؟ نفس حديث والدها بالضبط! هل يا ترى هي الوريثة لوالدها؟ وهي من سوف تكمل مشواره وتحارب أعداء الصوصافيين؟

"ولكن يا عمّ..."، كانت ستكمل جملتها، ولكن رأته يضع يده على قلبه متألماً، شعرت بالخوف عليه:

"ماذا بك؟ هل تريد أن نذهب إلى منزلي لكي تستريح؟".

أزالَ يده عن قلبه، وقال مصدوماً:

"أنا بخير! ولكن أشعر بأنّ والدك ليس بخير! اذهبي إليه يا هاميس، أشعر بأن صوصاف في خطر".

تعجبت هاميس من كلام الرجل المسن، وسرعان ما بدأت تركض، دموعها بدأت تنهمر، تبكي على شيء تجهله، وكأنها بالفعل بدأت تقتنع بأن جميع ما سيحدث في الأيام القادمة سيء جداً.

صوصافيون

المعرفة كنز... والجهل ضياع!

من أين تأتي مصادر العلوم الصوصافية؟ والأبواب الروحانية؟ ترى كيف توارثَ الصوصافيون هذه الأسرار عبر السنين؟

عندما تريد كتابة أحد البحوث حول موضوع معين، دائماً ما تلجأ إلى المراجع التاريخية الموثقة، وفي العلم الصوصافي لا يوجد اختلاف في هذه النقطة.

منذ مئات السنوات، وعندما اشتهر علم الروحانيات عند مجموعة من الناس، كان جميع من ينزل عليهم هذا الإلهام الإعجازي، يدوّنون تجاربهم بخط يدهم، ينقلون إلى السطور طقوسهم وأسرارهم والطرق الصحيحة في تحضير العديد من ملوك الجن.

وهناك الكثيرون من الشيوخ الروحانيين المعروفين عبر التاريخ، وأيضاً توجد حكايات عنهم وصلت إلى يومنا الحالي في المجالس. بعضها صحيح، والآخر مجرد خزعبلات لا صحة لها ولا دليل عليها.

الكُتب التي تمّ توارثها عبر السنوات والخاصة بالروحانيات، هي عبارة عن كنز من كنوز الدنيا، لا تقع في يد الكثيرين، نظراً لقيمة أسرارها و خطورتها. نادراً ما تجد نسخة غير محرفة تتكلم عن الروحانيات وفصولها، نعم.. على مر السنوات تمّ تحريف الكثير من النسخ فقط لغرض الربح المادي.

منذ عام 450 ميلادي وربما بضع سنوات للخلف، بدأ الروحانيون بتدوين و بكتابة مؤلفاتهم عن الروحانيات، شرحوا كل شيء بالتفصيل، هناك أبوابٌ للجن بأسمائهم، طرق تحضيرهم، طلاسمهم وبخورهم المحدد، منهم من كان متصوصفاً بحق، ومنهم من يتجول في الطريقين... العلوي والسفلي!

هناك العديد من الكتب تتناول طرق تحضير مجموعة من الملوك العلويين، وتجد في فصول أُخرى من نفس الكتاب، طلاسم خاصة بالملوك السفليين، ففي ذاكَ الوقت كانت التجربة عنوان المرحلة، لا يهم اختيار الطريق المناسب، بل الكشف عن جميع الأسرار سواء أكانت أسراراً مباركة، أو غير مباركة تتصل بالشيطان.

وهذه الكتب والمخطوطات دائماً ما تكون سلاحاً ذا حدين، إن وقعت في يد الروحاني المتمرس سوف يميز فيها بين الاتجاه العلوي والسفلي، وإن وقعت بيد الجهلاء فسوف يفتحون على أنفسهم علاقات و روابط مع قبائل الجن أجمعين، بمجرد أن يقرأ أحدهم بلسانه الحروف السريانية، سوف يدخل في متاهة لن يستطيع الخروج منها أبداً.

أشهر أسماء المؤلفين للكتب الروحانية هم: البوني، والطوخي، والسيوطي، و كثيرين غيرهم.

-24-

شغب كبير، وصراخ عالٍ، وفوضى تنتشر في السجن المركزي الخاص بالبلدة، جميع أعضاء الشرطة يتوجهون إلى إحدى الزنزانات التي تشهد حالة الاستنفار. دخلوا إليها واتسعت عيونهم دهشةً! جميع السجناء يصرخون طالبين أن يتم إخراجهم من المكان، حاولوا أن يهدّئوهم ولكن دون جدوى إلى أن ركض أحد السجناء وركع أمام الضابط متوسلاً:

"أرجوك أخرجنا من هنا، هذا المكان ملعون، إنهم يستخدمون أشياء خارقة للطبيعة، يتعاركون دون أن ترمش لهم عين".

لم يستطع الضابط أن يفهم شيئاً مما يقوله: "ما الذي تقصده؟ تكلم!".

أشار المسجون إلى بقعة في منتصف السجن، التفتَ حولها جميع السجناء، بحركة من إصبع الضابط أمر الجميع بإفساح الطريق. تقدّم ببطء، إلى أن وجد جثتيْن ملقيّتين على الأرض، هناك ميّتان! كلاهما عيونهما مفتوحة على اتساعها، و كأنّ الرجلين قد تعرّضا إلى صدمة قوية قبل أن توافيهما المنية.

بدأ العرق يتصبب من جباه جميع أفراد الشرطة، لقد صعقوا من المشهد المتمثل أمامهم! رجع الضابط نفسه إلى الرجل المتوسل الخائف، أمسكه من عنقه بقوة:

"أريدك أن تتكلم، ما الذي حدث لهما؟".

الرجل يتصرف وكأن نبضات قلبه سوف تتوقف في أية لحظة، وسيتعرض إلى الاختناق من قبضة الضابط القوية:

"منذ اليوم الأول وهما في عراكٍ دائم، مناقشات لا تنتهي، وعبارات بذيئة، وتهديدات بالقتل أمام الجميع، إنهما يحملان كراهية كبيرة لبعضهما، ولكن ليلة البارحة كانت مختلفة جداً، لسنا متأكدين من بدأ الشرارة الأُولى، لم نستطع أن نحظى بقسطٍ من النوم بسبب أصواتهما العالية، لا أعلم يا سيدي إن كنتَ شاركت في الحروب من قبل أم لا؟ ولكنني شاركت! وأستطيع أن أشبّه ماحدثَ معنا البارحة بحالة الحرب، فعندما

تتأقلم مع ظروف الحرب، فستنام حتى لو كنت تسمع أصوات الصواريخ تقصف مناطق العدو، هذا ما حدث! أصواتهما العالية أصبحت كالصواريخ الحربية، استطعنا أن ننام في نهاية الأمر، ولكن عندما استيقظنا كانا نائمين! وفجأة أفاقا من النوم و أكملا معركتهما، هذا يهدد وذاك يتوعد، وحدث شيء لم أرهُ من قبل! إنهما يستخدمان قوة قوية وغير مرئية! بدأا يضربان بعضهما بالهمسات؟ إنه أمر خاص بالجن! شعرت بأنّ الزنزانة مكتظة رغم قلة عددنا، وكأنّ هناك أشخاصاً غير مرئيين دخلوا المكان، أنا لا أفهم في السحر! ولستُ من فئة الصوصافيين أو من أي تيار آخر. ولكنّ ما حدث أمامنا كانت معركة سحرية برفقة الجن، ظلّ الرجلان و جنودهما يلقون على بعضهم العديد من التعاويذ، تارة هذا يطير من مكانه، وتارة هذا يُقذف به إلى الجدار بقوة، إلى أن هتفا ـ هما الاثنان ـ بكلمات لم أسمعها من قبل، و سقطا على الأرض مفارقين الحياة!".

حرر الضابط الرجل من قبضته، فجأة دخلت - هاميس - إلى السجن مسرعة وهي هاربة من بعض رجال الأمن، لم يستطيعوا أن يمنعوها من الدخول، نظرت إلى المكان بكل ذهول، وذهبت عيناها إلى مكان الجثتين الهامدتين. صرخت بأعلى صوتها غير مصدقة، لأنّ من تراهما هما والدها صوصاف والساحر آمون... لقد فارقا الحياة بعد معركة دامية، طرفاها: الجن السفليون والملوك العلويون.

-25-

نفس الطقوس المعتادة، ونفس رائحة البخور الغريبة جداً، يجلس - ليل -في مكانه المعهود في المنزل، وحيداً وهو يمسك بسبحته الطويلة التي تحول لونها إلى الأسود الداكن!

يتمتم بكلمات غير مسموعة، و يشم رائحة البخور وكأنه الأوكسجين الأخير المتبقي على سطح هذه الأرض. ينهض من مكانه ويتوجه إلى طاولة كبيرة توضع في المنتصف، عليها غطاء أحمر اللون، طويلٌ وكبير، يلتف حول جسد شيء ما، يفتح - ليل - الغطاء فيكشف عن كلب أبيض اللون، من الواضح بأنه لم يتعدَّ السنة من عمره، يوجد حول فمه طوقٌ يمنعه من إصدار أي صوت، رجلاه و يداه مربوطون بإحكام بحبل سميك.

يحمله -ليل- ويضعه على الأرض، ويُخرج من جيبه سكينة حادة مدببة، كتبت عليها حروف متفرقة باللون الأحمر الداكن. يأخذ السكينة ويضعها فوق المبخر الذي ينشر تلك الرائحة المحببة للجن، يتمتم مرة أُخرى بكلمات سريانية، كان يقوم بإحدى الطقوس بغرض أحد الأعمال التي يريد أن ينفذها.

رجع إلى الكلب ودون تردد أو رحمة قطع عنقه فمات، غرقت سكينته بدم الحيوان البريء، وضعها فوق فمه وأخرج لسانه الطويل وبدأ يتذوق الدماء وعلى وجهه ابتسامة مخيفة وغامضة، رجع مرة أُخرى وطعن الكلب في قلبه. أخرج القلب من مكانه ووضعه في المبخر ذاته، جلس على كرسيه والدماء تنهمر من فمه، مسح ما تبقى منها على ملابسه وكأنه يتبارك بهذا الدم الحيواني.

أخرج قماشة داكنة اللون، رسم عليها مربعاً كبيراً، و ملأ الفراغات بالحروف وبالأرقام الخاصة بطقوس هذا التحضير المرعب.

رفع القماشة فوق المبخر، وبدأ يصرخ بأعلى صوته:

"أطلبُ منك أيها الملك سافييل أن تحضر إلى مكاني وأن تلبي طلباتي، وأن تجعلني أكرمك برائحة هذا البخور الطيب،

بحق هذه الدماء التي سفكتها لك، وبحق الحروف والأرقام المباركة التي كتبتها على القماشة، احضرْ إلى مجلسي بصورة حسنة، ولبِّ نداء الطاعة لي".

اهتزَّ المكان فجأة وعمّ الهدوء بعد ذلك، ثم اهتزّ المكان مرة ثانية. أغمض - ليل - عينيه براحة كبيرة، ومع الهزة الثالثة التي كادت أن تسقط المبخر من مكانه، ظهر ذاك الصوت الجهوري:

"ها أنا ألبّي النداء لك يا ليل، أكرمتني بالدماء والبخور، وبسر الجدول المكنون، قل لي: ماذا تريد؟ وسوف أعطيه لك ولو كان في آخر مكان في العالم".

فتحَ - ليل - عينيه مبتسماً، ونظر إلى الملك - سافييل - ملك ملوك الجن السفليين الخاص بتفريغ وتجميع قلوب البشر، كان متوسطَ الطول، حنطيَّ البشرة، ذا شعر أسود طويل ولماع، عيناه خضراوان وفمه صغير، وبالطبع هذا ليس شكله الطبيعي، لأنّ - ليلاً - طلب منه أن يتشكل بصورة حسنة:

"هذا الكرم الكبير منك لن أنساه طيلة عمري، ملوك الجن السفليين لم يرفضوا لنا أي طلب منذ سنوات عديدة، ما أريده منك بسيط جداً، أريد قلب فتاة تدعى هاميس ابنة صوصاف، أريدها أن تذوب في عشقي، وتحبّني، وتراني خلاصها الأول من الدنيا وهمومها، أريدك أن تعلقها فيَّ كما يتعلق الطفل بوالدتهِ، أريدك أن تمحو من قلبها حب جميع الناس، وتقذف أحاسيسها نحوي أنا فقط".

ضحكَ ملك الجن بصوتٍ عالٍ ومدوٍّ:

"طلبك سهل! وأستطيع أن أنفّذه لك وأنا في مكاني".

"إذن أفعل ذلك".

أغمضَ الملك - سافييل - عينيه، ووضع يده على رأسه وكأنه يستبصر شيئاً ما، مرّت الدقيقة الأُولى والصمت يملأ المكان، وفجأة فتح الملك عينيه مصدوماً وغاضباً، صرخ بأعلى صوته:

"من هذه الفتاة يا ليل؟ كيف تمتلك كل هذه القوة؟".

استغرب - ليل - من كلام الملك، فقال مصدوماً:

"ماذا تقصد؟ هل تمت التعويذة عليها؟".

بدأ الملك يصرخ برهبة وبخوف:

"لا أستطيع... لا أستطيع مساعدتك يا ليل، هذه الفتاة لم أتمكن من الاقتراب منها، فما بالك بالوصول إلى قلبها، هناك من يحرسها. لم أرَ وجوههم ولم أكشف عن هويتهم، ولكنهم جبابرة لهم شكل الجبال، يحصّنونها بطريقة لم أرَ مثيلها من قبل... عليَّ أن أغادر الآن!".

كان - ليل - يريد أن يوبخ الملك، ولكنه طار مسرعاً من سقف المنزل واختفى! ثار الساحر ممَّا حدث، شعر بإهانة كبيرة من ملك الجن السفلي، فبدأ يصرخ بأعلى صوته، إلى درجة أن آهاته وصلت إلى أقصى مكان في البلدة.

صوصافيون

سبق وأن ذكرنا بأن أيَّ عملٍ روحاني لن تجنيَ ثماره إلا بوجود البخور فيه، وهنا نأتي على ذكر الفروقات، فالعالم الروحاني لا يتماشى معه جميع ما على الأرض، ضربنا مثالاً قديماً عن الصيام، فالصيام العادي يختلف عن الصيام الروحاني، وأيضاً الحكاية ليست مختلفة عن البخور، لابد من استخدام النوع الروحاني الذي باستطاعته أن يجلب من تريد إلى مكانك.

الرقعة التي لا تنبعث منها رائحة البخور الزكي، يستحيل على الجن أن يرضخوا و يدخلوا إليها، إنهُ الهدية الثمينة، والكرم الكبير، والتحية الجليلة التي يرسلها الروحاني إلى الملك الذي سيلبي نداءه ويخدمه.

ولكن ماهي الأنواع المعينة والمحددة التي ستنجح معها الأعمال الروحانية؟ عندما نريد أن نُجيب على هذا السؤال، فسوف نرجع إلى المربع الأول، الأسرار التي كُشفت من قبل الصوصافيين القدامى، هم من عرفوا أصناف البخور الخاصة بالجن، وسبب اختلافها وتنوعها. المسألة نسبية حتى ولو شملت كل البشر، فما يعجب فلان من رائحة، ربما ينفر منها الآخر، هي مسألة أذواق وربما نسميها بالمزاج الذي لا يفهمه الكثيرون.

هناك الكثير من أنواع البخور الروحانية والمستخدمة من قبل جميع من يسلك هذا العالم، وسوف نذكر البعض منها:

أشهر الأنواع المستخدمة في العالم هو بخور - الجاوي - ويتم استخراجه من جذور بعض الأشجار التي غالباً ما تكون عالية جداً في الارتفاع، يخرج منها سائل يشبه الصمغ إلى حد كبير جداً، ويوجد لها نوعان: الجاوي الأبيض والأحمر، ويختلف استخدامهما حسب الخدمة الروحانية المطلوبة.

والأنواع الأُخرى كثيرة منها: بخور مريم، تفاح الجن، دم الأخويْن، خولنجان، والعنبر.

جميع هذه الأنواع من البخور تختلف استخداماتها باختلاف

الملك العلوي أو السفلي الذي يريد الروحاني تسخيره لنفسه، وهنا يكمن العلم والمعرفة، وهنا أيضاً شرط من الشروط المستحقة لكي يكتمل أي عمل روحاني.

-26-

شمسٌ مشرقة، هدوء ساكن، حزن عميق، بكاء متفاوت، انكسار و أسى، سوادٌ يملأ المكان من خلال ملابس الناس. عيون حائرة، وعيون فرحة، تضارب في المشاعر، وصدمة وضياع.

كلمات توصّف المشهد الحالي في إحدى المقابر الموجودة في بلدة أرض الجنة. تمّ هناك دفن جثّتي السيد - صوصاف - والسيد - آمون - اللذيْن رحلا عن الدنيا بعد صراعاتهما الكبيرة. أحدهما كان يرفع راية الصوصافيين عالياً، والآخر يمجّد العالم السفلي و طريق الشيطان، إنه شعورٌ مخيف عندما نتأكد بأن هذه الدنيا مؤقتة! يا ترى كم من السنوات سنعيش؟ السيد - صوصاف- كان أشهر الصوصافيين في البلدة، والسيد - آمون - كان رئيسٌ على السفليين أجمع، أين هما الآن؟ تحت الأرض ينتظران حسابهما الكبير. من سوف يصعد إلى الأعلى؟ ومن سينزل إلى الأسفل؟ لا يبقَى في الكون إلا وجهه الكريم... وجه الله سبحانه وتعالى.

بفستانها الأسود الطويل، وبنظاراتها السوداء أيضاً والتي تخفي عينيها الغارقتين بالبكاء، تقف - هاميس - وهي ترثي لحالها من بعد أن فقدت والدتها منذ صغرها، والآن يرحل عنها أبوها، الذي ترك لها العديد من الألغاز والتحديات، تسأل نفسها: أين المفر؟ كيف ستعيش في هذه البلدة الغريبة؟ من سيحميها؟ وكيف ستكون وريثة الصوصاف الأشهر؟ تشعر بأنها ضعيفة جداً، ولا تستطيع أن تفوز في هذه الحرب المميتة.

يقف خلفها - نهار - ببدلته السوداء الأنيقة، و بعينيه الحزينتين، يراقبها من الهواء الذي يمر من جميع الاتجاهات، يريد التخفيف عنها، و حمل الكثير من حزنها، ولكنه مكبّل اليدين.

هناك الكثيرون من أنصار العالم السفلي جاؤوا لمشاهدة مراسم الدفن الخاصة بالسيد - آمون - صحيح بأنهم شعروا

بالخيانة عندما اكتشفوا علاقته مع تلك الصوصافية، ولكن يبقى الواجب واجباً، أو ربما خوفاً من السيدة - كليوبترا - رئيسة البلدة وزوجة المتوفي، والتي تقف وهي تشعر بضجر كبير، بفستانها الأبيض والأسود، وكأنه يرسل إشارات خفية، بأنه يتملكها شعوران مختلفان: فرح وحزن، يقف إلى جانبها ابنها الآخر ليل ببدلته السوداء، يصدر صفيراً من فمه، ويحرك عينيهِ في جميع اتجاهات المكان، وكأنه غير مبالٍ بما يحدث حواليه. التفتت إليه والدته غاضبة:

"هل لك أن تتمالك نفسك يا ليل؟ وأن تمثل وتبين للناس بأنك حزينٌ على والدك؟".

ابتسم - ليل - بطريقة خبيثة:

"ولما أكذب على نفسي؟ أبي خائنٌ يا أمي، والآخر موتهُ يسبب لي سعادة لا تُوصف، أنا لا أفهم سبب حزنكِ؟".

"أنا لستُ حزينة يا أحمق، ولكنني مجبرة على فعل هذا الشيء، أنسيتَ بأنني حاكمة هذه المدينة ومن مات هو زوجي؟ ترى ماذا سيقولون لو لم أحضر إلى هنا؟ أنا أشعر بالقرف إذا أردتَ الحقيقية، وهذا الشعور سببهُ دفن ذاك الصوصافي في نفس الأرض التي دفنَ فيها والدك. قراري الذي أصدرته بأنَّ الجميع سواسية كان قاسياً على قلبي، نحن لسنا كذلك! الصوصافيون أوغاد، لا يستحقون سوى حرق أجسادهم العفنة، نحن من علينا أن نحظى بهذه المقبرة، ولكن علي أن أصدر هذه القرارات وأتماشى معها، فقط لكي نسيّر أعمالنا السفلية بكل بساطة".

وجَّه - ليل - عينيه إلى - هاميس - و- نهار - اللذيْن يتحدثان. لقد كان أخوهُ يواسيها بكل اهتمام وحب. ظهر الحقد على وجهه وهو ينظر إليهما، رمقته والدته مستغربة:

"أرى بأنك مهتمٌ جداً بابنة الصوصافي، ما الذي يشغل بالك؟".

"أريدها يا أمي".

اتسعت عينا والدته صدمةً! وقالت وهي بالكاد تفتح فمها،



محاولة ألّا تصرخ بأعلى صوتها:

"هل جننتَ؟ تريد ابنة صوصاف؟ ماذا سيقول الناس عنا؟ هل تريد أن تلطّخ سمعة العائلة كما فعل والدك بنا؟".

"ولكنكِ ترينَ كيف أنّ أخي نهار متعلقٌ بها، أريدها كي أجعلها خادمة تحت رجليَّ، ولكي أجعل أباها يتعذب في قبره. أنا متأكد بأنه سوف يشعر بذلك عندما آخذها وأعاملها بذل وبإهانة".

"أنا لستُ خائفة على أخيك نهار، لن يستطيع أن يتزوجها طالما أنا موجودة وأحكم هذه البلدة بقوانيني، وأريدك أن تنسى هذه الفكرة يا ليل، أبحث عن زوجة سفلية تناسبك وتناسب طقوسنا ومعتقداتنا".

عضّ - ليل - على شفتيهِ محاولاً أن يمسك غضبه، وقال بكل هدوء:

"أريدكِ أن تثقي بي، أخي ليس في صفنا وأنتِ تعلمين ذلك، هو يميل إلى العالم الصوصافي القذر، ولو تقرّب أكثر من هاميس فسوف تجعله كالخاتم في إصبعها، أمي زوّجيني إياها، اجعليها خادمة لي، دعينا نطمس ونذلّ الصوصافيين أكثر، ولو فكّرتِ في اقتراحي فسوف ترينهُ مناسباً لكِ كحاكمة لهذه المدينة".

نظرت إليه السيدة - كليوبترا - باستغراب وحيرة:

"ماذا تقصد؟ كيف سيُفيدني زواجك من تلك الصوصافية؟".

ابتسم لها، وشعر بأنه سوف يأخذ مراده:

"إن زوّجتِها لي، سيقتنع أبناء البلدة بأنك جادة في قراراتكِ الجديدة، أنتِ من أصدرتِ قانون السواسية، لا فرق بين الجميع طالما أنّ الشخص لا يجاهر بأنه صوصافي. تخيلي لو أنّ ابن حاكمة المدينة تزوج بابنة أشهر الصوصافيين، والتي من المستحيل أن تعترف بميولها، ستكسبين ثقة القادة السياسيون، وسيرون بأنكِ الشخص المناسب في المكان المناسب".

اتسعت عينا والدته فرحاً:



"كيفَ تأتي بهذه الأفكار الخرافية؟ يا لك من شقي يا ليل، حسناً سوف أزوّجها لك، وسأجعلها جارية لعائلتنا، كما هو حال الصوصافيين الآن".

"ولكن إذا رفضت يا أمي، ما العمل؟".

نظرت السيدة - كليوبترا - إلى - هاميس - التي تبدو بحالة تعيسة جداً، وقالت بشر كبير:

"هذا القرار ليس بيدها، وحتى لو رفضتْ، فسوف أجعلها توافق رغماً عنها. والآن اصمت أرجوك! لا نريد أن يسمع أحدٌ هذا الحوار".

أمسك - ليل - يد والدته وضغط عليها بحب وحنان، وكأنه يشكرها على ماستفعله من أجله.

ينظر - نهار - إلى أخيه ووالدته من بعيد وتساوره العديد من الشكوك والظنون، يشعر بأن هناك شيئاً يجري من خلف ظهره، يريد أن يُكذب نفسه ولكنه يعرفهما جيداً، هو من نفس دمهما، ويشاركهما العيش تحت سقف واحد، يتمنى في أعماق قلبه ألّا يصيب - هاميس - أي أذى، لأنَّ قلبه يقول له إنّ الشرَّ قادم نحوها لا محالة.

-27-

في إحدى الغرف المغلقة، في مكانٍ لا يستطيع أحد الوصول إليه، ينتشر البخور الروحاني الخارج من المبخر الضخم الموضوع وسط المكان، لونه أبيض لؤلؤي وبه زخارف ذهبية مكتوب عليها أسماء مباركة وعلوية.

هناك مجموعة من الصوصافيين الذين يلبسون أردية بيضاء اللون، و في أياديهم سبحات طويلة جداً، وفوق رؤوسهم قبعات مثلثة وطويلة وبيضاء، يدورون حول المبخر وهم يهللون ويذكرون أورادهم الروحانية.

هذه الجلسة تُسمى - بالحضرة الصوصافية - .

هي طقوس وُرثت عن أقدم الصوصافيين، غرضها ذكر الأسماء العلوية الذهبية، وتمني النجاة، والرجاء وطلب الأمنيات التي يصعب تحقيقها، ولكن لا يوجد مستحيلٌ في العالم الصوصافي إذا كان الغرض مشروعاً وحلالاً.

غالباً ما تكون هذه العملية روتينية في هذا العالم، تُقام في الأسبوع مرة واحدة، ولكن عند وصول الشدائد والهم والغم، تُقام كل ليلة إلى أن ينعم الصوصافيون بالهدوء والأمان من جديد.

جميعهم يدورون حول المبخر، ويرددون جملة واحدة لا تتغير:

"أين أنت يا وريث الصوصاف؟

أين أنت يا وريث الصوصاف؟

أين أنت يا وريث الصوصاف؟ ".

هذه الأمنية هي الأولوية لدى معشر الصوصافيين، يريدون ذاك الشخص الملقب بالوريث، ذكرهُ المتوفّى - صوصاف - كثيراً، وتمَّ نقل هذا الخبر إلى العديد من الناس، بل وصل إلى ابنته - هاميس - التي يظنون بأنها هي الوريثة الشرعية، ولكن حتى الآن لا أحد يعلم متى سوف يصحو الأسد من سباته، وكيف ستكون الخطوة الأُولى التي سيخطوها هذا الوريث.

كل هذه الأسئلة ربما لن تكون مفيدة أو هامة بالنسبة لهم،

هم يريدون الاستقرار من جديد، يطمعون في الإنصاف، يطالبون الكون أن ينصرهم على السفليين الذين يحتمون بالقيادة الفاسدة، التي كانت مهمتها منذ البداية هي تمهيد الموت البطيء للصوصافيين أجمعين.

-28-

أفكار الإنسان دائماً ما ترميه في طريق التهلكة، ترى كم من السنوات تضيع مع الرياح ونحن نفكر؟ كيف نخرج من مصيبة ما، كيف نكبر، وننجح... ونتعلم؟ ونصل إلى أمنياتنا وأحلامنا.

التفكير قد يصبح مع الأيام سلاحاً فتاكاً، يسرق النوم من صاحبه، يضعهُ على دروب الأرق، ويبدل ملامحه، يجعلهُ يكبر سنوات عديدة، ويرسم التجاعيد على ملامحه، و هي ممّا يصيب أي إنسان على هذه الأرض. إن لم تفكر فأنت غير موجود، ولكن ما أصعب هذا التفكير إذا كان صاحبه يعيش في دوامة، كما هو الحال مع -هاميس - التي تجلس في غرفة معيشة منزلها، تنعزل عن الناس والدنيا، تريد أن تخرج إليها إشارة ربانية تنجيها من هذه المهالك. كُتب عليها أن تحمل الكثير على عاتقها رغم صغر سنها، فمن يكبرها طبيعي جداً أن يكون مستمتعاً في هذه الحياة، فالعقد الثاني من العمر دائماً ما يكون مرحلة المرح والجنون والمغامرات والتجارب، ولكن ليس كما هو الحال - هاميس - .

تسقط دموعها ولا تشعر بها، إنها شاردة بحيث لا يؤثر عليها سوى تفكيرها، تتساءل كيف تكون وريثة أبيها الصوصافي؟ وبماذا ستحارب السفليين والقادة السياسيين الظالمين؟ صحيح بأن - نهاراً - لا يفارقها طوال الوقت، بل ويعطيها حافزاً للاستمرار والمضي في حياتها، ولكنها تشعر في داخلها بأن ذلك ليس كافياً. فهو إن قرر أن يشاركها في حربها، فسوف يعادي عائلته، والأدهى من ذلك، أنّ والدته هي حاكمة المدينة، بسلطتها القوية، وبقوتها السفلية سوف تسقط كل من يفكر في مجابهتها.

فجأة تخرج - هاميس - من حالة الضياع التي تعيش فيها، عندما تسمع صوت طرقات الباب القوية، قفزت من مكانها مفزوعة، ركضت باتجاه الباب وفتحته، وباتت مخاوفها تكبر عندما رأت الشخص الذي أمامها، مجموعة من الحرس

المكونين من أربعة أفراد، وتترأسهم الحاكمة - كليوبترا- التي تضع نظارتها الشمسية السوداء، وترتدي المعطف الحريري الفاخر الذي يغطي رقبتها. نظرت إلى - هاميس - بنوع من القرف، ولكنها ابتسمت ابتسامة صفراء واضحة. أمرت الحرس أن يبقوا في الخارج، و دون أية دعوة دخلت إلى المنزل وكأن البيت بيتها.

أغلقت - هاميس - الباب بيدها المرتجفة، وبدأت تتأمل السيدة - كليوبترا - بذهول، والتي بدورها كانت تنظر إلى زوايا المنزل و أثاثه البسيط بنوع من الاستكبار و الاشمئزاز!

التفتت حاكمة البلدة قائلة:

"كيف حالك يا هاميس؟ لم أستطع أن أتحدث إليكِ في العزاء، تعازيَّ الحارة لوفاة والدكِ".

نظرت إليها هاميس بريبة، خافت أن تقترب منها، وكأنها ترى ثعباناً يحاول الهجوم عليها، فردت ببرود واضح:

"شكراً لكِ، كيف أستطيع أن أخدمكِ يا سيدتي الحاكمة".

ابتسمت - كليوبترا- وكأنّ كلمة الحاكمة لها نغمة موسيقية رنانة على مسامعها، خاصةً و أنها كانت تخرج من لسان إحدى الصوصافيات:

"لن أطيل عليكِ يا هاميس، أنا اليوم سأقدم لكِ عرضاً سخياً، وستشكرينني عليه إذا وافقتِ، أنتِ الآن فتاة وحيدة". رمقتها الحاكمة بنظرة تفحصية وأكملت:

"وأظن بأنكِ لا بأس بكِ... جميلة! والدتكِ توفيت منذ صغركِ، والآن لحقها والدكِ صوصاف، ولا أظن بأنه من العدل أن تكوني وحيدة بهذا الشكل، فهناك الكثيرون من الناس سوف يطمعون بكِ، وربما يستغلونكِ".

وكأنَّ كلامها لم يعجب - هاميس - فأجمعت قواها وقالت بقوة وشموخ:

"أقدّر لكِ هذا الاهتمام الذي لا أعلم إن كان صادقاً، ولكنني هاميس... ابنة صوصاف الكبير! عارٌ عليّ إذا خفتُ من الناس، بل هم من عليهم أن يهابوني".

ابتسمت الحاكمة من هذا الرد الهجومي من - هاميس - :

"جميعنا علينا أن نخاف يا هاميس، ولا تتظاهري بالقوة لأنني أعرف بأنك ضعيفة. لقد سمعت صوت بكائكِ قبل أن أدخل عليكِ، أنتِ تعيشين في دوامة، وأنا حاكمة هذه المدينة، وعهدي الجديد ينص على عدم التفرقة بين الناس، فلمَ الخوف؟ ولكنني أريد أن أؤمّن لكِ معيشة راغدة. وكما قلتُ لكِ سابقاً: إنني لا أريد أن أطيل الحديث".

أعطتْ - هاميس - ظهرها للحاكمة، وبدأت تمشي في أرجاء المنزل، و ألقت الحاكمة قنبلتها التي كانت على شكل حروف وكلمات:

"أريدكِ أن تتزوجي ابني، فهو يحبكِ جداً، ولا أعلم ماذا يرى فيكِ؟، ولكنَّ القلوب لا نستطيع أن نتحكم بها، وأكبر دليل هو أنا، فأنا عشقتُ - آمون - رغم قذارته وحيله الماكرة، ورغم جرحه لي، إلا أنني حزنتُ كثيراً عندما توفيَ".

اتسعت عينا -هاميس - دهشةً، اقتربت من الحاكمة غير مصدقة:

"هل أنتِ موافقة على زواجنا؟".

"بالطبع، و لمَ لا؟ سوف يحميكِ طالما أنه يحبكِ، وسوف تتشرفين بأن تكوني زوجةً له، و أن ترعيه، وتهتمّي بطلباته".

ابتسمت - هاميس - كاشفة عن فرحة كبيرة تغمر روحها:

"لقد كنتُ أهاب أن ترفضيني زوجة لابنكِ، ولكنني في صدمة كبيرة، فأنا و نهار...".

قاطعتها الرئيسة بغضب:

"وما دخل ابني نهار في الموضوع؟".

تحولت ابتسامة - هاميس -إلى ملامح ضائعة وتائهة:

"نهار... ابنك من سيتزوجني".

اقتربت - كليوبترا منها، وبانت ملامح الغضب على وجهها:

"لا دخل لكِ بابني نهار، الذي سيتزوجكِ ويريدكِ هو ليل".

رجعت - هاميس - بضع خطوات إلى الوراء، واتسعت عيناها

دهشة وصدمة:

"ليل؟ ماذا تقولين؟ لا أريدك الزواج به، كنتُ أظنكِ تتحدثين عن نهار، هل جننتِ؟".

صرخت الحاكمة بأعلى صوتها:

"عندما تتحدثين معي اختاري كلماتك بعناية وبحرص، وإلا زجتتكِ في السجن. كلمتي هي الفاصلة في هذا الزواج يا هاميس، لا تفكري أبداً أن ترتبطي بنهار، مصيركِ مكتوب مع ليل، وقلتُ لكِ بأنه سوف يحميكِ ويرعاكِ، وهو الرجل الثاني في هذه المدينة من بعدي، فكري في الجاه والمال والمنصب، لا تكوني حمقاء يا فتاة".

"وأنا لن أتزوج بهذا الساحر! لو قدّم لي كنوز الدنيا كلها، لا أريد سوى نهار".

ابتسمت الحاكمة وكأنها توقعت ردة الفعل التي تخرج من هاميس، فقالت لها مهددة:

"زواجكِ من نهار من الممكن أن يتم في الأحلام يا عزيزتي، لا أريد تذكيركِ مع من تتحدثين، إن لم توافقي على ابني ليل، فسوف أقلب حياتكِ جحيماً، صدقيني أنتِ تنظرين الآن إلى وجهي الطيب، ولكنَّ شخصيتي الأُخرى لا أنصحكِ برؤيتها. زواجكِ من ليل سوف يتم، سواء أوافقتِ أم رفضتِ، وإن كنتِ متأكدة بأنني لا أستطيع أن أنهي حياتكِ. . .فجرّبيني!".

قالتها وخرجت من المنزل، وتركت هاميس تسقط على الأرض مصدومة! تتلقى صفعة وراء الصفعة، تقول بينها وبين نفسها: مستحيلٌ أن تكون امرأة مناسبة كي تغدو وريثة الصوصاف!

-29-

يغمض الإنسان عينيه لكي يستريح وينام، إلا - ليل - عندما يغمضهما فهو يريد أن يستيقظ ويدخل في عوالمه السفلية. مع نفس طقوسه المعتادة التي جوهرها يكمن في البخور الروحاني الطيب، إنه يستدعي إحدى ملكات الجن الفاتنات، و التي كانت تُلقب ب -شمس القواميد- و هي ملكة سفلية قوية جداً ومعروفة عند الجميع.

رسم الأشكال بحذر شديد على ورقة بيضاء مربعة الشكل، ووضع الأحرف والأرقام في خاناتها المطلوبة. زخرفَ أطراف الورقة بنجمة داوود(2)، ورمى الورقة في المبخر، فاشتعلت نيرانه، وانتشر البخور أكثر فأكثر.

أمسك بسبّحتهِ الطويلة، وبدأ يتلو القسم المطلوب لاستحضار ملكة الجن السفلية، بدأ يردد بصوت بالكاد يكون مسموعاً:

"يا مليحة القدر والمنظر، يا ذات الحسن والجمال التي إذا رآها الإنسان، سُحر بدلالها وفتنتها، و إذا ابتسمت خرج من فمها عود كالنور، اقبلي على محبتي وخدمتي أيتها الفاضلة الطائرة القوية الأمينة".

فجأة خرج صوت فحيح في إحدى زوايا الغرفة، و ظهرت أفعى كبيرة الحجم، سوداء اللون، عيناها عسليتان لامعتان، زحفت باتجاه الساحر - ليل - والذي رآها ولم يهتم لها، بل أكمل قراءة القسم الخاص بالملكة. اقتربت الأفعى وبدأت تتسلق جسد الساحر، إلى أن التفّت على عنقه، ولكنها لم تخنقه، إنها تداعبه، تحاول أن تؤنس جلسته السحرية، أغمض ليل عينيه لكي يستطيع أن يركز أكثر في هذا التحضير المرهق.

رجعت الأفعى مرة أُخرى إلى الأرض، جلست أمام الساحر الغارق في كلماته، ارتفع رأسها عالياً، أخرجت لسانها الطويل، وبدأت تلعق وجه - ليل - وتراه بعيون تكاد تكون بشرية! ارتفعت الأفعى عن سطح الأرض، وكأنّ الجاذبية لا تستطيع أن تتحكم بها، وفجأة تحولت إلى ثلاث فتيات عاريات، بياض

أجسادهنَّ يغري العيون، وجمالهنّ أخاذ، يتميّزنَ بعيون واسعة وفاتنة، و أسنان بيضاء يشع منها النور. أشعارهنَّ طويلة و سوداء كالليل الدامس، أجسادهنّ رشيقة ومتناسقة وكأنهنّ آية من الجمال. يحملنَ في أياديهنَّ ذهباً ودراهمَ، و من قوة نقائهنّ فإنهنَّ يشععنَ بطريقة غريبة وعجيبة! وضعوا ما بأيديهنَّ أمام الساحر، و قلنَ جميعهنَّ بنبرة موسيقية ساحرة:

"خذ ما تحتاجه يا ليل، وأوقف تلاوة قسمك هذا".

لم يتأثر الساحر بكلماتهنّ، ولم يرفع عينيهِ لكي يراهنّ، لأنه يعلم بأنه فخ! وإن رأت عيناه جمال نظراتهنّ، فسوف ينسى مهمته، وسيفشل في النهاية.

أكمل قراءة القسم، وماهي إلا دقائق بسيطة، حتى نزلت من الأعلى الملكة التي ينتظرها، طائرة بكل سهولة، إلى أن هبطت على الأرض حافية بكل سلام.

وقفت الفتيات الثلاث خلفها، إنها الملكة المنشودة - شمس القواميد - بيضاء البشرة، جميلة بشكل لا يستطيع أن يتحمله العقل البشري، شعرها طويل و أصفر اللون يكاد يكون فاقعاً، يصل إلى أصابع قدميها، ترتدي فستاناً يكشف عن صدرها الذي يتحلّى بعقود من الذهب الخالص، وفي رجليها خلاخيل مرصعة بأنواع الياقوت الأحمر والأخضر. رأت - ليلاً - وهو حتى الآن يتلو قسمها مغمضاً عينيه. مشت نحوه متمايلة بدلعٍ وأنوثة، اقتربت منه وألقت بنفسها عليه قائلة بصوت يستطيعُ أن يوقظ جميع حواس الرجال، ويطلق عنان رغباتهم السرية:

"إنني هنا يا ليل! نجحتَ في اختباري، وأنا الآن بيد يديك، اطلب ما شئت".

فتح الساحر عينيهِ مبتسماً، انبهرَ من سحر وجمال ملكة الجن، فوقف على رجليه، وأمسك بيدها وقبّلها بحرارة:

"يسعدني أن أراكِ ولأول مرة يا أيتها الملكة العظيمة، أظن بأنك تعلمين بمشاكلي وبمطالبي، فلا يخفى عليكِ شيء يا صاحبة القوام الساحر، والابتسامة الجميلة".

ضحكت الملكة بأنوثة طاغية، وضعت يدها على خدّه

مداعبة إياه:

"قلتَها بنفسك، لا يوجد شيء يخفى عليَّ، أنت تريد قلب الصوصافية هاميس، ولكنني أتعجب منك يا ليل! لماذا هي بالذات؟ ألا نعجبكم بجمالنا الخلاب؟". قالتها وأشارت إلى نفسها و إلى الفتيات اللاتي يقفنَ خلفها.

ابتسم لها الساحر وقال ماكراً:

"لو أستطيعُ لأخذتكنَّ جميعكنّ معي، ولكنّ قلبي يريدها يا ملكتي العظيمة، لقد سحرتني بجمالها، عيبُها أنها من أصول صوصافية قذرة، ولكني أستطيع ترويضها، و محو ولائِها لعالم الصوصافيين".

"فتاتك تُحرس من قبل ملوك الجن العلويين، أستطيع أن أشعر بهذا! لا أعلم من وضع عليها هذه الحماية، ولكنه كان يعلم بأنَّ هناك من سيهجم عليها في يوم من الأيام".

"أظنّ بأنه والدها صوصاف من فعل ذلك، ولكنه الآن متوفّى، ولا يوجد لديها أحدٌ يستطيع حمايتها. هل أولئك الملوك حقاً بهذه القوة؟ ألا تستطيعين أن تتخلصي منهم؟".

بدأت ملكة الجن بالتحرك في الغرفة بدلع واضح، وقفت أمام فتياتها، لامست أجسادهنّ وكأنها تتفحصهنّ لسبب ما! ومن ثم التفتت إلى الساحر من جديد قائلة:

"أستطيع فعل أي شيء تريده، ولكن أنت تعلم بأن لكل شيء مقابل".

"سأنفّذ جميع ما تريدينه مني".

ابتسمت الملكة منتصرة، خلعت فستانها بحركة سحرية وسريعة، كاشفة عن جسدها الخالي من العيوب، أشارت إلى نفسها و إلى فتياتها، وقالت بنوع من الحماس:

"أريدك أن تتزوجنا جميعاً اليوم... والآن، وسوف تأخذ مرادك".

ابتسم الساحر بخبث شديد، وبفرحة كبيرة قال:

"سأكون محظوظاً بكنّ جميعاً".

اقترنَ جميعهنّ منه، ودخل في عالمٍ معهنّ تملؤهُ النشوة والحب، أغمض عينيه مبتسماً، وعاشَ في ليلة لن ينساها أبداً.

---

(2) نجمة داوود: تسمى أيضاً بخاتم سليمان، يستخدمها الكثيرون من الروحانيين في طقوسهم المتعددة، وقيل بأنّ اليهود نسبوا هذه النجمة إليهم، ولكنها في الحقيقة كانت موجودة قبل ظهورهم على ساحة الدنيا.

يحدث الآن!

بيان حكومي

إلى شعب أرض الجنة المخلص: كما تعلمون بأن توجهات الحكومة واضحة كوضوح الشمس، ولا يوجد لدينا تفرقة في مجتمعنا العظيم، ولأنكم تساهمون بشكل كبير في نهضة هذه البلدة، فنحن لا نستطيع أن نستغني عن خدماتكم، وفي المقابل لن نغلق أي باب في وجوهكم، مشاكلكم تهمنا، سنسمع لكم وسنشرّع القوانين التي تصب في مصلحتكم السامية.

و بناءً على هذا المبدأ، لن نسمح لأيٍّ كان أن يتعدى على قوانين البلدة، وألا يحترم دستورنا الحكيم، لن نسكت عندما نسمع بأصوات النشاز، التي غرضها تخريب المجتمع، ونشر الفساد والآراء الخاطئة، لا نريد معتقداتٍ جديدة، ولا أفكاراً تذهب بصاحبها إلى التهلكة.

منذ استلام الحكومة الجديدة ونحن نحاول تطهير البلدة من الصوصافيين، ومن أي شخص يحاول أن يُدخل تعاليم السحر إلى مجتمعنا، ولكن نعلم بأنّ الطريق شاقٌّ وطويل، ومازلنا في البداية، ونثق أيضاً بأنكم لن تبخلوا علينا في المساعدة، لذا قررنا منحَ مكافأة مالية لأي شخص يجلب لنا معلومة مؤكدة عن الصوصافيين، عن أي فردٍ منهم يقوم بطقوسه المعتادة، و نطلب من أفراد الشعب ألا يخافوا منهم. فأنت ـ أيها المواطن ـ في حمايتنا، لذا اليوم لديكم مهمّتان: الأُولى هي مصدر رزقكم المعتاد، والثانية هي العمل معنا كحكومة رؤيتها واضحة، وهي تطهير هذه البلدة من سحر الصوصافيين وخبثهم. دمتم بخير أيها الشعب العظيم.

-30-

"ما الذي تقولينه يا هاميس؟ لا أصدق هذا! كيف لها أن تفعل ذلك؟".

يقف - نهار - أمام هاميس التي تقضم أظافرها متوترة ممّا تعيشه حالياً، عيناها لا تتوقفان عن الدوران، ورعشة جسدها واضحة، إنها تائهة ولا تشعر بأي دافع للحياة و للأمل.

"ما قلتهُ لك صحيحٌ يا نهار، والدتك هددتني بحياتي وبمستقبلي إن لم أقبل الزواج بأخيك ليل، أنا لا أستطيع فعلها، أنت حب حياتي، أنت الأمل الوحيد الباقي في هذا العالم، كيف لي أن ألقي بنفسي إلى التهلكة؟ ومع من؟ مع ذاك الساحر القذر". قالتها وسكتت وشعرت بالخجل، وقالت متأسفة:

"أنا آسفة يا حبيبي، أعلم بأنهُ أخوك، وقلتُ الحقيقية لا أكثر".

أخذ - نهار - نفساً عميقاً، ومن ثم قال مفكراً:

"لا تعتذري فكلماتكِ صائبة، فهو ساحر ومشعوذ دجّال، وصحيح بأنني أتمنى أن أرى أخي يترك هذا العالم السفلي، ولكنَّ الحقيقة لابد أن تُقال، علينا أن نفكر يا هاميس، فظلم والدتي وأخي قد وصل إلى مرحلة لا تُصدق".

ساد الهدوء بضعَ دقائق، ومن ثم قالت - هاميس - بخوف:

"لماذا لا نهرب يا نهار؟ هذا المكان ليس مكاننا، لم يتبقَّ لنا فيه شيء... أي شيء، أنت تعيش مع عائلتك وروحك خارج المكان، وأنا خسرتُ جميع المقربين لي وآخرهم أبي. لماذا أكمل حياتي في هذا المسلسل المرعب؟ أنا أستيقظ كل يوم وأشعر بأنه سوف يكون الأخير لي، هذه ليست بحياة، ولم أتمناها قط".

"وهل أنتِ واثقة بأنهم سوف يتركوننا عندما نهرب؟ أعلم بأنهم سيطاردوننا حتى لو وصلنا إلى آخر بقاع الأرض، الهروب ليس حلاً يا حبيبتي".

"إذن ما العمل؟ أرجوك أخبرني، فأنا أصبحتُ قطعة

مكسورة، أريد أن أُشفى يا نهار، أرجوك اشفِني كما أحييتَني بحبك وبعطفك، أنا لم يتبقَّ لي أحدٌ غيرك في هذه الدنيا البائسة".

وضعَ - نهار - يده على خدها مداعباً إياها، ابتسم لها بحب وعطف:

"أنتِ الحياة والممات يا هاميس، أنتِ شمسي التي تشرق، وأنتِ قمري الذي يحلّي لياليَّ الكئيبة، لا تظني ـ ولو لثانية واحدة ـ بأنني سأتركك تعانين وحدكِ، والله إنَّ همي من همكِ، وجرحي يندمل بفرحكِ. أنتِ أمطار الخير، وأحلام الناس، وكلمات العشاق والأحباب".

حضنته بقوة، وكأنه الملاذ الوحيد لها، كأنه الأم التي غابت عنها منذ سنوات، أغمضت عينيها وشعرت بالأمان، فحضن الشخص المطلوب يعتبر ملجأ، وصداً قوياً لجميع صفعات الدنيا و آلامها، ولكنها سرعان ما فتحت عينيها مصدومة عندما سمعت - نهاراً - يقترح عليها أمراً أشبه بالجنون:

"علينا أن نتخلص منهما وسريعاً".

تراجعت - هاميس - خطوتين إلى الوراء، اتسعت عيناها دهشة وهي تنظر إلى حبيبها الهادئ:

"ماذا تقصد؟ كيف نتخلص منهما؟".

"إنَّ ظلمهما قد تخطى حدوده، لقد خلقنا الله أحراراً، فكيف لبشر أن يتحكموا بمصائرنا، وأنا أعلم بأن طاعة العائلة واجبة، ولكن هؤلاء ليسوا بعائلة يا هاميس، إنهم يتبعون طرقات الشيطان، ويغوصون في بحار العالم السفلي، وأنا لست كذلك. ربما قد تمَّ إلهامي قبل قليل بهذه الفكرة، ولكن أظنها هي الخلاص منهما، وهي ما سوف يحرر رقابنا.. أنا لن أسمح لأيٍّ كان أن يقسو عليكِ، وأتمنى أن تخرج روحي من جسدي قبل أن أراكِ متزوجة من شخص آخر، فما بالكِ إذا كان هذا الشخص هو أخي... الساحر السفلي".

تحاول - هاميس - أن تفك شفرات لغز كلمات حبيبها، ولكنها عجزت:

"أنا لا أفهمك يا نهار، هل تريد قتلهما؟ هل جننت؟".

"حريق مفاجىء يلتهم الأخضر واليابس في منزلنا، إن كانَ الصوصافيون يحرقون الجن الأشرار ويخلصون الناس منهم، فلماذا لا نُحرق هؤلاء السحرة ونطهر المدينة منهم؟ ربما هذه المهمة تسهل عليكِ كونكِ وريثة الصوصاف كما قيل لكِ من قبل".

"إذا كان مكتوباً لي أن أرث والدي ويطلق عليّ لقب وريثة الصوصاف، فالحل لابد أن يخرج مني يا نهار، وحتى لو تبنيتُ فكرتك، فإنها مجنونة! كيف لنا أن نقتل أرواحاً حتى لو كانت ملعونة؟".

"اليد الواحدة لا تصفق يا حبيبتي، جميع العظماء احتاجوا إلى المساعدة لكي يصلوا إلى أهدافهم، وأما بخصوص القتل، فهما يريدان قتلنا ونحن أحياء، وإن لم توافقي على زواجك من أخي ليل، فوالدتي سوف تنهي حياتكِ لا محالة، وأنا لن أسمح لهذا الأمر أن يحدث، هذا هو الحل الوحيد يا هاميس، سوف أحرق منزلنا ليلاً، وسأتأكد قبلها من وجود والدتي وأخي فيه، وهنا سوف تكون نقطة البداية في حياتنا الجديدة، دعيني أساعدكِ لكي تكوني وريثة الصوصاف الجديدة".

سكتت هاميس وكأنَّ لسانها قد شُلّ، لم تستطع أن توافق على فكرته و لا أن ترفضها. بقيت تحملق في وجههِ الجاد والغاضب، إنها أول مرة ترى فيها - نهاراً - بهذه القوة والجبروت، وكأن الطيبة والرقة قد سُلِبا من شخصيّته. لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة، ولكنها هزت رأسها إيجاباً، وكأن هناك قوة ما حركت رأسها، هي تعرف في داخلها بأنها ليست مقتنعة بالفكرة تماماً، ولكن ما الذي حدثَ لها وجعلها توافق على مضض؟ إنها لا تعلم!

-31-

في المكتب الرئاسي الخاص ببلدة أرض الجنة، تجلس الحاكمة - كيلوبترا - و تضع الرجل فوق الأُخرى بكل قوة وكبرياء، بحذائها الجلدي الطويل، وبملابسها الأنيقة جداً، تنظر إلى ابنها - ليل - الجالس أمامها وتبتسم له، ويبادلها نفس الفرحة. ينظران إلى المواطنين الذين يأتون واحداً تلو الآخر وهم يضعون أوراقاً مغلقة في صندوقٍ كبير موضوع في منتصف المكتب. لقد كانوا يبلغون عن طقوس تجري من قبل بعض الصوصافيين في السر، عندما سمعوا بأنَّ هناك مكافآت مالية لمن يدلي بأية معلومات عن نشاطات للصوصافيين، فسارعوا إلى فضح العديد من العائلات التي تُجري طقوساً روحانية، وأكثر ما يفضح هذه الفئة هو بخورهم المنتشر في شوارع المدينة. صحيح بأن هناك الكثيرين ممن يبلغون عنهم بكل صدق وأمانة، ولكن أيضاً هناك من يتهمون الناس بالباطل، فقط لكي يحصلوا على المكافأة المالية. ولكنَّ الحكومة ذكية جداً في هذا الأمر، فهم لن يصرفوا أيَّ مبلغٍ إلا عندما يتأكدوا من صحة المعلومات المرفقة.

هذه السياسة الحكومية هي من أساس خراب المجتمعات كافة، فعندما تُجنّد الشعب لفعل ما تريد، فالمستقبل دائماً ما يكون مظلماً، ونرى هذا المثال في العديد من الدول في العالم. الجميع يركضون خلف مصالحهم بسبب تفكيرهم المستميت في جني الأموال، لا يهمهم إن كانوا يسلكون الطريق الصحيح أم الخاطىء، يريد الواحد منهم بناء مستقبله وتكوين نفسه في أية طريقة يجدها مناسبة.

مرت الساعات وأفراد الشعب لم يتوقفوا عن المجيء ووضع الأسماء في الصندوق. فرحة الرئيسة وابنها تكاد تكون فاضحة من خلال ملامح وجهيهما، إلى أن عمَّ الهدوء في المكان، وطلبت - كيلوبترا - من ابنها أن يغلق الباب ويجلس أمامها من جديد:

"خطتنا تمشي على أكمل وجه، الشعب بأكمله لا يريد

الصوصافيين، ومع بدء العهد الجديد، جعلناهم يشعرون بالاختناق، وسوف يأتي اليوم الذي يرون أنفسهم فيه كالتاريخ القديم، الذي يُذكر ولكنه لا يرى، الصوصافيون سوف يصبحون في خبر كان".

"هذا يفرحني يا أمي، بكل أمانة لقد صدمتني بقوانينكِ الصارمة، أنتِ تسيّرين البلدة بشكل أفضل مما كان أبي يفعل".

"أبوكَ كان مشغولَ الذهن مع حبيبته الصوصافية... عليهما اللعنة! لا تذكرني بهما أبداً. اسمعني... أريدك أن تفرز جميع الأوراق التي تم وضعها في الصندوق، وتأمر عناصر الجيش بأن يداهموا بيوت الناس الذين ذُكروا في شكاوى الناس. نريد تطهيراً شاملاً لهؤلاء الصوصافيين، وأعدك بأنَّ السحر الأسود سوف يهيمن قريباً، والجميع سوف يتلقّون بركات العالم السفلي".

"لكِ هذا يا أمي، ماذا حدثَ مع هاميس؟ هل وافقت على الزواج؟".

ضحكت الحاكمة بصوت عالٍ:

"على رسلكَ يا عاشق! ألا تستطيع التفكير بشيء آخر غير تلك الصوصافية العفنة؟".

تغيرت ملامح - ليل - وكأنه لم تعجبه نبرة أمه. لاحظت الحاكمة وجه ابنها وقالت مستغربة:

"كنتُ أظنك تريد أن تنتقم من الصوصافيين بالزواج من ابنة كبيرهم، ولكن أشعر بأن الموضوع قد تخطّى ذلك. لا تجعل الحب يعميكَ يا ليل، لا تكرر غلطة أبيك وتسقط في فخ عشق الصوصافيات".

"أنا لست أبي! وقلت لكِ بأنني أريد الزواج منها لكي أجعلها خادمة تحت أرجلي، دعينا من هذه الشكوك، هل قبلتْ بي؟".

"بصراحة لا! ولكنني هدّدتها، وصدقني سوف توافق في النهاية، هي وحيدة ولا تملك أيّ حائطٍ تستند عليه، سوف توافق في النهاية".

سكتَ - ليل - مفكراً بقلق، ولكنَّ والدته لم تُردْ أن تجعله يعيش في حيرة، فقررت أن تلهيه عن أفكاره التعيسة:

"أريدك أن تستعد، هناك حفلة ستقام مساء اليوم وفي منزلنا".

نظر إليها باستغراب: "حفلة؟ وما المناسبة؟".

"حفلة من الضروري أن تكون شيئاً روتينياً من الآن فصاعداً، سأدعو إليها جميع السحرة السفليين، لابدَّ من أن نقوي الروابط مع من يتبعون ملتنا، وإن كنتَ تريد مناسبة، فالمناسبة هي انقلاب الشعب أجمع على الصوصافيين، وركضهم خلف الأموال والمكافآت".

قالتها وضحكت بشرّ، فضحك- ليل - معها قائلاً:

"لو لم تكوني أمي لتزوجتكِ! لديكِ عقلٌ يزن بلداً، كم أنتِ كبيرة يا أمي".

-32-

عندما يهبكَ الله نعمة الحياة، فلابد عليك من أن تستغل وقتك في الدنيا على أكمل وجه، أكثر الناس لا يشعرون بقيمة الدنيا، تراهم متعبين نفسياً وجسدياً بسبب التفكير المفرط في المستقبل، لا يعيشون اليوم بحلاوته وبساطته. يريدون كل شيء في آن واحد، وهذا ما يجعل السنوات تمضي في حياتهم هدراً: الطفل يريد أن يكبر، والمراهق يريد أن يعتمد على نفسه، والرجل يلهث خلف شهواته، ويريد تكوين ثروة بأية طريقة، والمسنّ يريد أن يُشفى من أمراض جسده، جميعهم لديهم هاجسٌ معين، وبسبب هذه الأفكار يخسرون الكثير من الأوقات التي يصعب عليهم تعويضها.

عندما تعيش حياتك العشرينية أو الثلاثينية أو حتى الخمسينية، تلاحظ أنَّ الناس جميعهم يصطفون خلفك، منهم من يتكرم عليك بالسؤال، ومنهم من يريد معروفاً، وهناك من يريد تمضية بعض الوقت معك. اسمك وسيرتك دائماً ما يترددان على أذهانهم، ولكن حين تدقّ الساعة، ويأتي موعد الوداع، ويرجع الإنسان إلى ربه، ويُدفن تحت الأرض، وتبدأ رحلة حسابه، سرعان ما يبدأ الناس بنسيان الميت، و يعيش وحدهُ في حفرةٍ لا يرى فيها إلا نفسه وأعماله، هذا هو حال الدنيا وحال البشر، الموجود مطلوب، ولكنَّ الغائب دائماً ما يكون منسياً.

بثيابها المكسوة باللون الأسود، تقف - هاميس - على قبر والدها - صوصاف - تنظر إليه بحزن شديد ينفطر له القلب، تذرف الدموع ولا تبالي بأن تمسحها، تجعل الهواء يتكفل بذلك. الهدوء عمَّ المكان في المقبرة، وكأن الناس لا يزورون الموتى أبداً. تنظر - هاميس - إلى شاهدة القبر بتمعن تام، وكأنها تنتظر والدها أن ينهض من جديد ويأخذها بين أحضانه. توجِّه نظرها إلى ناحية اليمين، فترى قبر والدتها، تقول في نفسها: كم هي صعبة الحياة بلا العائلة، تقرأ بعض الآيات الكريمة على كلا القبرين، ترجع إلى قبر والدها وتفتح فمها

الجاف بصعوبة:

"أبي.. لماذا رحلتَ وتركتني أعيش وسط هذه الحرب المميتة؟ أنا لم أشبع منكَ بعد، تركتني أنت وأمي وأنا صغيرة جداً على هذه الدنيا الكبيرة، لا أعرف قوانينها أو تضاريس عدالتها، أحتاج حكمتكما وحضنكما الدافئ، من بقيَ لي في هذه الدنيا يا أبي؟ إنني كالغريب في وطنه، لا أستطيع أن أشعر بأية طمأنينة، إنني غاضبة منك بعض الشيء، أنا آسفة! ولكن هذه هي الحقيقة، كيف ترحل ولا تدلّني على طريق الخلاص؟ لماذا فعلتَ كل هذا وتركتني ضائعة؟ كيف تريدني أن أكون وريثة الصوصاف الكبير والمعروف، أنا لا أستطيع إيذاء نملة يا أبي، كيف سأحارب السفليين وأنتصر لهذه البلدة؟".

مسحت دموعها المنهمرة على خدها، ومن ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت:

"أعلمُ بأنك تشعر بي، وأعلم أنّ ما سأقوله هو ضربُ من الجنون، ولكن أرجوك أرسل أية إشارة تجعلني أطمئن بأنَّ القادم أجمل".

سكتت لبضع ثوانٍ وأصابها اليأس، أنزلت رأسها، ولكنها رفعته مجدداً عندما سمعت صوتاً غريباً! إحدى ورقات الشجرة العملاقة التي فوقها قد قُطفت، طارت في السماء وهبطت على رأسها! أمسكت بها واتسعت عيناها دهشة! رمقت القبر غير مصدقة، فابتسمت فرحاً و انخرطت في البكاء، وكأنها قد حصلت على الإشارة التي تريدها.

"هاميس؟ "التفتت خائفة، ولكن سرعان ما هدأ نبض قلبها عندما رأت بأنَّ المنادي هو حبيبها - نهار-

"ما الذي تفعلينه وحدك في المقبرة؟".

"أنني أزور والديَّ يا نهار، كيف عرفتَ مكاني؟".

ابتسم لها بحنان وبحب قائلاً: "أستطيع أن أجدكِ ولو كنتِ مختبئة في أقصى بقاع الأرض، قلبي يدلني عليكِ، أنصتُّ لنبضاتك يا حبيبتي و أتيتُ مسرعاً، قلبي متصلٌ بقلبك بطريقة ساحرة وغريبة، أظن بأن الحب يفعل ذلك".



"كُنت محتاجة أن أسمع هذا الكلام في هذا الوقت بالتحديد، نهار.. لا أريدك أن تتركني أبداً، أنت مصدر قوتي وأنت ضعفي! أنت الحياة في عينيَّ وأنت شمسها وقمرها، إن تركتني سوف أنهار كالجبال الشامخة عندما تتفجر، أرجوك دعني أسند رأسي عليك؛ فأنا على وشك أن أدخل في مرحلة السقوط يا حبيبي".

"كتفي دائماً سندٌ لك يا هاميس، لن أترككِ إلا عندما يستدعي الله روحي، أنا معكِ إلى آخر المشوار، وصدقيني جميع مخاوفكِ سوف تتلاشى قريباً، واليوم سنبدأ خطتنا".

نظرت إليه هاميس مستغربة:

"اليوم؟ وما الذي جعلكَ تتخذ هذا القرار؟".

"ستجري حفلة كبيرة في منزلنا، أمي وأخي سيستضيفان العديد من السحرة السفليين، إنهم يحتلفون بالإطاحة يوماً بعد يوم بالصوصافيين. خطتنا تبدأ اليوم يا حبيبتي، سأحرق المنزل كله".

اتسعت عينا - هاميس - دهشة:

"ولكن سيكون هناك العديد من الناس في منزلكم، ما ذنبهم يا نهار؟ كيف تحكم على الناس بالإعدام؟ ألن يكفيكَ بأنك تريد قتل والدتك َوأخيك؟".

نظر - نهار - إلى المدى البعيد، وقال بنبرة يملؤها الغضب:

"جميعهم ينتمون إلى العالم السفلي، وهم يريدون تدميرنا وتدمير المعتقدات الصوصافية، وإن قاتلكِ عدوك فلابد عليكِ من أن تُقاتلي. أنا لستُ بظالم يا هاميس، و من يريد الحرب فليستعد لها".

-33-

يضع صورتها أمامه، ويشعل بخوره الروحاني، يجلس في نفس المكان، الذي تعود أن يختلي به عن جميع الناس، رغم مخططاته الكبيرة، ومسؤولياته تجاه العديد من السحرة السفليين، إلا أنه يهوى أن يستمتع بلحظات السكينة والهدوء.

ينظر - ليل - إلي صورة هاميس بنظرات قلقة وحائرة، يعلم بينه وبين نفسه بأنه يريد أن يصل إلى هذا الهدف، كيف لا ؟ وقد حقق جميع ما يسعى إليه، لم يتعود أن تُقال له كلمة - لا - والآن هو يشعر بالحسرة والألم تجاه رفض الصوصافية له.

يغمض عينيهِ و يشم رائحة البخور، وكأنها مادة مخدرة تستطيع أن تطير به إلى السماء السابعة وهو يتربع في مكانه، ولكن يبدو بأن وقته الخاص لن يطولَ. فَتح عينيهِ وشعر بوجودِ شخصٍ في المكان، وقف حائراً وصرخ:

"من هناك؟ اكشفْ عن نفسك حالاً، وإلا أحرقتكَ بتعاويذي السفلية".

خرجت من الجدار إحدى فتيات الجن العاريات وهي تبكي، يوجد على جسدها آثار حرق وتعذيب واضحين. نظر إليها - ليل - فعرفها من بعدما تفحصها بدقة، إنها إحدى الفتيات الثلاثة اللاتي حضرنَ مع ملكة الجن - شمس القواميد - صُعق عندما رآها بهذا الحال! أخذها من يدها وأجلسها، و ظلَّ ينظر إلى جسدها العاري، حتى في لحظات الجدية والقلق، فهو يملك نظرة دونية وقذرة، دائماً ما يبحر عقله في عالم الملذات السفلية. فصلَ نفسه عن أفكاره الغريبة:

"انني أتذكركِ يا فتاة، أنتِ كنتِ برفقة الملكة شمس القواميد، ما الذي جاء بكِ إلى هنا؟ ومن فعل بكِ هذا؟".

بكت الجنية بصوتٍ حزين يقطع القلب، كانت تريد أن تتكلم ولكنَّ الصدمة مسيطرة عليها بشكل تام، تنهّد - ليل - و قالَ بكل ملل:

"قلت لكِ تكلمي، ما الذي حدث لكِ؟".

مسحت دموعها، ونظرت إلى المكان وكأنها تبحث عن شيء، فقالت بحزن:

"هل لك أن تعطيني بطانية أغطي بها جسدي؟".

نظر إليها - ليل - باستغراب في البداية، ولكنه أطلق ضحكة استهزائية:

"طوال عمركِ وأنتِ عارية، وتقضين معظم أوقاتك بين أحضان من يطلب خدماتكِ، والآن تريدين أن تتستّري؟ لقد بدأتِ بإغضابي يا فتاة، تكلمي وإلا أنزلتُ عليك لعناتي".

شعرت الجنية بكمية الذل والمهانة من الساحر، فقررت أن تحكي له ما حدث:

"عندما غادرنا ليلة البارحة من هنا، ذهبنا مع الملكة شمس القواميد، ولكن هناك من اعترض طريقنا. في البداية كانت الرؤية ضبابية، لم نستطع أن نرى هوية من يهاجمنا، بِسرعة البرق تمت الإطاحة بسيدتي الملكة، وماهي إلا ثوانٍ أُخرى، حتى قُتلتْ صديقتاي الاثنتان، وفي النهاية رأيته! لم يسبق لي أن رأيت تفاصيل وجهه، إنه أحد ملوك الجن العلويين القوي جداً، كنا نسمع عنه حكايات تاريخية ولم أكن أصدقها، ولكني اليوم عشتُ معه أقسى أنواع التعذيب، لقد قتلهنّ جميعاً يا ليل، وحرقني وعذبني، وجعلني على قيد الحياة لكي أكون رسالة!".

صُعق - ليل - من كمية المعلومات التي خرجت من الفتاة، فقال متسائلاً:

"ماذا تقصدين برسالة؟".

"رسالة طلبَ مني أن أوصلها لك، بأن تبتعد عن ابنة صوصاف... هاميس! ويقول لك بأنه يستطيع أن يأتي إلى مجلسك ويحرقك بلمح البصر، ولكنه قرر أن يعطيك فرصة أُخرى".

نهض - ليل - من مكانه غاضباً، بدأ بتكسير كل ما تقع عليه عيناه. وجهه بالكامل تحول إلى اللون الأحمر الدموي، شعر بأنَّ معدل ضربات قلبه يزداد، وضع يده على رأسه مفكراً،

محاولاً أن يهدّئ نفسه. رجع مرة أُخرى، وأمسك الجنية من كتفها بقوة:

"كيف تجرُئينَ على أن تقولي هذا الكلام في وجهي، ألا تعلمين من أكون؟".

صرخت الجنية باكية بألم:

"طُلب مني أن أوصل لك الرسالة وإلا سيقطع رأسي، أرجوك دعني، فما حدث معي يكفيني، لقد خسرتُ صديقتيَّ وملكتي الكبيرة، لابدَّ من أن تنتقم لهنّ".

اتسعت عينا - ليل - غضباً وشراً، وأمسك كتفها بقوة أكبر قائلاً:

"سوف أنتقم من الجميع، من يظنون أنفسهم عندما يقررون مجابهتي؟ أنا الساحر الكبير ليل، ابن آمون العظيم، سأجعلهم يندمون على كل شيء، سواءً أكانوا من البشر أو من الجن".

رمى الجنية على الأرض بكل قسوة، وجعلها تبكي بكل حسرة وألم، نهضت من مكانها بصعوبة قائلة:

"عليَّ أن أذهب الآن، سوف أختفي بعيداً، لا أريد معرفة أي شيء ممّا يحدث هنا".

التفتَ إليها - ليل - وتراقصت شياطينه فوق رأسه، فبدأ يهمس بكلمات غير مسموعة، ورفع يده فوق الجنية، فبدأت بالاحتراق أمامه. لقد أحرقها دون رحمة، ونظر إليها وهي تصرخ وتستنجد بعطفه، ولكنه استمتع بكل لحظة وهو يراها تتعذب، بل ضحك بصوت عالٍ، كاشفاً عن وجهه المخيف.

-34-

حطت أرجلها في غرفة بيضاء اللون، واسعة جداً، خالية من أي شيء، التفتت إلى جميع زوايا المكان مستغربة، تسأل نفسها: ترى ما الذي جاء بي إلى هنا؟ هي لا تتذكر شيئاً أبداً، لا تعلم أين كانت قبل أن تدخل إلى هذا المكان الغريب! هناك ضوء قوي يخرج من السقف، وكأن الشمس تشرق من هذا المكان الهادىء، صرخت خائفة:

"هل هناك أحدٌ هنا؟".

كانت تنظر إلى نهاية الغرفة، ترى جدارها الأبيض المشع، ولكن كلما مشت بضع خطوات، تشعر وكأن الجدار يتراجع إلى الخلف، وكأن هذه الغرفة لا تنتهي أبداً. شعرت بحركة غريبة في المكان، ازداد قلقها وبدأت تحس بأنها لا تستطيع التحكم بدقات قلبها السريعة، أغمضت عينيها مرددة:

"إنه حلم... إنه حلم... أنا أحلم! هذا هو التفسير الوحيد".

"إنه ليس حلماً يا هاميس، بل رؤيا مباركة لكِ".

فتحت عينيها مصدومة من الصوت الجهوري الذي سمعته! رأته يقف أمامها مبتسماً، بطوله الفارع، وبشعره الأسود الكثيف:

"من أنت؟ وكيف جئتَ بي إلى هنا؟".

"أنا ثانوه... ملك من ملوك الجن العلويين، وصديق والدك، كيف لكِ يا هاميس أنت تكوني بهذا الاستسلام وأنتِ ابنة كبير الصوصافيين؟".

"ملك للجن؟ وصديق والدي؟ لم أفهم شيئاً".

"أجيبي على سؤالي".

"وكيف تريدني أن أكون قوية؟ هذه الحرب أكبر مني، لا أستطيع فعل شيء، نفذت الحلول من يدي، ليتَ والدي كان موجوداً".

"ولكنه بالفعل موجود".

نظرت إليه مستغربة من كلامه: "ما الذي تقصده بأنه

موجود؟".

"والدكِ موجود بداخلك يِابنتي، وموجود فيَّ، لقد أوصاني عليكِ كثيراً، أنا من كنتُ أحميكِ طوال هذا الوقت من مخططات ليل السفلية، لقد حرقتُ الكثيرين من الجن الذين كانوا يريدون الإطاحة بكِ، ولكن في المرة القادمة سوف تكون الأمور أصعب، عليك أن تعتمدي على نفسك يا هاميس".

شعرت - هاميس - بأنها بلهاء، لأنها حتى الآن لم تفهم شيئاً:

"أرجوك أوضح لي، لا أريد المزيد من الألغاز، ماهي المرحلة القادمة؟ وهل هذا يعني بأنك سوف ترحل من حياتي؟ ولن تحميني بعد الآن؟".

تغيرت ملامح ملك الجن، أصبحت جادة وجامدة:

"أنا أنفذ أوامراً لا أكثر، لربما لا أفهم ماذا حدث وكيف حدث، وما الذي سوف يجري في الأيام القادمة، ولكنني أعرف بأنني سوف أغيب عنكِ، لا تسأليني عن الأسباب لأنني أجهلها. أنتِ قوية جداً يا هاميس، يكفي بأنك تحملين دم الصوصافيين في جسدكِ، لا تخذلي والدك أبداً، قاتلي يابنتي، ودعي حواسكِ الروحانية ترشدكِ على جميع خطواتكِ القادمة، لن أقول وداعاً، ولكني سوف أقول بأنَّ لنا لقاءً قريب".

قالها واختفى بسرعة البرق، صُدمت هاميس من رحيله، وكأنها لم تشبع فضولها بعد، لديها الكثير من الأسئلة، صرخت بأعلى صوتها:

"انتظر.... لا تتركني".

نهضت - هاميس - من نومها صارخة، العرق يتصبب من جبهتها وكأنها ترقد فوق صفيح ساخن، لمحت رجلاً يقف في غرفتها، لم تتعرف عليه بسبب ظلام المكان، صرخت من جديد، ولكن سرعان ما اقترب الشخص مسرعاً لكي يطمئنها، إنه حبيبها - نهار -

"ماذا بكِ يا هاميس؟ لماذا تصرخين بهذا الشكل؟".

استرخت أعصابها عندما علمت بأنه - نهار - فقالت لاهثة وكأنها قد نجت من الغرق:

"لقد أخفتَني يا نهار، كيف دخلت إلى هنا؟".

"طرقتُ الباب كثيراً ولم تجيبي، خفتُ أن يكون قد أصابكِ مكروهٌ، فتسلقت إلى أن وصلتُ إلى نافذتكِ، هل أنتِ بخير؟".

"نعم..نعم أنا بخير، إنه كابوسٌ... أو مجردُ حلم لا أعلم، ما الذي جاء بك إلى هنا؟".

نظر إليها - نهار - بطريقة مريبة، وقال متردداً:

"بعد قليل سوف أنفذّ يا هاميس ماأخبرتكِ به، الليلة سأحرقهم جميعاً وسوف نهرب لكي نتزوج".

تجمدت ملامح - هاميس - وكأنها كانت تهرب من هذه اللحظة المرعبة:

"هل أنت واثق ممّا ستفعله؟".

وضعَ يده المرتجفة على رأسه، لقد كان خائفاً جداً، يريد أحداً كي يطمئنه:

"واثق.. واثق؟ أنا مرتعب يا هاميس، سوف أحرق عائلتي بأكملها، قلبي حزين يا حبيبتي، وروحي مرتجفة، ولكن عليَّ أن أفعلها، لإنقاذنا، ولإنقاذ هذه المدينة وجميع الصوصافيين، الظالم لابد أن يأتي عليه يومٌ ويسقط، وهذه الليلة سوف يسقطون، ولكن كما اتفقنا يا هاميس، لا أريدكِ أن تتوتري أبداً، التحقيقات ستبدأ بعد الحريق الأكبر، وأنا متأكد بأنّ الشرطة سوف تصل إليكِ، لقرب منزلكِ من مكان الحادثة".

هزت رأسها موافقة وهي خائفة جداً، كان - نهار - سيرحل لتنفيذ خطته الكبرى، أمسكت بيده مرة أخيرة وبقوة قائلة:

"أستودعكَ الله يا حبيبي... عد لي سالماً".

نظر إليها مبتسماً بحبّ، قبّل رأسها بحنان بالغ، ورحل من المكان.

صوصافيون

الروحانيات والتوقعات... هل هناك رابط يجمعهما؟ جميعاً نعلم ونثق بأن الغيب بيد الله سبحانه وتعالى، ولكن كيف للروحاني أن يصدق في توقعاته؟ هناك من يحلل جميع المجالات الدنيوية، سواءً في الزوايا السياسية، أو الرياضية أو الفنية، بل و حتى في اقتصاد الدول العظمى. هذه التوقعات دائماً ما تكون كبيرة، ويتم وضع العين عليها لأنها تمس شريحة كبيرة من الناس.

وهناك من يتنبأ للأشخاص بعدة مواضيع، منها الزواج والمال والمستقبل، كي يساعدوا الشخص في اختيار الطريق الأنسب له.

أولاً وأخيراً ونقولها من جديد: الغيبيات لا يعلمها الإنسان، بل حتى الملائكة لا تستطيع أن تعرفها، فما بالك بالعبد الفقير الذي جاء إلى هذه الدنيا بأمر من الله سبحانه وتعالى، ولكن كيف للروحاني أن يكشف عن كل هذه الأمور ويصيب فيها؟

طريقة الكشف موجودة مع الصوصافي العلوي، وأيضاً يملكها الروحاني السفلي، هي اتصال مباشر من الروحاني إلى القرين المنشود، كل إنسان يملك قريناً واحداً مختلفاً عن الآخر، مستحيل أن يكون للشخص قرينان، أو قرينٌ متصلٌ بشخصين. والقرين معروف بأنه الرفيق الدائم للإنسان، وهنا نأتي إلى سؤال آخر: كيف لهذا الشيء أن يكون مفيداً للروحاني الذي يريد أن يكشف عن أمر ما؟ دعونا نتوغّل في هذا الموضوع لكي نصل إلى المعلومة بشكل صحيح.

لو أخذنا الموضوع من الجانب السياسي، وقلنا بأن هناك انتخابات رئاسية سوف يُعلن فيها عن فائزها، الروحاني يستطيع أن يصل إلى قرين الشخص المسؤول عن إعلان النتائج، أو الذي يحمل في سرّه نتيجة الانتخابات نفسها، ويقوم هذا القرين بإيصال المعلومات الحقيقية إلى الروحاني. وهذا المثال يرتبط أيضاً بالمواضيع الفنية والرياضية والاقتصادية، فدائماً ما يلجأ الروحاني إلى الشخص الذي

يحمل الجواب الأكيد، فيتصل بقرينه ويأخذ منه ما يريد.

أما عن الكشف العادي لمن يطلبه فهو لا يختلف عن غيره، السر كله يكمن في اسم الشخص و اسم والدته، ولهذا هناك من يحذّر من إعطاء اسم الأم لأي روحاني، لأنه يستطيع أن يدخل في تفاصيل حياتك دون أن تعلم، هناك الكثير من الأمثلة عن الكشوفات الشخصية، مثلاً: فتاة تريد أن تعرف هل فلانٌ سوف يتزوجها أم لا، الروحاني يأخذ اسمهُ و اسم والدته ويتصل بقرينه، ويجلب مافي نواياه وأفكاره، ويجيب الفتاة بكل بساطة. الناس يظنون بأن هذه العملية مرتبطة بالغيبيات وماهي إلا كشف تفصيلي ودقيق لنوايا الناس لا أكثر، وكما قلنا فإنّ هذه العملية لا تنجح إلا في وجود القرين الذي هو بالأساس من أكثر الأعداء شراسة بالنسبة للإنسان.

-35-

حطت أقدامه في ساحة المنزل الخارجية، سقط على الأرض من بعد أن خارت قواه، كان يلهث بشدة، لا يستطيع أن يأخذ أنفاسه، ظلَّ ينظر إلى المنزل المحترق بصدمة مهوّلة، النيران تشتعل في جميع أنحائه، أصوات الناس تعلو في الداخل مستنجدين مرعوبين، من الواضح أنهم يتعذبون أشد العذاب إثر الحريق المندلع حالياً.

استطاع أخيراً أن يقف على رجله، انهمرت الدموع على وجهه، بدأ يصرخ بأعلى صوته:

"النجدة... النجدة... أرجوكم ألحقوا بهم".

خرج جميع الناس من منازلهم، اتسعت عيونهم دهشة من منظر المنزل المحترق، أصابهم الشلل، لم يصدقوا ما يرونه! كيف حدث ذلك؟ فمن المعروف بأنَّ هذا المكان محصّنٌ جيداً، لا أحد يستطيع أن يعبر من خلاله بسهولة، فكيف يتم حرقه بهذا الشكل؟

صرخ مرة أُخرى، وهذه المرة وجَّه نظره إلى جميع الناس الموجودين في الخارج:

"ماذا تنتظرون؟ أرجوكم ساعدوهم... النيران سوف تبتلع الجميع".

قالها - نهار - موجهاً كلامه للكل، فسرعان ما بدؤوا يهرعون ويركضون، منهم من اتصل بالإطفاء، و آخرون يصرخون طالبين الاسعاف. أصبح المكان يعج بسكان المدينة، لم يتجرأ أحدٌ أن يدخل وسط هذه النار المشتعلة، هناك من جاء إلى - نهار - وحضنه بقوة مواسياً إياه، بكى وصرخ بطريقة توحي بأنه متأثرٌ رغم أنه كان ممثلاً بارعاً، فهو من أشعلَ هذه الشرارة من البداية وجعل المنزل محترقاً:

"والدتي وأخي في الداخل... يا إلهي! سوف يموتان، وهناك الكثيرون برفقتهما، أرجوكم افعلوا شيئاً".

نظرات الناس متشابهة، جميعهم لا يستطيعون أن يخطوا

خطوة إلى الداخل، حتى الصوصافيين كانوا ينظرون إلى المنزل بحزن كبير، لم يشمتوا أبداً لما حدث له.

لحظات حتى وصلت سيارات الإطفاء والاسعاف، وعدد كبير من سيارات الشرطة. بدأ الرعب والقلق يدبان في نفس - نهار - ولكنه كان يحاول أن يستجمع قواه لكي لا تُكشف فعلته الشنعاء الكبيرة.

في الجهة الأُخرى تظهر - هاميس - وهي تتابع المشهد بعينين دامعتين، وبقلب تتسارع نبضاته، كانت خائفة على حبيب عمرها، لا تريد أن تخسره، فلم يتبقَّ لها سواه. شعرت بالرعب الشديد، فالنيران وصلت إلى السماء السابعة، الدخان منتشرٌ بكثافة، وعدد الناس في الخارج صار أشبه بالحشرات المتدافعة على قطعة حلوى.

لم تستطع أن تتحمل أكثر من ذلك، فدخلت إلى منزلها وأقفلت على نفسها الباب، بكت بكاءً شديداً. لم تُرد هذا السيناريو أبداً، لا تريد حبيبها أن يكون قاتلاً، لماذا عليهما أن يضحيا بهذا الشكل؟ وما ذنبهما في هذه المشاكل السياسية بين الدولة والصوصافيين؟

أمام المنزل المشتعل، رجال الإطفاء يحاولون أن يخمدوا الجحيم الذي أمامهم دون جدوى، استمرت العملية لعدة ساعات، وطوال هذه الفترة كان - نهار - يبكي ويصرخ، هو نفسه يعرف بأنه سئم من التمثيل المخادع، روحه النقية بدأت تشمئز، ولكنه يعلم تماماً بأنَّ عليه التضحية من أجل تطهير هذا العالم الذي يعيش فيه، حتى ولو كانت النتيجة فقدانه لوالدته ولأخيه الساحر.

-36-

"اعذرني يا سيد نهار... أعلم بأن الوقت غير مناسب، ولكني أود أن آخذ بعضاً من وقتك".

رفع رأسه وهو جالس على الأرض، نظر إليها بعيون مكسورة وحزينة، لقد كان ينظر إلى إحدى المحققات في مدينة أرض الجنة، تدعى - مانسا -، إنها طويلة القامة، عريضة المنكبين، كما لو أنها تحمل عضلات صلبة تحت المعطف الجلدي التي ترتديه، شعرها برتقالي اللون، طويلاً جداً، ملامحها جامدة وجادة، وكأنها قد تلقت خبراً سيئاً قبل مجيئها إلى هنا، بيدها دفتر صغير وقلم، تدون به ما تقع عيناها عليه. نهضَ - نهار - مستسلماً، وأومأ لها برأسه، وكأنه لا طاقة له بأن يتحدث، كانت حزينة على حاله، ولكنها لم تظهر ذلك في ملامحها:

"أولاً: أنا آسفة لما حدث بمنزل عائلتك، هل من الممكن أن تقول لي: أين كنت قبل أن يحترق البيت؟".

وضع - نهار - يده على رأسه وكأنه يحاول أن يتذكر، وأن يتخلص من الصداع الذي يشعر به، فقال بنبرة ضعيفة:

"كنت أعلم بأنَّ والدتي وأخي يقيمان حفلة في منزلنا في هذه الليلة، ولو سألتِ عني يا حضرة المحققة، فستعلمين بأنني لا أحب الحضور في هذه المناسبات. لقد تعمدت أن أتأخر حتى ينتصف وقت السهرة. كنت أريد أن أحضر فقط لكي لا أعرضهما للإحراج، وعندما أتيت صُدمت من اشتعال المنزل من كل جهة، لم أعرف ماذا أفعل، حاولت أن أفتح الباب ولكنَّ النيران كانت أقوى وأشد قوة مني، هرعت إلى الساحة الأمامية وبدأت أصرخ منادياً الناس، لعلي أستطيع أن أحصل على المساعدة منهم، ولكنهم جميعهم لم يملكوا أية حيلة... كما كان حالي بالضبط".

رمقته المحققة بنظرة تفحصية، داهمها إحساسها البوليسي المليء بالشك:

"أنا آسفة مرة أُخرى، ولكنك تهربت من الإجابة على سؤالي، لقد كنت واضحة معك: أين كنت قبل أن تأتي إلى هنا؟".

توتر - نهار - من إصرار المحققة على هذا السؤال، توقع بأنه يستطيع أن يراوغها بحزنه المزيف، فأسرع في الإجابة لكي لا يشككها بنفسه أكثر:

"لقد كنتُ في منزل هاميس المقابل لمنزلنا، تستطيعين أن تتأكدي منها".

"وما الذي تفعله في منزلها يا ترى؟"

"مع كامل احترامي لكِ ولكن هذا الشأن يخصني، ولا دخل له في قضية الحريق".

وضعت المحققة يدها على حزامها الأسود المتهالك، وقالت بحزم:

"ومع احترامي لك أيضاً، فكل شيء أقوله سيكون متصلاً مع هذه القضية، أرجوك تعاون معي و أجب على أسئلتي دون جدال".

أخذ - نهار - نفساً عميقاً قائلاً:

"أنا وهاميس سوف نتزوج قريباً جداً، وبيننا تواصل بشكل يومي، وليس هناك أية غرابة عندما أزورها بين الحين والآخر".

دونت المحققة كلام - نهار - في دفترها الصغير، ومن ثمّ أغلقته وقالت:

"سوف نراجع أقوالكَ مع السيدة هاميس قريباً، يؤسفني بأن أقول لك بأن جميع من كانوا في البيت قد ماتوا، وأعلم بأن هذه فاجعة كبيرة، ولكن نحن نتعامل مع مشكلة أكبر بكثير".

"وما هي هذه المشكلة؟ "سألها - نهار - مستغرباً.

"نحتاج إلى الكثير من الوقت لكي نتعرف على أصحاب الجثث، فأجسادهم متفحمة من الحريق، وآمل أن تكونَ والدتكَ وأخوك بأمان، أتمنى أنهما قد خرجا في الوقت المناسب، ولكنني إنسانة واقعية جداً، لو خرجا لرأيناهما الآن، ولكن لا أثر لهما".

أنزل - نهار - رأسه ممثلاً إحساس الحزن، التمست له المحققة العذر، فهي ترى أنَّ ما أصابه ليس بالهين:

"أتمنى أن تجد الراحة في حياتك يا نهار، واعذرني على إزعاجك. وسوف نقوم بواجبنا إلى أن نعرف من كان السبب وراء هذا الحريق".

"شكراً لكِ".

قالها -نهار-، وتركها مغادراً، وهي تدوّن ملاحظاتها الخاصة.

يحدث الآن

خبر حكومي عاجل

تعرضت مدينة أرض الجنة لفاجعة قاسية وكبرى، إثر تفجير المنزل الخاص بالحاكمة - كليوبترا - عندما كانت تقيم حفلاً مع كبراء الشأن في البلدة. هذا العمل الإرهابي المجهول ضد سياستنا التي تدعو إلى الأمن والأمان، لن يمر مرور الكرام.

الجهات المختصة تتعامل مع الحدث بكل حذر وقلق، وسنتوصل قريباً إلى معرفة هويات الأشخاص أصحاب الجثث التي أتلفها الحريق.

سوف يتم تعليق منصب حاكم المدينة لفترة من الوقت، لحين انتهاء التحقيقات بشكلها الكامل، و خلال هذا الوقت، فأمن وقرارات المدينة ستخرج من القادة السياسيين بشكل مباشر، أدام الله الأمن والأمان على مدينة أرض الجنة وشعبها.

-37-

"إنني أشعر بخوفٍ لم أشعر به من قبل".

قالتها - هاميس - وهي تجلس أمام ساحة منزلها الخارجية، ممسكة بيد - نهار - وكأنها تهاب أن يهرب ويتركها في وسط هذه العاصفة القاتلة. ضغط - نهار - على يدها بقوة، وقال لها مطمئناً:

"لا تقلقي يا حبيبتي، الخطة تسير على ما يرام، ماذا حدث مع المحققة؟".

"هذه المخلوقة جعلت أعصابي تحترق، لديها طريقة غريبة ومريبة في الاستجواب. كانت تسألني كثيراً عنك، تريد أن تتأكد من أقوالك، وأنك بالفعل كنت في منزلي لحظة وقوع الحريق".

"نعم نعم... إنها تشك بي وبأقوالي، لكنها لا تستطيع أن تثبت شيئاً، لا أريد التفكير بها كثيراً، فالمهمة الصعبة قد شارفت على الانتهاء، ومن هدّدونا وذبحوا الصوصافيين وهم أحياء، الآن سيكونون تحت التراب".

سحبت - هاميس - يدها من يده فجأة، ظهرت علامات القلق وعدم الارتياح عليها. نظر إليها مستغرباً:

"ماالذي يشغل ذهنكِ يا هاميس؟ أنا حبيبك نهار، لا تخفي عني شيئاً".

"أظن بأنني غير قادرة على استيعاب ما حدث، نحن نتشارك بفكرة نتيجتُها الموت لعدة أشخاص يا نهار، هذه ليست من أخلاقنا الصوصافية أبداً".

وقفَ - نهار - وكأنه شعر بجرعة من الإدريالين تتدفق بين خلايا جسده:

"وهل نسيتِ ما فعله هؤلاء بكِ يا هاميس؟ حرموكِ من والدتكِ، وسجنوا أباكِ إلى أن توفيَ وهو يفتقد إلى الحرية. سلبوا جميع الحقوق الصوصافية من البلدة، لا أريدكِ أن تريني على أنني الشخص القاسي والذي لا يملك ذرة رحمة، أنا

قلبي كبير وتعرفينني جيداً، ولكنَّ الصواب فيما فعلته، لقد كنّا نعيشُ في الحياة بالاسم فقط، لم نكن نمتلك أية حرية ولا حقوق، نعيش نفاقاً اجتماعياً كبيراً، وهذا الفيلم قد انتهى بموت أمي و أخي ليل.

بدأت - هاميس - بحك يدها بقوة، إنها تعيش في لحظات مرعبة ومتوترة، أظن بأن أكثر ما يخيف الإنسان هو المستقبل، يتمنى لو يعرف إن كان أسودَ أم وردياً.

"وما الذي سوف نفعله الآن يا نهار؟".

"لقد خططت لكل شيء، سوف ننتقل للعيش في بلدة قريبة من هنا، نبعد عن هذا المكان حوالي نصف ساعة فقط، إلى أن تستقر الأمور، وينتهي التحقيق بالكامل".

"وكيف تريدني أن أترك المكان وأنا وريثة أبي... وريثة الصوصاف؟".

"ولكننا لم نتأكد بأنكِ الوريثة المقصودة يا هاميس".

"إنه شيء بديهي! أنا ابنته ولم يظهر أحدٌ لتولّي هذه المهمة، لا أستطيع أن أترك البلدة، أنا أعرف بأنني لا أملك حلولاً كافية للصوصافيين، ولكن ربما أبي رأى شيئاً لا أعرفه".

"سوف نرجع يا هاميس، إنها ليست هجرة، فقط دعينا نبتعد إلى أن ينتهي التحقيق ويرجع الأمن والهدوء إلى المكان".

سكتتْ - هاميس - مرة أخرى مفكرة، نظر إليها وقال مبتسماً:

"ألا تريدين الزواج بي؟".

رمقته باستغراب، ومن ثم بابتسامة على استحياء:

"وما شأن الزواج الآن؟".

"لأننا عندما نصل إلى القرية المنشودة، سنتزوج هناك، ونبدأ شهر عسلنا الجميل، أليس هذا ما تريدينهُ يا حب حياتي؟ أن نجتمع مع بعضنا بصفة رسمية؟".

أومأت برأسها - هاميس - وهي تنظر إلى الأسفل، تشعر بالخجل من هذا الحوار، أمسك يدها وقبّلها ثلاث قبلات

قائلاً:

"إذن، دعيني أساعدكِ في ترتيب ملابسكِ يا وريثة الصوصاف".



-38-

زوايا مظلمة ودامسة، لا توجد فيها إلا إضاءة بسيطة تخرج من خمس شمعات متمركزات في منتصف المكان بشكلٍ يوحي بأن من وضعهم كان دقيقاً جداً. هدوءٌ غريب، لدرجة أنَّ صوت الرياح الذي يدخل من الخارج كان مسموعاً بشكل واضح.

فجأة علا صوت شهقات قوية، لرجلٍ كان نائماً في هذا الكهف المهجور، وكأنه كان وسط غيبوبة وقد أفاقَ منها بشكل مفاجيء، بدأ يتحسس جسده بأكمله، وكأنّها ردة فعل منه، للتأكد من أنه يخلو من أية إصابات. يحاول فتح عينيهِ بصعوبة، في البداية ظن بأنه أعمى، ولكن سرعان ما هدأ عندما رأى النور الذي يخرج من الشموع. بدأ يتلفّت كالمجنون، لا يعرف كيف وصلَ إلى هذا المكان؟، قال بداخله أنه يحلم، قرصَ نفسه وتألم، وعرفَ بأنه ليس حلماً، بل واقعاً غير معلوم الملامح.

وقف على رجله بصعوبة، صوت أنفاسه القوية صار يتردد في جميع أركان الكهف، صرخ بصوت مرتجف:

"هل يوجد أحدُ هنا؟ كيف وصلتُ إلى هذا المكان؟".

ولكنه لم يتلقَّ أية إجابة، مشى بضع خطوات إلى الأمام، إلى أن لمح باب الكهف الذي يبعد عنه خمسة عشرَ متراً. دبَّ الأمل في روحه الضائعة، فبدأ يركض لكي يصل إلى الخارج، ولكنه فجأة اصطدمَ بشيء جعله يسقط بشكل مدوٍّ. وضع يده على رأسه متحسساً الضربة المؤلمة، نهض من جديد واتسعت عيناه استغراباً ودهشة، وضع يده في الهواء الطلق، فشعر بأنَّ هناك حاجزاً شفافاً يمنعه من الوصول إلى الناحية الأُخرى، بدأ يلهث من جديد، ضربات قلبه تتراقص رعباً، شعر بالدوار وبالاشمئزاز، وكأنه استيقظ ووجد نفسه وحيداً و مدفوناً في أحد التوابيت. أخذ نفساً عميقاً، وبدأ يفكر بكل هدوء. إنه يحتاج إلى الحكمة في هذا الموقف، وجّه نظرته إلى الشموع الموجودة على الأرض، لم يعرف السبب، ولكنه كان يريد أن يحمل واحدة منها، أنزل يده ولكنها عبرت الشمعة

من اتجاهٍ إلى آخر، وكأنها صورة غير حقيقية! بدأ يفقد صوابهُ ويقول مردداً كالمجنون:

"بالتأكيد ما يحدث لي هو نوع من أنوع السحر، ليس من المنطقي أن يكون هناك جدارٌ خفي داخل الكهف، وتوجد فيه شموعٌ لا أستطيع لمسها، أنا متأكد بأنني تحت تأثر إحدى التعاويذ، ولكن من تجرَّأ وفعلها بي؟".

سمعَ صوتاً قوياً يخرج من بطنه، إنه جائع! وعندما فكَّر بالطعام، عرف بأنه عطشان أيضاً، يريد أن يأكل ويشرب. لم يستطع أن يتمالك أعصابه ويمثل على نفسه دور الهادىء، فصرخَ بأعلى صوته، وركضَ من جديد باتجاه الحائط، متأملاً أن يتخطّاه، ولكنه اصطدمَ به من جديد، وهذه المرة خارت قواه، واستمر على الأرض يبكي بخوف ويصرخ:

"مَن الذي جاء بي إلى هنا؟ أريد أن آكل، أشعر بأنني سأموت، أرجوكم ساعدوني".

سمعَ صوت أقدامٍ تمشي في المكان بشكل هادىء، رفع رأسه ولكنه لم يرَ أحداً، وقف على رجله بتعبٍ واضح:

"من هناك؟ أظهرْ نفسك".

وماهي إلا لحظات حتى بدأت تتضح الصورة له، جاء من البعيد رجلان يمشيان بهدوء وثقة، راح ينظر إليهما ويريد أن يتعرف عليهما ولكنه لم يستطع، وصلا إلى الحاجز الشفاف ودخلا إلى الكهف دون مشاكل تُذكر. رجع الرجل المذعور إلى خلف الكهف، إنه يريد أن يهرب من شيء لا يعرفه!

الرجل الأول كان يتميز بعينيه العسليتين اللامعتين، والرجل الآخر يمتاز بشعره الأسود الطويل الذي يصل إلى منتصف ظهره. اتسعت عيون الرجل الخائف، وقال وهو يتراجع إلى أن وصل إلى جدار الكهف:

"من أنتم؟ وماذا تريدون مني؟".

نظرَ الرجل ذو العيون العسلية إلى صديقه قائلاً بضجر:

"لا أصدق بأنني سوف أعرّف عن نفسي لهذا الحثالة".

بادلهُ ذو الشعر الطويل اللامع نفس علامات الضجر:

"هل تكفّ عن التذمر يا هذا؟ يا إلهي، لا أعرف كيف سأتحملك طوال هذه الفترة".

نظر إليهما الرجل غير مصدقٍ، صرخ بصوتٍ مرتجف:

"أريد جواباً في الحال، ما الذي جاء بي إلى هنا؟ ومن أنتما عليكما اللعنة".

اقتربَ منه الأول صاحب المزاج الضجر، وقال بعينين ثاقبتين:

"لا تلعنّنا لكي لا نلعنك ونجعلك قرداً يا هذا! سنجيبك على جميع أسئلتك: أنا الملك ثانوه، من أكبر الملوك العلويين".
وجّه نظره إلى صديقه المبتسم قائلاً:

"وهذا الملك قيراث... أنا مجبرٌ أن أقول بأنه صديقي في هذه الرحلة، رغم أنني لا أريد صحبته بكل صراحة". رمقهُ الملك قيراث بنظرة غير مرضية، فأكمل الملك ثانوه كلامه:

"وأنتَ موجود هنا لسبب معين، فكفّ عن تصرفات الأطفال، وستعرف كل شيء في القريب العاجل".

وكأنّ جواب ملك الجن لم يكن منطقياً بالنسبة للرجل الذي اتسعت عيناه دهشة:

"وما دخلي أنا بكما؟ هل تظنّان بأنني مبهورٌ بسبب وجودكما هنا؟ أنا أرى الجن طوال حياتي، ولكن لم يتجرأ أحدٌ على أن يخطفني من قبل".

اقتربَ الملك - ثانوه - منهُ، وشعر بأنه لابد أن يكون صارماً معه، رغم أنّ هذا الأسلوب يعكس شخصيته الهادئة:

"صحيح بأنكَ قابلت العديد من الجن في حياتك، ولكنك لم تقابل ملوكاً مثلنا يا هذا، وكما قال لك الملك ثانوه بأنك هنا لسبب محدد وستعرفه لاحقاً".

شُلَّ لسان الرجل بعد كلام ملك الجن الجاف، و استعدَّ الرجلان للرحيل، وعبرا الحاجز الشفاف من جديد، فصرخ الرجل مناجياً:

"أين تذهبان؟ أنا أشعر بالجوع، وأريد القليل من الماء".

التفتا إليه، ففرقعَ الملك - قيراث- بإصبعيه، فظهر طبق أمام الرجل يحتوي على حبات من التمر، وطبق آخر فيه القليل من قطرات الماء، وقال مبتسماً:

"لقد نسيتُ بأننا نرغمكَ على الصيام الروحاني، وحان موعد إفطارك".

لم يصدق الرجل ما رآه، فصرخ غاضباً:

"هل تضعون لي الماء في الطبق، هل تظنونني كلباً؟".

التفت مرة أُخرى الملك - ثانوه - وظهر الغضب في عينيه، فقال بصوتٍ هادرٍ هز أركان الكهف بأكمله:

"كل إنسان يعرف مقامه يا هذا، إن كنتَ ترى بأنك كلبٌ فلن أجادلكَ في هذا، اشكر الرب على النعمة التي أمامك، وكلْ واشرب لأنَّ أمامك طريقاً طويلاً، ولكن لا تأكل التمر كلّه، وإن اكتشفتُ بأنك فعلتَ هذا، فحسابك معي سيكون عسيراً... هل سمعت يا صوصاف؟".

غادرا المكان، و تركا -صوصافاً - يجلس على الأرض مصدوماً وحيراناً من الذي سمعه! يرى الطبقيْن أمامه ويخاف أن يمد يده إليهما، وكأنَّ نبرة ملك الجن قد زرعت الرعب في نفسه.

-39-

الشمس تُدخل أشعتها الجميلة إلى زوايا الغرفة الصغيرة والمنظمة، صوت العصافير يذكّر بالجنة، كأنهم يعزفون أجمل الألحان الخاصة باثنين بدآا حياة جديدة، المكان بسيطٌ جداً ولا يحتوي على أية تعقيدات، غرفة ذات حائط أبيض، سرير بنفس اللون يتوسط المكان، وورود حمراء منتشرة على الأرض وعلى أطراف السرير الصغير نوعاً ما، والمكسو باللون اللؤلؤي، شموع موجودة في كل الأماكن، ولكنها انطفأت منذ فجر اليوم بعد لقاء حميمي جمع الشخصين صاحبيّ المكان.

فتحت - هاميس - عيونها مبتسمة عندما رأت - نهاراً - وهو يراقبها بنظرات يتدفق منها الحب والانبهار:

"لماذا تنظر إليّ هكذا وأنا نائمة؟".

وضع يده على خدها مداعباً لهُ، وقال بنبرة يملؤها الشك:

"هل أنا أحلم يا هاميس؟ هل بالفعل هذا هو الواقع؟ أجتمعُ معكِ تحت سقف واحد، وفي سرير يربط حبنا، وأرواحنا قد تشابكت البارحة بكل جوارحها و أحاسيسها. أستحلفكِ بالله أن تقولي بأنّ ما أعيشه حقيقية وليست خيالاً".

أمسكت يده وبدأت تقبلها برقة وحنان:

"إنه واقع يا حبيبي، لقد اجتمعنا أخيراً، لن أكذب عليك وأقول بأنه لم تمر عليّ أيام وأنا أشعر بأن هذا اللقاء لن يتم، كنت أظن بأننا سوف نعيش في معارك و خلافات بين عوائلنا، ولن نكون لبعضنا أبداً، ولكنّ الله كرمني وجعلني أجتمع مع الذي يستحقه قلبي، أنا من أحلم يا نهار، وحلمي هذا سيستمر طوال عمري، ولا أريد أن أستيقظ منه، أنت أجمل الأحلام... أنت الأماني وكلمات الحب والأحلام والطموحات... أنت كل شيء يا حبيبي".

قبّلها على رأسها مبتسماً، بدأ ينظر إلى جميع زوايا المكان:

"ما رأيكِ في منزلنا الجديد؟ إنه صغير، يكفينا أنا وأنتِ، وربما قريباً يأتي إلينا ضيفٌ يشاركني بحضنكِ وبحبكِ".

قالها وأشارَ إلى بطن هاميس، التي سرعان ما شعرت بالخجل وضحكت:

"منذ الليلة الأُولى وتحدّثني عن الأطفال، لا تغير موضوع المنزل... أنا أحبه، أي مكان نجتمع فيه سوياً سوف يكون مثالياً يا عزيزي، ولكن بداخلي مشاعر مضطربة! فهذه أول مرة أخرج فيها من أرض جنة الصوصافيين".

"شيء جميل أنكِ حتى الآن تذكرينها بأرض جنة الصوصافيين، وليست أرض الجنة فقط".

"ما قد فُعل من قبل القادة السياسيين والسحرة السفليين لا يعنيني، هي ستكون في نظري أرض جنة الصوصافيين إلى الأبد، ولا أتخيل بأنني أعيش وأكبر وأموت وأُدفن في مكان آخر".

"قلتِ لكِ يا حبيبتي بأنّ غيابنا لن يطول أبداً، دعينا نستمتع في بداية زواجنا المبارك، إلى أن يهدىء الوضع هناك، وسوف نرجع بالتأكيد، هذا وعدٌ مني".

ابتسمت - هاميس - مطمئنة، فأزاح - نهار - غطاء السرير عنها، وبدأ يداعبها، ويقرص وجنتيها، وجعلها تنهض من مكانها قائلاً:

"دعينا نذهب لكي نأتي بجريدة الأخبار، أريد أن أعرف آخر الأخبار، لربما أستجدّ شيء في المدينة".

خرجا من الباب ودخلا إلى غرفة المعيشة، المنزل كان مؤلفاً من طابقٍ واحد، مساحة البيت تكاد لا تتسع، لا يحتوي إلا على غرفة للنوم وصالة المعيشة، بل حتى المطبخ موجود في الصالة نفسها، والمسافة بين غرفة النوم والباب الرئيسي للمنزل تقدر بستة أمتار.

فتحا باب المنزل، وألقيها نظرة على الحي الهادىء الذي يسكنان فيه، وكأنهما مراقبان من عصابة قاتلة تريد رأسيهما، و أن يأخذا حذرهما جيداً. رأى - نهار - جريدة الأخبار ملقاة على الأرض، فأخذها وأغلقا الباب.

ذهبت - هاميس - لتحضير كوبين من الشاي. فتح - نهار -

الجريدة ورأى الخبر الأساسي معنوناً بخط عريض:

"آخر تطورات حادثة حريق منزل الرئيسة كليوباترا، هذه هي أسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين لحظة وقوع المأساة".

اتسعت عيون - نهار - وهو يقرأ باقي الخبر، فصرخ بأعلى صوته:

"هاميس!!".

وقع الكوب من يد - هاميس - و انتبهت إلى الرعب في نبرة صوت زوجها، وكأنها شعرت بأنها سوف تعيش حالة جديدة من الضياع. اقتربت منه مذعورة، لم تترك عيونه صفحة الجريدة، كان يمسكها بيد مرتجفة، وضعت يدها على كتفه وقالت برهبة:

"ماذا بكَ يا نهار؟ هل قرأتَ شيئاً جديداً؟".

بعيون واسعة ومصدومة، أعطاها الجريدة، دقات قلبها بدأت تتسارع عندما لمستها، وكأنها تمسك بورقة الموت نفسه، مع كل حرف تقرؤه تتسع عيناها صدمة، بدأت عيناها تدمعان على خدها، رعشة الجسد انتابتها، سقطت الجريدة من يدها، أمسكت زوجها من قميصه بقوة صارخة:

"ماذا يعني ذلك؟ أرجوك تكلم".

الصدمة لم ترحل عن وجه - نهار - كان ينظر إلى الأرض، وكأنّه غير راضٍ عن نفسه، فصرخت زوجته عليه مرة أُخرى:

"أجبني يا نهار... ما الذي قرأتهُ لتوي؟".

رفع رأسه أخيراً، فتحَ فمه فلم يستطع إخراج أي حرف منه، ولكنه أخذ نفساً عميقاً، ومن ثم ألقى عليها قنبلة سوف تهزّ عرش حياتهما:

"هذا يعني أنَّ أخي ليلاً لم يكن موجوداً في المنزل عند نشوب الحريق! جميع الأموات تمَّ ذكرهم في الجريدة ومن بينهم والدتي، اسم أخي لم يُذكر قط!".

أنزلت - هاميس - يدها من فوق قميص زوجها وهي تبكي دون أن تشعر، تحس بأن قلبها سوف يتوقف عن عمله في

أية لحظة من قوة الصدمة التي تعيشها حالياً. ركضت باتجاه الباب بردة فعل غريبة تدل على أنها لا تشعر بأي أمان، أقفلت الباب بالمفتاح، نظرت إلى زوجها مرةً أُخرى، وقالت وهي تمسح دموعها التي لو استمرت فستُكوّن بركة من الماء:

"إن لم يكن ميتاً، فهو سوف يأتي إلينا لا محالة... أيامنا سوف تكون معدودة يا نهار".

كان - نهار - يريد أن يطمئنها، ولكنه صمتَ ولم يعلق على كلامها.

-40-

في غرفة سوداء اللون، جدارها مزين بزخرفات، بحروف وبأرقام متفرقة باللون الأحمر، تتوسط المكان طاولة داكنة و حولها كراسٍ مربعة الشكل. يجلس عليها اثنان من الرجال لهما ملامح غريبة. أحدهما يُطلق عليه - بلهوس - والآخر - هالوس- يمتازان ببشرة سمراء اللون، شعورهما طويلة جداً، في أيديهما مسباحان متوسطا الحجم و سوداوان كسواد الليل، يراقبان بعضهما، وكأنهما منتظريْن شخصاً ما.

مرت الثواني والدقائق ولم يتحركا من مكانهما، حتى إنهما لا يرمشان كثيراً. شكلاهما مرعبان ويقشعر منهما البدن. يحرّكان المسباحين ويهمسان بكلمات غير مسموعة، وكأنهما مطالبان بذكر أورادهما اليومية؛ لكي لا يفقدا ما يملكان من خدمات جنية.

فُتحَ الباب ودخل منه رجلٌ كان يرأس مجلس السحرة، أخذ هذا المنصب بالتوارث عن أفراد عائلته، إنه في العقد الخامس من عمره، أصلع الرأس، بياضه يوحي وكأنه مريضٌ جداً. خطوتهُ بطيئة، يلفُّ حول جسده رداءً أسود اللون مزيناً باللون القرمزي. بيده مسباحُ هو الآخر، ولكنه أطولُ من مسباحيّ الرجلين الجالسين حول الطاولة. جلسَ وبدأ يسعل بشدة، خرجت من فمه قطرات من الدماء، انتشرت على ذراع الكرسي الذي يجلس عليه، فمسحَ دماءه بيده وشربها، وشعر بنشوة غريبة! أغمضَ عينيه للحظات بسيطة، ومن ثم فتحهما ورمق الرجلين قائلاً بحزم:

"ما الذي يحدث؟ ماهو الخبر الذي لا يستطيع أن يتأجل إلى الغد".

تكلم الرجل الأول - بلهوس - قائلاً:

"ابن الرئيس السابق آمون... اختفى! ووالدته كليوبترا تمَّ تأكيد خبر وفاتها اليوم".

دخل الرجل الثاني - هالوس - في الحوار قائلاً بقلق:

"الذي يحدث في مدينة أرض الجنة محيراً، وكأنَّ هناك لعبة تدار من خلف ظهورنا يا سيدي الرئيس، لابد علينا من تحذيرك".

نظر إليهما الرئيس بنوع من القرف، بدأ يدخل إصبع يده في فمه، ويقتلع أظافره بطريقة مشمئزة، ويبصقها على الطاولة، فتكلم أخيراً وقال:

"ومن الذي سوف يضع لنا كميناً يا سادة؟ نحن في حماية القادة السياسيين، لا أحد يستطيع أن يتجرأ و يفعلها، حتى الصوصافيون وملوكهم العلويون".

تنحنحَ - بلهوس - وكأنه قد جفّ حلقه من رهبة الرئيس وتصرفاته الغريبة:

"و لكن يا سيدي أوراقنا قد تبعثرت في البداية بموت آمون، وتمَّ ترتيبها مرة أخرى عندما أمسكت زوجته كليوبترا زمام الأمور، والآن هي متوفية، وهذا يجعلنا نواجهُ خطراً محدقاً! ولا تنسَ بأنَّ ولدها قد اختفى، لم يكن في المنزل وقت الحريق. ألا ترى بأنَّ هناك غرابة في الموضوع؟".

وكأنهم الآن فقط استطاعوا أن يلفتوا انتباهه إلى الأشياء المريبة التي تحدث لهم. ظلّ صامتاً لبضع دقائق، فأكملَ الرجلان أورادهما السرية، ومن ثم سكتا فجأة عندما نطقَ بكلماته التي بينت شكّه حتى في قناعاته فيها:

"ما يحدث غريبٌ بالفعل، ولكنّي مصرٌّ بأننا تحت حماية القادة السياسيين، وماهي إلا أيام حتى يعلنوا عن شخصٍ يكون قريباً منا لكي يحكم المدينة من جديد. ولكنّ اختفاء ابن آمون خلفه سر! أريدكم أن تعرفوا تفاصيل أكثر عنه، لا نريد أن يتنفس الصوصافيون من جديد، هذه المدينة سوف تكون سفلية إلى أن تنتهي الدنيا كلها".

انتهى من كلامه ونهض دون وداع، خرج من الغرفة وترك - بلهوس - و - هالوس- ينظران إلى بعضهما البعض بحيرة وشك، وكأنهما لم يقتنعا بكلام الرئيس.

-41-

عيونه ثاقبة مصوبة على الهدف، ينظر إلى طبق التمر بخوف، لم تتبقَّ له إلا قطعٌ قليلة، يشعر بالجوع ويريد أن يلتهمها، و لكنّ الخوفَ يتملّكه من نبرة ملك الجن -ثانوه - فهو حذرهُ ألا يأكل الطبق كله. منذ أن غادرا حتى الآن وهو يجلس على الأرض، لا يفهم ما الذي يحدث له، وكيف انتهى به المطاف إلى هذا الكهف المظلم، نظر إلى الطبق الآخر الذي يحتوي على الماء، تبقت منه قطرات قليلة، يريد أن يرتشفها، رغم أنّ الملك لم يحذره من شرب الماء كله، ولكنه حذّره من أكل التمر، لكنه قرر أن يترك القليل من الاثنين.

وضع يده على رأسه مفكراً، استذكر العديد من الأشخاص في حياته، ترى هل سينتبهون إلى غيابه؟ هو مستعد أن يقوم بأي شيء، لكنه يريد أن يرجع إلى مكانهِ، وإلى رؤية أحبابهِ من جديد.

فجأة تزلزلت أرجاء الكهف، وكأنه أصيب بزلزال قوي. وقف الرجل على رجله مذعوراً، وسرعان ما هدأت الاهتزازات القوية، و دخل الملكان - ثانوه - و - قيراث - من جديد، ولكن هذه المرة نزلا من سقف الكهف بطريقة مرعبة، حطت أقدامهما أمام الرجل الذي نظر إليهما باستسلام تام. رأى الملك - ثانوه - بأنّ الأطباق لم تفرغ، فشعر بالرضا الذاتي في داخله لأنّ الرجل أطاع أوامره.

"هل هدّأت من روعك الآن؟". قالها الملك - قيراث - للرجل.

أومأ الرجل برأسهِ دون أن يتكلم، بدأ الملك - ثانوه - يتمشى في الكهف إياباً وذهاباً، ومن ثمّ قال بنبرة متعجرفة:

"نحنُ نعلم بأنّ لديك العديد من الأسئلة، نعم لقد تمّ خطفك ومن قبلنا يا هذا، وأنت الآن عليك أن تستمع إلى جميع ما سنقوله، صحيح بأنه كان علينا أن نتفق على كل شيء، ولكن لم نملك الوقت الكافي لذلك، وجعلناك تتضور جوعاً لكي تدخل في مرحلة الصيام الروحاني، وفطورك ماهو إلا تقوية

لجسدك البشري، إذن... اسألْ ما عندك".

كانت هذه هي الفرصة الذهبية لكي يسأل الرجل عن كل شيء يريد معرفته، ولكنه شعر بأنه لا يعرف بماذا يبدأ؟ فقال مستفسراً:

"أين أنا؟". ضحك الملك - ثانوه - بسخرية كبيرة، ورمق صديقه الملك - قيراث - قائلاً:

"هل تلومني فيه؟ لقد أعطيتهُ أكبر الفرص لكي أفيدهُ بما يريد أن يعلم، ولم يفكر إلا بمكانهِ الآن، يا إلهي! لم أعد أتحمّل هذا الغباء". قالها الملك وأعطاهما ظهره غاضباً.

حاول الملك - قيراث - أن يهدئ من وتيرة الأحداث، فقرر أن يجيب على أسئلة الرجل لكي يريحه، فهما يريدانه أن يكون معهما وأن يساعدهما:

"أنا من سوف أجيبك يا صوصاف، أنت في كهفٍ يقع في منطقة صحراوية بعيدة جداً عن العالم، لا أحد يستطيع أن يصل إليك".

"ولماذا تدعوني بصوصاف؟".

"لأنه اسمك! وستعرف كافة تفاصيل هذه النقطة لاحقاً".

"ولماذا تمَّ اختطافي بهذه الطريقة؟ ماذا تريدون مني؟".

رجع الملك - ثانوه - بعنجهيّته المعتادة قائلاً:

"نريدك يا صوصاف أن تكون روحانياً بالدرجة الأُولى، نعلم بأنك تعرف القواعد الصوصافية، ولكنه ليس كافياً، عليك أن تكون متمرساً في هذا العلم، ولكي يكون تدريبنا لك كاملاً، بدأنا معك من الصيام الروحاني، وسوف نعلّمك كيف تحضّر ملوك الجن، وكيف تتحكم بهم فيما يرضي الله، وسنعطيك هبات وأسرار العالم لكي تكون سيداً وتمشي في الطريق الحق".

ظهر الاستغراب والحيرة على وجه - صوصاف - فقال مرتبكاً:

"ولكن لماذا؟ لماذا أنا بالذات؟ ما الذي يميزني؟".

اقترب منه الملك - قيراث - قائلاً:

"هذا الجواب لا نستطيع أن نعطيك إياه يا صديقي، ثق تماماً بأننا في صفك، وجميع ما يحدث وما سيحدث هو مدروس بإتقان. عليك أن تتعلم على يدينا، ولا تعصي لنا أمراً، وعليك أن تكون صبوراً، فهذه صفات الأخيار يا صوصاف".

ساد الهدوء المكان لبضع ثوانٍ، فتكلم الملك - ثانوه - من بعد أن تنهّد بضجر:

"هذا قدركَ يا فتى، مكتوبٌ عليك أن تعاشرنا نحن الملوك الذين نعتبر من أقوى مخلوقات الجن، وهذه ليست ألقاب مزيفة نقولها للناس، ولكني أعذرك لأنك لا تعرفنا حق المعرفة. أمامك طريقٌ طويل، سوف تكمل في صيامك الروحاني، وتتلقى الدروس منا إلى أن تكون مستعداً، وإن كنت تريد أن ترجع إلى الوطن من جديد، فعليك اتباع ما سنقوله لك، أو مصيرك سيكون الهلاك المحتم، والقرار بيدك".

"ماتقولانه لي ليس منطقياً أبداً، أنتما لا تريدان أن تقولا لي الحقيقة، لماذا تمّ اختياري؟ ماهو السبب الحقيقي؟".

اقترب منه الملك - ثانوه - وتوسعت عيناه غضباً، فقال بنبرة مخيفة:

"لأنكَ تم اختيارك دون أن يتم إعلامك... لأنكَ وريث الصوصاف!".

صوصافيون

تكلمنا من قبل عن القرين، وكيف يستخدمه الروحاني في الكشف العام والمباشر عن أية حالة تأتي إليه، وكيف يتم كشف الحقائق بواسطة القرين، ولكن لم نتكلم عن هذا القرين بالتفصيل، ترى من هو؟ وماهي وظيفته؟

القرين مذكور في القرآن الكريم، وهذه النقطة تقطع أي شك موجود في العقل. هو مخلوق من عالم الجن، عندما يُولد الإنسان يُكلف أحدهم بالبقاء معه إلى أن يموت، له وظيفة واحدة في جسد الشخص الذي يسكن فيه، إما أن يضر الإنسان ويجعله يتبعه في طرق المعاصي والسيئات، وأمّا يفيده ويدلّه على طريق الخير.

هناك دراسات روحانية عديدة لمجموعة من الشيوخ أكدوا فيها بأنّ مكان وجود القرين يقع في القدم اليسرى، تحت الركبة بالضبط في رجل الإنسان، هنا يستوطن وهنا يتمركز.

هناك مجموعة من البشر لا يشعرون بالقرين لأنه يكون خاملاً في أجسادهم، ولكنَّ القرين النشط دائماً ما تكون هناك دلالات كثيرة على وجوده، مثلاً: الإحساس بالقشعريرة المفاجئة، وحدوث طاقات سلبية أو إيجابية بطريقة مفاجئة.

القرين المسالم لا يريد أن يوقع صاحبه في المهالك، ولكن دوماً تأتي المشاكل من القرين السيء، وأكبر مثالٍ عند النساء عندما يتم الكشف عنها ويقُال لها بأنها تمتلك - تابعة - وهذا المسمّى يُقصد به القرين السيء، الذي غالباً ما يهُلك النساء المبتليات به، فهو من يسقط جنين الحامل، وهو من يؤخر زواج البكر، ومن أعراضه أيضاً الغضب الدائم، و ذكر الألفاظ النابية دون قصد من الإنسان الذي تتحكم به طاقة القرين السيء.

أما القرين المسالم فلهُ مميزات كثيرة، ومعروفٌ بأنَّ جسد الإنسان معرض للاعتداء بشكل

دائم، خاصةً وأنَّ الجن السفليين دائماً ما يريدون التحكم بأجساد الناس. هنا تأتي وظيفة القرين المسالم، فهو يقيمُ

حاجزاً مناعياً لجميع هؤلاء الجن، لكي يحمي جسد الإنسان من الاستيطان السفلي.

و في بعض المرات يتغلب الجني السفلي على القرين ويدخل في جسد الإنسان، ولكنها لن تكون معركة خاسرة، فالقرين يرجع ويحارب هذا الجني ويخرجه من جسد الإنسان عن طريق التثاؤب.

ترى ماهي ديانة القرين الذي يتملك جسد الإنسان؟ كما قلنا بأنهم مخلوقات من الجن، وهم لا يختلفون عن البشر إطلاقاً، فالقرين المسالم يعتنق الديانة الإسلامية، أما القرين المؤذي فهو ينتمي إلى العالمي السفلي.

وبما أنَّ هذه المخلوقات من الجن، فطبيعيٌّ أن يتجسّدوا بصورة الذكور والإناث، ومن خلال الدراسات الروحانية ثبتَ أن الرجل تتبعهُ أنثى ويطلق عليها اسم - قرينة - و المرأة يتبعها رجلٌ ويُطلق عليه اسم- قرين-

وأخيراً ومع دراسات الأخيار من الصوصافيين، فقد اكتشفَ هؤلاء العديد من طرق التواصل مع القرين، وهذه الطرق منها ما تمّ ذكره آنفاً، و قد ساعدتهم على كشف العديد من الطوالع والحقائق والأسرار، سواءً بشكل شخصي أم بمساعدة الناس.

-42-

"إنكِ تهزّين المكان بأكمله يا هاميس بأرجلكِ، عليك أن تهدئي قليلاً".

لاحظت - هاميس - بأنه ليس رجلها ما تهتز فقط، بل جسدها بأكمله، عقلها يرسل إليها إشارات تحذيرية تفيدُ أنّ القادم ربما يكون فتاكاً وقاتلاً، وإنها بداية النهاية بالنسبة لها ولحبيبها.

مسحتْ ما تبقى من دموعٍ على خدها الناعم، وقالت مذعورة:

"ما العمل الآن يا نهار؟ أخوك ليل لم يكن موجوداً في تلك الليلة، إنهُ حرٌّ طليق، بالتأكيد سوف ينتقم منا".

صرخَ - نهار - بأعلى صوته، كاشفاً عن توتره وعن ضياعه حالياً:

"عليكِ أن تكفي عن هذه الأقاويل، أولاً أنا متأكد بأنه كان موجوداً داخل المنزل، لقد رأيتهُ بعيني يا هاميس! كان يتكلم ويضحك مع المدعوين. هناك أمرٌ غريب في الموضوع، إحساسي يقول بأنه مخطط وضعهُ القادة السياسيون، ربما لا يريدون إعلان وفاته، ربما لديهم خططٌ أُخرى".

"لو كان كلامكَ صحيحاً، فلمَ يخفونَ وفاة أخيك ليل؟ هو ليس حاكماً للمدينة، والحاكمة توفيت وتمَّ إعلان مماتها، إحساسك خاطىءُ يا نهار، أخوك لم يكن موجوداً أثناء الحريق، ربما كشفنا منذ الوهلة الأُولى ولكنّه قرر أن يجعلنا نظن بأننا متقدمون خطوة عليه".

"ولمَ يجعلني أقتل أمي بتلك البساطة؟ هو يحبها أكثر مني، وهي من تعطيه القوة والسلطة، أنتِ مخطئة يا هاميس".

ازداد التوتر على وجه زوجته، ظلّ يراقبها بصمت، وكأنه ليس لديه أية حيلة، فقالت مرة أُخرى:

"إذن ماهي الخطوة القادمة؟ هل ننتظر هكذا حتى يعرف مكاننا ويقتلنا؟".

"لماذا تشعرينني بأنني لستُ رجلاً؟ هل تظنّين بأنني لا

أستطيع الدفاع عنكِ؟".

و كأنَّ - هاميسَ - حزنتْ لأنها جرحت زوجها دون قصد، فقالت متأسفة:

"أنا لم أقصد ذلك يا نهار، ولكن نحن أمام مجموعة من السحرة السفليين، الذين لديهم دعمٌ حكوميٌّ قوي، الصوصافيون بأكملهم لم يستطيعوا أن يتصدوا لهم، فكيف لنا أن نفعل ذلك؟".

بدأ - نهار - يحك فروة رأسه بقوة، دلالة على مدى تشتّته حالياً:

"كل شيء في الدنيا له حل، ولن أسمح لأحد أن يلمس شعرة منك، فأنتِ أغلى ما أملك في هذه الدنيا، دعيني أذهب إلى صديقٍ يسكن بالقرب من هنا، رجلٍ صوصافي عجوز، لديه من الخبرة والحنكة مايمكّننا من الخروج من هذه الورطة. علينا أن نتحصن من هجوم السحرة وجنّهم السفليين".

اتسعت عينا - هاميس - دهشة:

"ماذا؟ تريد أن تتركني هنا لوحدي؟ هل جننتَ؟ أريد أن أذهب معك".

"هنا مكانٌ آمنٌ لكِ يا حبيبتي، لا أحد يعلم بوجودنا فيه، ولا أريد أن أخاطر بكِ معي، إن خرجت وأصابني مكروه ربما أستطيع تدبر أموري، ولكن إن كنتِ معي فسوف تضعفينني، أرجوكِ ابقي هنا، ولن أتأخر عليكِ".

أومأت برأسها موافقة دون اقتناع، قبّلها على رأسها، وأخذ معطفه الجلدي وخرج من المنزل. بقيت - هاميس - جالسة لوحدها في غرفة النوم، شعرت بالقليل من التعب، فرمت بنفسها على السرير، بدأت تلعب بخصلات شعرها وتفكر في حياتها البائسة! تتساءل بينها وبين نفسها: لماذا لا يحق لنا أن نختار مصيرنا؟ لماذا دائماً هناك عراقيل كثيرة في أي طريق نود أن نسلكه؟ أنا خُلقت وسط عائلة صوصافية من الطراز الأول، ولكنني أعيشُ مع رجلٍ من عائلة سفلية، وكأنه عشقٌ بين المسلم واليهودي. مستحيل أن ينجح، ولكنه نجحَ معي،

لأنَّ نهاراً لم يتقبل توجُّه عائلته، بل كان يميل إلى الصوصافية بشكل أكبر. ترى لماذا أبي ماتَ بهذا الشكل؟ أنا أعرفه بأنه قويٌّ جداً، كيف استطاع الساحر - آمون - أن ينهي حياته في السجن، وكيف ماتا في نفس اللحظة؟ هناك الكثير من الأشياء التي لا أجد لها تفسيراً.

فجأة نهضت - هاميس - من مكانها مفزوعة، سمعت صوت الباب يُفتح ويغلق مرة أُخرى، كردة فعل طبيعية، نظرت إلى الشباك، فكرت بأن تخرج منه وتركض بعيداً، ولكن إلى أي مدىً سوف تستطيع أن تبتعد؟ الشخص المجهول الذي دخلَ إلى البيت خلسة، يستطيع أن يلحق بها بسهولة. تُرى هل هو - ليل - و جاء للانتقام؟

سمعت صوت أقدام تسير باتجاهها، زادت دقات قلبها، شعرت بأنه سوف يخرج من مكانه من الفزع، أمسكت كتاباً بيدها وكأنه سلاحُ فتاك يستطيع أن يقتل أي عدو يريد أن يهجم على مملكتها الصغيرة. أنفاسها بدأت تتعالى، وجهها احمرّ، شعرت بأنها سوف يغمى عليها سريعاً.

وفجأة تنهدت براحة وتركت الكتاب من يدها، عندما رأت بأن الشخص الذي دخل هو زوجها - نهار - الذي نظر إليها باستغراب كبير:

"ماذا بكِ يا هاميس؟ وكأنكِ رأيتِ شبحاً".

"سمعتُ الباب يُفتح ويغلق، فكرت بمليون فكرة، شعرت بخوفٍ كبيرٍ".

جلس بجانبها، وأمسك يدها المرتجفة وقبّلها قائلاً:

"قلتُ لكِ بأن لا أحد يعلم بمكاننا، لمَ كل هذا الخوف؟".

التقطت أنفاسها المتقطعة، وهدأت قليلاً، ومن ثمّ رمقت - نهاراً - بنظرة مستغربة قائلة:

"ما الذي جاء بك سريعاً؟ هل رأيت صديقك الصوصافي؟".

"لا... كنتُ سأنوي الذهاب، ولكني رأيت بأن الوقت متأخرٌ جداً، غداً سوف أذهب إليه"؟

"حسناً. . . هل تريدنا أن نخلد إلى النوم".

ابتسم - نهار- بطريقة غريبة، وبدأ ينظر إليها بحب وشوق، وضع إصبعه على خدها ملامساً إياه برقة:

"أنا مشتاق إليكِ يا هاميس، أحتاج إليكِ".

نظرت إليه باستحياء، و بقليلٍ من الاستغراب:

"الآن؟ وسط هذه العاصفة التي نعيشها؟ كيف تستطيع أن تفكر هكذا؟".

"الحب ليس له وقتٌ يا حبيبتي، ونحن في بداية زواجنا، حرام عليكِ أن تحرميني من كل هذا الجمال، أنا لم أصدق بأنكِ معي تحت سقف واحد".

وكأنّه سحرها بكلامه، أطفأ الإضاءة الصغيرة الموجودة بجانب السرير، هو يستطيع أن يراها في الظلام بمصباح قلبه، وهي تستطيع أن تشعر به من خلال حبّها، بدأ يهديها عشرات القُبل، وأوصلها إلى أحساسٍ كل فتاة تعشق أن تصل إليه مع من تحب. مرت الثواني والدقائق وهما جسدان بروح واحدة، يشعران بكل جوارحهما وبإحساسيهما، يذوقان طعم الحب عن قرب، ينعمان بحلالهما المحلل في الدنيا، يعدانِ بعضهما البعض بالتماسك وبالقوة وبالإخلاص، يسمعان ألحانَ العشق تُعزف في آذانهما، ويستطعمان حلاوة الحب التي دائماً ما تكون مختلفة مع شريك حياتنا.

التواصل الجسدي الذي من خلاله يستطيع الإنسان أن يعرف مدى حب شريكه له، بدون أن يتكلم أو يقسم أو يعد، إنها أحاسيس واضحة، علامات ليس حولها شك.

شغّلت الإضاءة من جديد، الابتسامة لم تفارق وجه - هاميس - قبّلها زوجها وهو بالكاد يأخذ أنفاسه قائلاً:

"أنا أحبكِ يا أجمل هاميس في الدنيا".

خبأت وجهها تحت الوسادة خجلاً، ضحك - نهار - وقال لها:

"سوف أذهب لجلب الماء".

لم ترفع عينيها قط، ظلت تنظر إلى الأرض مبتسمة وخجولة.

خرج - نهار - من الغرفة مبتسماً، أخذت - هاميس - نفساً عميقاً مستمتعة بما بعد إحساس الحب اللذيذ والمُغيّب للعقل والحواس.

سمعت باب المنزل يُفتح ويغلق من جديد كما حدث قبل قليل، نهضت مستغربة، نادت مرتبكة:

"نهار؟ أين ذهبت؟".

سمعته يدخل الغرفة والتعب واضحٌ على وجهه، نظر إليها مستغرباً:

"ما الذي تفعلينه؟".

نظرت إليه هي الأُخرى بنفس الاستغراب:

"لماذا أنتَ بهذا الشكل؟ وأين الماء؟، من الواضح بأنك نسيتَ، هل عشقي ينسيك أبسط الأشياء؟ لقد كانت اللحظات التي بيننا لا تُنسى يا حبيبي".

زادت الحيرة على وجه - نهار - وجلس بجانبها:

"عن ماذا تتحدثين؟".

"حبك الذي أهديتني إياه... لن أنسى هذه الليلة أبداً".

"أنا لا أفهمكِ يا هاميس، ولكن اسمعيني، لقد جئت لتوي من عند صديقي الصوصافي، وأعطاني قليلاً من الحلول التي من الممكن أن نحمي أنفسنا بها من أخي ليل و من الجن السفليين".

صرخت - هاميس - بأعلى صوتها رغم أنها وضعت يدها على فمها، نهضت من مكانها راكضة باتجاه زاوية الغرفة، التصقت بالجدار مرعوبة، نهض زوجها مصدوماً منها:

"هاميس... ماذا بكِ؟".

انحرطت في البكاء، وبدأت تتكلم بصعوبة:

"قبل قليل كنتَ موجوداً معي في السرير، عندما عدتَ استغربت بأنك لم تكن ترتدي نفس المعطف الجلدي، ولكنني لم أفكر بهذا الشيء كثيراً، وعندما قلتَ لي بأنك ذاهبٌ لجلب الماء، ودخلتَ الآن مرة أُخرى بمعطفكَ الأسود، عرفت

بأن....

ظهرَ الخوف على وجه - نهار - فصرخ:

"ما الذي تقولينه يا هاميس؟، أنا لم أفهم شيئاً!".

بدأت تبكي بشدة، وتضرب وجهها بيدها صارخة:

"لقد كان هنا... ليل أوهمني بأنهُ أنت! ونام معي بنفس السرير يا نهار، لقد انتهك جسدي دون أن أعلم، إنه هنا... إنه سيقتلنا".

قالتها وأغميَ عليها من الصدمة.

صوصافيون

جميعنا نعلم وبعد كمية المعلومات التي قرأناها عن الصوصافيين بأنهم مختلفون جداً عن باقي البشر، في طريقة حياتهم وطقوسهم اليومية، بل حتى في صيامهم وذكرهم لأورادهم الروحانية الخاصة.

أسماء الأيام العادية معروفة لدى الجميع، ولكن نفس هذه الأيام تتسمى بطريقة مختلفة في العالم الصوصافي، هي اجتهادات من قبل البعض، وانتشرت بين الجميع وتوارثوها عبر السنين.

يوم الأحد في العالم الصوصافي يسمى ب "أول ".

يوم الإثنين في العالم الصوصافي يسمى ب "أهون ".

يوم الثلاثاء في العالم الصوصافي يسمى ب "جبار ".

يوم الأربعاء في العالم الصوصافي يسمى ب "دبار".

يوم الخميس في العالم الصوصافي يسمى ب "مؤنس".

يوم الجمعة في العالم الصوصافي يسمى ب "عروبة".

يوم السبت في العالم الصوصافي يسمى ب "شيار".

بل أيضاً تمت تسمية أيام الأسبوع تبعاً لملوك الجن الذين يحكمونها، فلكل يومٍ ملكٌ يرأسه. نعتذر عن نشر الأسماء العلوية تقديراً لأصحابها.

-43-

صمت غريب يملأ المكان، رائحة البخور منتشرة في زوايا الكهف المظلم، مجموعة من الشموع تكوّن دائرة حول - صوصاف - الذي يجلس في المنتصف ويغمض عينيه، ويهمس بكلمات غير مسموعة. ترقّب واندماج يصدران من الملكين - ثانوه - و - قيراث - وهما يراقبان أول خلوة روحانية لـ- صوصاف -. إنه يحاول أن يحضّر إحدى ملكات الجن العلويات.

قطرات العرق تتساقط على جبهة الصوصافي، قسمات وجهه وكأنها تعتصر... وتتعذب، إنّه يُجهد نفسه فوق طاقته البشرية، يحاول أن ينجح في هذا الاختبار رغم عدم تقبله واقتناعه بوجوده مع هذين الملكين، ولكنه شعر بأنّه مجبرٌ على ذلك. في بعض المرات تضعكَ الدنيا في طُرق لا تتناسب معك، تلقي بك وسط البحر، وتقول لكَ كن عائماً في بحر المشاكل، رغم أنك لا تعرف كيف تسبح.

نرى أنفسنا في عدة مواقف صعبة، نحزن على حالنا، وتُكسر فينا مجموعة من الأحاسيس البريئة، ونتساءل: لماذا يُكتب علينا أن نتألم بهذا الشكل؟ هل نحن سيئون إلى هذه الدرجة؟ هل ما يحدث لنا هو كفارات دنيوية عن أفعال اقترفناها بأيدينا في السابق؟ إلى أن نقتنع بأنه قدرٌ مكتوب علينا، ولا يوجد مفر منه.

الملك - ثانوه - يراقب الصوصافي بغضب، والملك - قيراث - عيناهُ تفضحانه، يريد أن يرى البشري ينجح في عمله. ارتفعت همسات الصوصافي أكثر فأكثر، وجهه بأكمله تحول إلى اللون الأحمر، بدأ يبكي من التعب الذي يشعر به، صرخ بأعلى صوته ونهض من مكانه، خبّأ وجهه لكي يخفي دموعه، تمالكَ نفسه ووقف أمام الملكين وقال منكسراً:

"لا أستطيع أن أفعلها!".

نظر الملك - ثانوه - إلى صديقهِ الملك الآخر قائلاً:

"قلتُ لك بأن لا فائدة منه، نظرتي لا تخيب أبداً، إنه مثير

للشفقة".

"علينا أن نصبر عليكَ يا ثانوه، أرجوك لا تُسمعه هذا الكلام، أنتَ أطلقت وعدك بأنكَ ستقف معه إلى النهاية، لا تنسَ ذلك".

نظر - ثانوه - بغضبٍ إلى صديقه، الذي أعطاهما ظهره محاولاً أن يتحكم بمشاعره المتضاربة مع الصوصافي.

اقتربَ الملك - قيراث - من البشري محاولاً تشجيعه:

"لا تقلق يا صوصاف... أنت في البداية، عليك أن لا تيأس".

مازال الصوصافي يلهث ويلتقط أنفاسه بصعوبة من بعد جلسته التحضيرية الفاشلة:

"أنا لا أفهم يا قيراث، إنني روحانيٌّ بالفطرة! وأجريتُ العديد من التحضيرات، وجلستُ مع ملوك الجن، وحظيتُ بخدمتهم المشرّفة. فلماذا لا أستطيع أن أنجح في عملٍ روحانيٍّ بهذه البساطة؟".

"لأنك منذ الوهلة الأُولى التي أصبحتَ فيها معنا، تمّ سحب روحانيتك بالكامل، رجعت كالطفل الذي يخرج من بطن والدته".

ظهرت علامات الاستغراب والصدمة على وجه الصوصافي:

"ولماذا فعلتم هذا؟ لماذا تحرمونني من روحانيتي".

أدارَ الملك - ثانوه - ظهرهُ من جديد، وقال بنبرة اهتز الكهف معها من علوها:

"لأننا نريد روحك أن تكون جديدة، المهمة التي ستقوم بها تحتاج إلى شخص أبيض الروح، نقيٍّ من داخله وخارجه، لا أهتم إذا كنتَ روحانياً في السابق، أو جلستَ مع العديد من ملوك الجن، ما يهمني أنكَ الآن جديد في هذا العالم، وعليك أن تكف عن البكاء وعن تصرفاتك الطفولية، وتثبت لنا بأنك كفءٌ لهذه المهمة".

تصاعد الغضب على وجه الصوصافي، لقد استفزه الملك بما

فيه الكفاية، فصرخ في وجهه قائلاً:

"أنا لم أختر هذا الطريق، وإن كنتَ تكرهني إلى هذا الحد، فلا أحد يجبرك أن تبقى معي وتعلمني، أنتما من سحبتما روحانيتي، أنتما من سلبتما حريتي، أنتما من تطلبان مني أشياء أنا لا أريدها، لا أهتم إن كنتُ من أكبر ملوك الجن الروحانيين، ولكن لا أسمح لأحد أن يتحدث معي بهذه الطريقة الوقحة، اذهب إلى الجحيم يا ثانوه".

اتسعت عينا الملك - ثانوه - غضباً، ظهر التوتر على وجه - قيراث- الذي كان متأكداً بأن هذا الموقف لن يمر مرور الكرام. طار الملك - ثانوه - باتجاه الصوصافي الذي يبتعد عنه بضع خطوات، رفعه عن الأرض ممسكاً إياه من عنقه بقوة، تحولت عيناه وأصبحتا برّاقتين بشكل مخيف:

"كيف لك أن تتحدث معي بهذه الصورة؟ نعم...أنا أكرهك يا صوصاف! ولا يشرفني بأن أعطيك من علمي وخبرتي شيئاً، ولكن كُتب عليَّ أن أبقى معك أنت... أنت الذي تأتي من شجرة فاسدة، ولا أعلم كيف لك أن تحظى بهذه الفرصة الذهبية!".

بعد مساعدة من الملك - قيراث - تحرّر الصوصافي من قبضة - ثانوه - بصعوبة، سقط البشري على الأرض وهو يحاول أن يأخذ أنفاسه، نهض وكأنه صُعق وبدأت الكهرباء تسري في جسده:

"هل تريد خنقي؟ هل هذا ما تحاول أن تفعله؟". رفع يده إلى الأعلى وقال متحدياً:

"اقتلني يا ثانوه... أنا أعطيك الإذن بهذا". كانت نظرات الصوصافي غاضبة جداً، وبادله الملك - ثانوه - نفس نظراته، ولكنه هدأ قليلاً عندما وضعَ - الملك - قيراث - يده على كتفه وهمس له بشيء غير مسموع.

فرقعَ الملك - ثانوه - بإصبعيهِ فهبط طبقان من الأعلى إلى الأسفل، فيهما حبات التمر و قليلٌ من الماء، أشار إليهما للصوصافي قائلاً:

"هذا فطوركَ، أنهِ صيامك فيه، وكالعادة.... لا تأكله كله!".

اختفى الملكان من المكان، و تركا - صوصافاً - واقفاً في مكانه، يلهث وكأنه وسط صحراء قاحلة.

-44-

هدوء يخيّم على المكان، إضاءة بسيطة تخرج من شمعتين تتوسطان الغرفة الصغيرة، هواء الليل العليل يدخل من الشباك المفتوح. تنام - هاميس - و - نهار - بكل هدوء وسكينة، يظهر الألم و قليل من القلق على وجهيهما حتى وهما في أكثر اللحظات راحة... النوم.

كانت -هاميس - تنام وهي ممسكة بيد - نهار- الذي يضغط على يدها بقوة، هي تخاف أن يتركها وحيدة، وهو يهاب أن يخسرها.

هبت نسمة باردة على وجه - هاميس - طيرت خصلات شعرها بطريقة قوية، نهضت من النوم مفزوعة، التفتت إلى - نهار- فارتاحت عندما وجدته نائماً بجانبها. ألقتْ بنظراتها على جميع أركان المكان ولكنها لم تجد شيئاً، قالت بينها وبين نفسها بأن هذا الرعب يأتي مصدره من الهواء البارد المفاجىء الذي هجم على المكان.

نهضت من السرير واتجهت إلى الشباك الصغير، اقتربت منه بحذر شديد، لا تعلم ما هذا الإحساس الذي يُشعرها بالرعب تجاه أي شيء في الدنيا. بيدٍ مرتجفة أغلقتهُ بإحكام، نظرت إلى الخارج فوجدت أنّ الدنيا هادئة وليست فيها أية حركة تُذكر. أعطت الشباك ظهرها، ولكنها شعرت بأن هناك من يراقبها، التفتت بذعر فلمحت خيالاً أسودَ كان موجوداً وطار بعيداً بمجرد أن التفتت إليه. أغمضت عينيها وبدأت تقول في سرّها بأن ما تشعر به ليس حقيقة! وأنها شكوك ومخاوف تلازمها منذ فترة.

رجعت إلى سريرها وهي تشعر بأن النوم يجثم فوق عيونها. تأملت وجه - نهار - النائم بكل هدوء، ابتسمت وهي تراه كالطفل الغارق في أحلامه، حرصت أن تغطي جسده لكي لا يمرض، فحتى مع إغلاقها للشباك، فالهواء البارد يستطيع أن يدخل من أصغر الأماكن.

أغمضت عينيها وبدأت تردد بداخلها عبارة تعودت أن تقولها

عندما تريد أن تنام سريعاً، عندما يجافيها النوم وتغلب عليها الأفكار الكثيرة، كانت تقول:

"أريد أن أنام.... أريد أن أنام".

وكأنها تبعث برسائل مباشرة إلى عقلها لكي يستطيع أن يسترخي وتذهب في سبات عميق. شعرت لوهلةٍ بأنها مقبلة على عالم أحلامها، ولكنها فتحت عيونها مرة أُخرى وبفزع، سمعت صوت طرق يأتي من الشباك، نهضت من مكانها بخوف، ورأت الشباك ولكنها لم تلمح أي شيء غير طبيعي، أخذت أنفاسها بصعوبة، واستلقت على وسادتها من جديد.

"هاميس.....".

سمعت اسمها بنبرة الهمس يأتي من داخل خزانة الملابس الصغيرة الموجودة في الغرفة، هزت جسد - نهار - بقوة محاولة أن تجعله ينهض، فتح عينيهِ بشكل جزئي بصعوبة قائلاً:

"ماذا هناك يا هاميس؟".

"لقد سمعتُ صوتاً يأتي من خزانة الملابس".

"لا يوجد شيء يا حبيبتي، أرجوكِ ارجعي إلى النوم". قالها وهو متعبٌ جداً، ورجع و نام بسرعة غريبة.

لم تهدأ شكوك - هاميس - إطلاقاً، فنهضت بحذر واتجهت إلى خزانة الملابس، كانت تمشي على الأرض ببطء شديد، وكأنها لا تريد إزعاج شخص ما، تريد أن تباغت مَن يسبب لها الخطر، أو كما يبيّن لها عقلها الباطن.

فتحت باب الخزانة بحذر، ولكنها لم تجد شيئاً، ولكي يستريح ضميرها، فتّشت بين الملابس القليلة الموجودة في الداخل، فارتاحت عندما تأكدت بأنّ ما سمعته كان يأتي من خيالها لا أكثر.

أغلقت الخزانة وبدأت أنفاسها المتقطعة تعود إلى طبيعتها بشكل تدريجي. التفتت لكي ترجع إلى فراشها ولكنها صرخت بأعلى صوتها عندما رأت الشباك، رأت - ليلاً - وهو يقف طائراً في الخارج وينظر إليها بخبث وبشر، وبيده طائرٌ يمسك

به من رقبته بإحكام، قطعَ رقبته دون رحمة، وأشار لهاميس بيده، وكأنه يقول لها بأنها ستكون التالية.

صرخت بصوت أعلى، وسقطت على الأرض واضعة يدها على عينيها. نهض - نهار - من النوم مفزوعاً، رآها ساقطة على الأرض وتشير إلى الشباك، فلمح - نهار - أخاهُ - ليلاً - وهو يبتسم له ويطير بسرعة من المكان. قفزَ - نهار - من السرير وأمسك بزوجته:

"هل أنتِ بخير؟ هل أذاكِ؟".

صرخت - هاميس - وهي تبكي بفزع:

"قلتُ لك بأنني سمعتُ صوتاً، إنه هو... أنت لا تصدقني يا نهار، إنه يعذبنا بهذه الحركات، يريد أن يحوّل حياتنا إلى جحيم".

ظهر الغضب على وجه - نهار - فقرر أن يغادر الغرفة، ولكنَّ زوجته أمسكته من يده:

"إلى أين تذهب يا مجنون؟".

"لن أقف مكتوف الأيدي وأنا أراه يلعب بنا كالدمى".

ركضَ إلى الخارج، و ظلت - هاميس - جالسة على الأرض تبكي بخوف، إلى أن مرت الدقائق وتشجعت ونهضت من مكانها، ألقت نظرة من الشباك فلم تجد شيئاً، حتى زوجها لم يكن لهُ أثرٌ في الخارج. فتحت الشباك وصرخت بأعلى صوتها:

"نهار... أين أنت يا نهار".

ولكنها فقدت الأمل، وبسبب مشاعرها المضطربة لم تعلم ماذا عليها أن تفعل، أغلقت الشباك من جديد، ودخلت إلى سريرها وتغطت بالغطاء، وكأنه سيحميها من شرور العالم، فجأة سمعت صوت أقدام يأتي من الخارج، رفعت الغطاء إلى أعلى أنفها، بدأت تتصبب عرقاً رغم برودة الجو، سمعت صوت قفل الباب يوصد من الداخل، فاتسعت عيونها دهشةً! انطفأت أنوار الشموع بطريقة مفاجئة، وسمعت صوت شخص يركض في الغرفة يميناً وشمالاً، يضحك بشكل مستفز، عرفت

بأنّ - ليلاً - قد دخل إلى المكان خلسة، بدأت تصرخ بأعلى صوتها، شعرت بأن غطاء السرير يُسحب من قبل أحدهم، هناك أيادٍ تسري على جسدها، صفعة على الوجه من هنا، وتُسحب من شعرها من هناك، الألم هجم على جميع حواسها، صرخت بأعلى صوتها لدرجة أن أحبال صوتها بدأت تتقطع:

"أرجوك توقف... توقف!".

فجأة ساد الهدوء في المكان، ولكن الظلمة مازالت موجودة، أغلب مخاوفنا تأتي من الظلام! لا تعلم أنتَ من تواجه، وماهي حركة عدوك القادمة، يضيّعك وسط العتمة ويتابعك و أنتَ تحتضر ببطء.

أضيئت شمعة واحدة، حاولت - هاميس - أن تستمع إلى أية حركة غير طبيعية في المكان، ولكن صوت أنفاسها غير المنتظم كان مشتتاً للانتباه، حاولت أن تتحكم بنفسها بشكل أكبر، نهضت من السرير، مشت في الغرفة بحذر، حاولت أن تفتح الباب دون جدوى، ذهبت إلى الشمعة المشتعلة والتي أمامها مرايا متوسطة الحجم، بدأت تنظر إلى الشمعة وكأنها تريد أن تعرف من أضاءها، شعرت بأنفاس غريبة تأتي من خلفها، رفعت رأسها باتجاه المرايا، فوجدت - ليلاً - يقف خلفها مبتسماً بطريقة مخيفة جداً:

"أهلاً يا هاميس".

فزعت - هاميس - من مباغتة الساحر لها، ومن شدة خوفها تبوّلت على نفسها دون أن تشعر، حاولت أن تهرب ولكنه سحبها بيده دون أن يلمسها، بل وجعل جسدها بأكمله يصاب بالشلل، لم تستطع أن تحرك شيئاً في جسدها سوى عينيها الباكيتين الخائفتين.

وضع يدها على عنقها بقوة، تحولت تقاسيم وجهها إلى اللون الأحمر الخانق. صوت طرقٍ يأتي من باب الغرفة، هناك من يحاول أن يفتحه لكن دون جدوى.

"هاميس.. .هاميس... هل أنتِ في الداخل؟". إنه - نهار - ينادي على زوجته المحبوسة.

ضحك - ليل - بنبرة شريرة وهو ممسكٌ بعنق هاميس قائلاً:

"أخي المسكين، يحاول أن ينقذكِ، لم أتمنَّ أن أراه بهذا الضعف أبداً، اختار طريق الصوصافيين وترك العالم السفلي، وكما ترينه الآن لا يستطيع حتى أن يكسر تعويذتي ويدخل لإنقاذكِ".

أفلتَها من يدها، وبدأت تأخذ أنفاسها بصعوبة، لم تستطع أن تتكلم أو تصرخ، تشعر بأن روحها ستخرج من جسدها، رفعها في الهواء بإشارة منه، جعلها تقابل وجهه وصرخ غاضباً:

"هل تظنون بأنني أحمق؟ هل نسيتم من أنا؟ أنا ليل صاحب العلوم السفلية، أنا من وضعت قبضتي على بلدة أرض الجنة، كنت أعلم بأنكما تخططان لفعل شيء مريب، وبالفعل كنت داخل المنزل ليلة الحريق، ولكنني تداركتُ نفسي سريعاً وخرجت، يؤلمني قلبي كثيراً لأنني لم أستطع أن أنقذ والدتي، ذبحتموها يا مجرمين وأنتم تنادون بالعدل والمساواة، لن أجعلكم تذوقون طعم الراحة أبداً يا هاميس، واللعبة لتوها قد بدأت".

استمر صراخ - نهار - وضربه للباب مراراً وتكراراً، ولكنه لم يستطع أن يدخل وينقذ زوجته من قبضة -ليل - الذي يستمع إلى صراخ أخيه بكل انتشاء:

"سوف أقتلكَ يا ليل، لن تفوز أبداً، سأحرقك كما حرقتُ منزلنا يا ساحر يا قذر".

وكأنه نجحَ في إغضاب - ليل - ولكنه كان أذكى من ذلك، أمسك هاميس من عنقها مرة أخرى وبقوة أكبر من سابقتها، صرخت المسكينة محاولة أن تنقذ حياتها بأي شكل من الأشكال،

فجأة... عادَ الظلام ينتشر في المكان من جديد، فُتح باب الغرفة، فدخل - نهار - الذي تأكد بأنه جاء متأخراً جداً، لأنه لم يتبقَّ في المكان سواه.

صوصافيون

علم الروحانيات واللغة السريانية بالتحديد...

جميع الأعمال والأقسام الروحانية تتخللها كلمات باللغة السريانية، بالطبع إنّ اللغة العربية توجد فيها، ولكنَّ السريانية تأخذ النصيب الأكبر من جميع الأقسام السحرية في هذا العالم المليء بالغرائب والعجائب.

في البداية هناك دائماً من يزعم بأن الجن لا يتكلمون إلا بتلك اللغة "السريانية "وهذا مفهوم خاطىء، فعندما يستدعي أحدُ الصوصافيين الجن، فالجن يتكلمون معه حسب لغتة الأم، حتى ولو كان يتكلم الأجنبية، إذن فلغة الجن ليست السريانية، ولكنهم يستخدمونها خصيصاً لكي يلبوا نداء الطاعة والولاء.

إذن ماهو سرّ هذه اللغة؟ وكيف بدأت؟ وما أصلُ نشأتها؟

هي لغة اشتقت من اللغة الآرامية، التي نشأت قبل الميلاد بكثير، أي أنه لم يوجد مسمّى قديمٌ للغة الجن الحالية، ولكنها اشتقّت من لغة أُخرى، إلى أن تمّ دمجها مع السنوات مع الآرامية، وأصبحت اللغة السريانية هي الأساس.

هناك أشياء لا نستطيع التساؤل حولها ولا حتى التشكيك بمعدنها، أسئلة لا توجد لها إجابات، وهذه النقطة تنطبقُ على سبب استخدام الجن لهذه اللغة بالذات، كُتب أن تكون الأساسية في أغراض الاستخدامات الروحانية.

يوجد أيضاً مغزىً هام في استخدام هذه اللغة بالتحديد، وهي البعد عن العالم الروحاني للذين لا يفقهون فيه شيئاً، فكم من شخصٍ قد قرأ بعضاً من حروف هذه اللغة دون أن يعلم ما مغزى الحروف، وأدخلَ نفسه في دوّامات لا تنتهي، هي نداءاتٌ مباشرة لعالم الجن، هي أشبه بالملك غير المحُصن، والذي يدخل في حربٍ وهو وحيدٌ ومعزول. نعم هناك عبارات في الكتب الروحانية لابد أن تُفهم قبل أن تُقرأ، لأن كل شيء في هذا العالم له حكمة وسر مدفون، فاللغة السريانية خُلقت لكي تكون جسر التواصل بين الجن والإنس، وبما أنَّ هذا العالم خفيٌّ عن مجموعة كبيرة من الناس، ومنهم من لا

يؤمنون به إطلاقاً، فقد اختيرت هذه اللغة الصعبة والمعقدة لحماية الجهلاء من الإبحار في عالمٍ ساحرٍ، ولكنّه في نفس الوقت مميت.

-45-

في أعلى الجبال المشتعلة، وفي وقتٍ متأخر من الليل، يجلسُ - صوصاف - مع الملك - قيراث - أمام الأخشاب المشتعلة بالنار، المكان تخيّم عليه السكينة والأمان، وكأنّ الموجودين هم آخر البشر المتبقّين على سطح الأرض. يقف الملك - ثانوه - بعيداً عنهما، مراقباً لهدوء هذا العالم، وأيضاً تحسباً لأي طارىء قد يخرج لهم من قبل الأعداء المتربصين بهم.

ينظر الملك - قيراث - إلى الصوصافي بمودة وحب، يبتسم له براحة كبيرة، يريد أن يشعره بأنه ليس وحيداً في هذا الاختبار الذي كُتب عليه، هو الآن ليس مخيّراً أبداً، بل مسيّراً من قبل الكون ومخططاته الغريبة.

نظرَ الصوصافي إلى الملك - ثانوه - الذي يقف بعيداً، استمرَّ يراقبه للحظات طويلة، إلى أن قطع أفكاره الملك الآخر الجالس بجانبه:

"هل الملك ثانوه يشغلُ تفكيرك يا صوصاف؟".

ابتسم الصوصافي، ربما شعر بالخجل لأنه لم يحس بنفسه وهو يراقب الملك الغاضب بطبعه:

"لا يشغل ذهني بطريقة سلبية، ولكني مستغرب جداً من عداوته غير المبررة، في بعض المرات أحس بأنه قد خُلق لكي يكرهني، وكأنَّ بيننا عداوة قديمة، أو أوراق لم تتم تصفيتُها بيننا. لقد صحوتُ ووجدتُ نفسي مرافقاً لاثنين من ملوك الجن، يقولانِ لي بأنني وريث الصوصاف، أي أنني وريثُ جميع الصوصافيين الموجودين حالياً في بلدة أرض الجنة، وهذا شيء لم أكن أتوقعه إطلاقاً، وكراهيته لي تزيد من توتري، أريده بجانبي، لا أريده أن يقف خلفي ويتربص بكل أخطائي غير المقصودة".

"عليك أن تفهم بأنّ الملك ثانوه لا يكرهك إطلاقاً، لن أكذب عليك أبداً يا صوصاف، هو لم يتوقع بأنك سوف تكون وريثاً للصوصافيين، و إذا أردتَ أن أكون صريحاً معك، فأنا لم

أتوقع هذا الشيء أيضاً، ولكنه قدرك ومكتوبك يا صديقي، والملك - ثانوه - يتعامل مع الجميع بهذه المزاجية. صدّقني بأنه طيب القلب، شهم، أخلاقه رفيعة. أعلمُ بأنك لا تفقهُ شيئاً عن ملوك الجن العلويين، ولكنه يحمل رتبة لا تُصدق، أنا نفسي أحلم بأن أصل إلى رتبته يوماً من الأيام، وحالياً أتشرف بالعمل معه لكي نوصلك إلى برّ الأمان، أرجوك أزلْ جميع هذه الوساوس من ذهنك، هو لا يكرهكَ، ولكنه يريدك أن تتشجع وأن تنجح في مهمتك. برهنْ له بأنكَ تستطيع أن تكون وريثَ الصوصافيين".

وكأنَّ حديث الملك هزَّ الصوصافي من داخله، شعر بطاقة غريبة دخلت إلى أقصى أعماق روحه، وضع يده فوق النيران لكي يحصل على آخر إحساس بالدفء قبل أن يباشر في عمله. نهضَ من مكانه، فالتفت الملك - قيراث - ناظراً إليه باستغراب، وقال للملك - ثانوه -:

"هيا بنا... أنا مستعد". ابتسمَ له الملك - ثانوه -، وبلمح البصر انتقلَ ثلاثتهم إلى الكهف من جديد.

جلس الصوصافي على الأرض، أمسك بالمبخر الذي أمامه ووضع حبات البخور فيه وأشعلها، انطلقت الرائحة في المكان، تغيرت ملامح ملكا الجن إلى الراحة والاستمتاع عندما بدأ البخور في الوصول إلى حواسهما.

أخرج صوصاف من جيبه قطعة قماشية مرسومٌ عليها قائمة كلمات روحانية خاصة بتحضير إحدى ملكات الجن الصالحات. كان سيبدأ بتلاوة القسم المنشود، ولكنه توقف وكأنه كان يبحث عن شيء. تقدَّم إليه الملك - ثانوه - بعينيهِ الثاقبتين، ومد يده إليه وأعطاه سبحة بيضاء اللون، طويلة نُقشَتْ عليها أحرفٌ لامعة:

"أظنّ بأنك ستحتاج هذه السبحة لكي تساعدك، وتكون شاهدة لك على أعمالك الروحانية".

رغم جمود الملك في حديثه، إلا أن الصوصافي شعر براحة نفسية، وكأنه قد تمَّ كسر الحواجز معه بطريقة مفاجئة. أخذ

السبحة وجلس مرة أُخرى في مكانه، وبدأ يهمس بالكلمات المطلوبة، ويستخدم سبحته لكي يعرف العدد الذي أنجزه من الذكر.

رفع القطعة القماشية فوق المبخر، بدأ يقلبها بكل اتجاهاتها إلى أن أوقعها داخل المبخر واحترقت، وخرج ضوء أصفر اللون اخترق جدار سقف الكهف، شعر الصوصافي بأنه يمشي في الطريق الصحيح، فأكمل قراءة الأذكار. كانَ الملك - قيراث - يرمق الملك - ثانوه - مبتسماً، وكأنه يقول له بأنه سوف ينجح. ارتفعَ صوت الصوصافي وهو يتلو قسمه الروحاني، بدأ التعب يظهر عليه، ولكنه قاوم، إلى أن سكت فجأة عندما شعر بحرارة تأتي من قدميهِ. أمسكَ قدميه خائفاً، صاحَ الملك - ثانوه - محذراً إيّاه:

"إياكَ والانشغال عن عملكَ، ما يحدث معك طبيعيٌّ، أكمل يا بني". ابتسمَ الملك - قيراث - وهو يرى صديقه الملك يشجع الصوصافي.

أكمل صوصاف القراءة، إلى أن سمع صوت تغريدٍ، لقد كان صوت هديل حمامة خرجت من المبخر الذي أمامه غير مبالية بالنيران المشتعلة، لونها أبيض لؤلؤي يسر الناظرين، صغيرة الحجم، ذات عيون خضراء وكبيرة، فجأة أجنحتها بدأت تكبر إلى أن غطت الكهف بأكمله، وتحولت هذه الحمامة إلى مخلوقة من ملكات الجن الجميلات.

صوصاف وقفَ على أرجله وهو في حضرة الملكة - عائشة - صاحبة البشرة الناعمة، والشعر الأصفر الطويل، والوجه الجميل اليوسفي، والشفاه الممتلئة والأسنان ناصعة البياض. استقبلت الصوصافي بابتسامة عريضة، ومن ثم حولت ناظريها إلى الملكين، وأنحنت لهما تقديراً قائلة:

"إنني أشعر بفخر كبير لوجودي برفقتكما أيها الملكان العظيمان".

بادلاها التحية بحركة من رأسيهما، التفتت إلى الصوصافي من جديد قائلة:

"لقد نجحت يا صوصاف في استحضاري، أنت في بداية الطريق، وكسبتني عوناً لك، إن كنت تريد مساعدتي في شيء فأنا أؤكد لك بأنني أسمعك وأراك طيلة اليوم، وإن كنت تريد اللقاء بي لأي سببٍ كان، فعليك ذكر قسمي مرة واحدة فقط، آمل أن تنجح في بقية مشوارك، أريدك أن تشعر بالقوة لأنك تمثل حزباً قوياً ونحن داعمونَ له منذ قديم الأزمان... حزب الصوصافيين".

تحولت إلى حمامة مرة أُخرى، وخرجت طائرة من الكهف بكل بساطة.

أمسك الملك - قيراث - بكتف صديقه الملك - ثانوه - ففهم مقصده، نظر الملك الجاد في ملاحة إلى صوصاف وقال:

"مباركٌ عليكَ يا فتى... لقد نجحت".

-46-

فتحت عيونها بصعوبة، شعرت بألم يغزو أنحاء جسدها النحيل، حاولت أن تحرك يديها ولكنها لم تستطع، لأنها أكتشفت بأنها مقيدة على إحدى الأشجار الطويلة جداً، في مكان يتضح لها بأنه غابة هادئة ومظلمة.

حركت يديها يميناً وشمالاً لكي تحرر نفسها ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل، بدأت تبكي ليس فقط من رهبة الموقف التي لا تعرف كيف وُضعت فيه، ولكنه الألم الذي يصرخ من أنحاء جسدها و لا يُحتمل، وكأنها قد تعرضت للتعذيب العنيف وهي فاقدة لوعيها.

فتحت فمها الجاف، تريد أن تصرخ، أن تستغيث بأحدهم، ولكن شعرت بأنها خرساء كلياً، بللت ريقها بلعابها، ومن ثم خرج صوتها على شكل آهات غير مسموعة، أول من فكرت فيه هو زوجها

-نهار- تمنت أن تراه الآن أمامها لكي ينقذها، ولكن (مانيلُ المطالب بالتمني)، فما تريده صعب تحقيقه، لأنها وجدت - ليلاً - يقف بعيداً عنها، ولكنها عرفتهُ من خلال ابتسامته الشريرة والخبيثة. اقترب منها بسرعة البرق وهو يطير، التصقَ بوجهها وبدأ يشمّها كالكلب:

"أشم بكِ رائحة الخوف، ترى أين ذهبت شجاعتكِ عندما وافقتِ على حرق منزلنا، وذبح والدتي الغالية؟".

بدأت - هاميس - تبكي بحرقة، مغلوبة على أمرها، لا تستطيع فعل شيء، وهي مكبلة على الشجرة، فصرخ - ليل - :

"أجيبيني... أنتِ التي تنحدرين من عائلة صوصافية، منذ سنوات ونحن نشعر بالقرف بسبب هتافاتكم الإنسانية، ترى أين الإنسانية منكِ عندما وافقتِ أخي على هذه الفعلة الشنعاء؟ ألست أنتِ ابنة كبير الصوصافيين... صوصاف الذي كانت نهايته حقيرة جداً".

وكأنَّ الخوف والألم قد تحوَّل إلى كرهٍ وغضب على وجه - هاميس - التي صرخت هي الأُخرى:

"إن كان أبي قد توفي بطريقة حقيرة، فأبوك قد وافته المنية بنفس الطريقة يا ساحر يا قذر".

ضحك الساحر - ليل - بطريقة مستفزة جداً، بدأ يدور حول الشجرة التي قيّدت إليها -هاميس- عنوة:

"لقد أعجبني ردكِ يا فتاة، هل نضجتِ أخيراً؟ تستطيعين أن تواجهي العالم الآن بشروره وقسوته؟ يا لوقاحتكِ، حتى الآن لم تعترفي بفعلتكِ السوداء، أنتِ تحملين في روحك صفات العالم السفلي، كما يحملها أخي المجنون نهار، وإلا لما أقدمتم على حرق المنزل، فهذه هي خطط الشيطان وأبنائه، أليس كذلك؟".

بدأت - هاميس - تتنفس بصعوبة، لقد سجن جسدها وربطه، وحاصر أفكارها، بل جعلها تشك في نقاء روحها، فقالت وهي تنظر إلى الأرض، وكأن النظر إلى وجهه يعتبر كابوساً:

"ماذا تريد مني الآن؟ تريد الانتقام؟ هيا اقتلني يا ليل، خذ روحي ودعنا نتساوى، أنا وافقت على أن تموت والدتك، وأنت ستوافق على إنهاء هذه العداوة بموتي".

نظر إليها مبتسماً، وضع يده على ذقنه مفكراً بطريقة ساخرة، وظهرت في عيونه علامات الشر والخبث:

"هذا الحل جميل... ولكنه لا يرضيني".

"لم أعد أهاب منك، لأنني لا أهاب الموت، أنا صوصافية يا ساحر، والموت مكتوب على البشر، ولو شاء الله أن يكون هذا آخر يومٍ لي، فسأموت وأنا مبتسمة، حتى لو ذبحني كلب مثلك".

"ردٌّ آخر يعجبني... أنتِ تستطيعين أن تُغضبي جميع الناس بحديثكِ، ولكن هذا لن ينفع معي، لطالما أُعجبت بك يا هاميس، رغم أنكِ تأتين من سلالة قذرة، وبالطبع أقصد بها الصوصافيين، ليتكِ وافقتِ على الزواج مني، لكان الحال مختلفاً جداً، فبدل أن تكوني معلقة على شجرة، لكنتِ نمتِ في أحضاني مدللة كالأميرات، لقد أحببتكِ... أظن ذلك".

نظرت إلى عينيهِ هذه المرة، وقالت بنبرة حادة:

"أنت لم تحبَّني ولن تحبَّني، أنت لا تحب أن يقال لك: لا! تريد أن تأخذ كل شيء، وأنا اخترت نهاراً لكي يكون خليلاً لي، وصدّقني لو عاد بي الزمن من جديد، فسأختاره مرة تلو الأخرى".

صفعها بقوة جاعلاً دماءها تسيل على الأرض بغزارة:

"أظن بأنني سأتراجع عن كلامي، أنتِ تستطيعين أن تغضبيني أنا أيضاً".

بصقت - هاميس - لعابها المدمّى على حذائه الأسود قائلة:

"قلت لك أنهِ هذا الموضوع، أنت لم تخطفني لكي تلقي عليَّ محاضرة مملة، تريد الانتقام؟ هيا خذ ما تريده واقتلني".

هزَّ - ليل - رأسه نافياً:

"القتل سيكون طريقاً سهلاً جداً يا عزيزتي، سوف أجعلكِ تذوقين المرارة، ستصلين إلى مرحلة أن تخافي من ظلك الذي يلاحقكِ، ظناً منكِ بأنه أنا، سأكون في جميع أحلامك وكوابيسك، وصدقيني الموضوع لن ينتهي بسلام، كما أحرقتم منزلنا، وذبحتم والدتي بدم بارد، سأفتح عليكم أبواب جهنم كلها".

تراجع بضع خطوات إلى الخلف وهو مديرٌ ظهره لهاميس، أغمض عينيه وبدأ يتلو قسماً شيطانياً أسود، دوت صرخة هزت الغابة وأشجارها، وفجأة... خرجت مجموعة من الجن المرعبين من تحت الأرض، وكأنهم فاكهة مزروعة تحت الأرض ونبتت، هيئتُهم الجسدية مربكة للعين البشرية، سواد بشرتهم يقشعر له البدن، اصطفوا أمام - هاميس - المربوطة إلى الشجرة، فأغمضت عينيها خوفاً من المشهد الذي تراه. همسَ الساحر - ليل - من جديد فتحرك الجن باتّجاه الشجرة. فتحت - هاميس - عينيها، شعرت بما سيأتيها، ولكن كذبت نفسها، وتمسكت بالأمل، ولكن ظنونها كانت صحيحة.

أنزلوها عن الشجرة عنوةً، ضربوها ضرباً مبرحاً، مزّقوا ثيابها، أصبحت كما خلقها الله للمرة الأُولى، انتهكوا حرمة

جسدها، عشرات من مخلوقات الجن يشاركونها جسدها دون رضاها، صرخت واستغاثت، ولكنَّ صوت ضحكات الساحر - ليل - كانت أعلى، وشماتته بها مرسومة بوضوح في نظرات عينيه المخيفة.

بعد أن انتهى الجن السفليون من فعلتهم وبأوامر من معلمهم الساحر، رجعوا إلى باطن الأرض مرة أخرى، مهمتهم قد انتهت.

بقيت - هاميس - ساقطة على الأرض وهي عارية أمام الساحر وأمام الغابة كلها، تحضن وتحمي نفسها... أو ما تبقى من نفسها.

مشى - ليل - بطريقة دائرية حولها، ينظر إلى كل تفاصيل جسدها العاري بطريقة خبيثة وقذرة:

"زوجك الحبيب محبوس في المنزل ولا يستطيع أن ينقذكِ، وأنا خدعتكِ وتلذذت بجسدك ليلة البارحة، والآن جعلت جميع أعواني السفليين يذوقون الشهد أيضاً، ترى ماهو شعورك وأنتِ ترين جسدك بهذا الرخص؟ إنّهُ يعكس شخصية صاحبته، أنتِ رخيصة جداً بسبب ما فعلتهِ برفقة أخي".

بحركة صادمة منه، أنزلَ بنطاله الأسود، وتبوّل على جسد - هاميس - بغرض أن يزرع في أعماق نفسها أقصى درجات الذل والمهانة. صرخت بأعلى صوتها، ولم تستطع أن تنهض وتقاتل، لأن روحها بالأصل قد ماتت.

رفع بنطاله من جديد، وأمسكها بقوة من شعرها، بصق على وجهها، وصرخ بغضب:

"أوصلي رسالتي إلى أخي الخائن، بأن اللعبة قد ابتدأت الآن، ولا داعي لإيصال الرسالة بالكلام والحروف، دعيه فقط يرى حالكِ... أو جسدكِ المنتهك من قبل جميع السفليين".

ضرب رأسها بالأرض بقوة إلى أن أغميَ عليها، وطار من المكان ضاحكاً.

صوصافيون

هل الدخول في عالم الروحانيات سهل جداً؟ هل الجميع يستطيعون أن يدرسوا ويمتلكوا مجموعة من الأبواب والطلاسم والأقسام، ويقرروا أن يفتحوا الأبواب وينعم بخيراتها؟

السؤال هذا حيَّر الكثيرين، رغم أنَّ كبراء الروحانيين قالوا بأنه من المستحيل أن يتم الموضوع بسهولة، ولكن مع السنوات خرجت لنا فئة أُخرى تكذّب المجموعة الأُولى.

عُرِفَ منذ القدم بأنَّ لكل تلميذ معلماً، وهذا المعلم هو من يأذن للروحاني بأن يدخل في العالم الصوصافي... ولكن كيف؟

كما علمنا بأنَّ العلم هو سر قد نزل على مجموعة من البشر الأخيار، وهنا نتكلم عن الصوصافيين و ليس عن الروحانيين السفليين، وهذا السر تمَّ توارثه من جيل إلى آخر، أي أن صاحب السر عنده الطريقة الصحيحة لدخول هذا العالم، وهذا السر يسمى بالـ "الإذن الروحاني ".

هل تستطيع أن تدخل مكاناً دون أن تستأذن؟ بالطبع لا ، حتى ولو بالقوة فسوف تخرج لا محالة.

الإذن الروحاني هو بركات تخرج من المعلم نفسه لتلميذه وباسمه بالتحديد، يعطي له الضوء الأخضر كي يتمرس بالروحانيات، و كي يكون له العين و الأذن، كي يساعده إذا وقع في المصاعب مع الجن، فالتعامل مع الجن، كاللعب مع النار، إن لم تستطع أن تتحكم بزمام الأمور فأنت هالك لا محالة، ونظرية الإذن الروحاني خرجت من المجموعة الأُولى التي ذكرناها.

ولكن مع تقدم العلم الروحاني، ومضي السنوات، أتت لنا المجموعة الثانية، وقالت: هي اجتهادات نفسية، بمعنى أنَّ أي شخص يستطيع أن يدخل العالم الروحاني بمجهوده، والإذن الروحاني يأخذه من بركات الأسماء التي يتلوها، وعن طريق هذه الأسماء، يُفتح له الباب الروحاني، ويكون معلم نفسه.

كثُرت الأقاويل عن موضوع الإذن الروحاني، والمختصر المفيد يكون ثابتاً، لو كُتب لك أن تكون صوصافياً، فلن تحتاج إلى معلمٍ كي يعطيك هذا الإذن، لأنَّ هذا العلم يأتي من أورادٍ روحانية مباركة، تقرّب الإنسان من كشف أسرار الدنيا وخباياها.

يقف ملكا الجان - ثانوه - و - ثيراث - على مدخل الكهف من الخارج، ينظرون إلى الأسفل، إلى الصوصافي وهو يسير حراً وطليقاً، يبتسم ويرفع يده عالياً، يشعر بأنه ليس أسيراً بعد الآن، كان ينظر إليه الملك - قيراث - مبتسماً، يشعر بالفرح لتعدل حاله، يرى بأنه تقبَّل المهمة الملقاة على عاتقه. أما الملك - ثانوه - فلم تعجبه تحركات - صوصاف - بكل بساطة.

"لماذا جعلتني أوافق أن يسير وحيداً دون رقابتنا؟". قالها - ثانوه - لصديقه.

"عليك أن تثق به ياصديقي، صدقني لو كنتَ تريد له النجاح، فعليك أن تمد له يدك، أنت رأيت حجم الفرحة عندما نجح في تحضير ملكة الجن، لقد ساعدته وأرشدته إلى الطريق الصحيح، رأيت السرور ينبعث من خلال جسده، إنه يريدكَ في صفه، فلا تكون قاسي القلب يا ثانوه".

وكأنَّ كلمات الملك - قيراث - لم تهز به شعرة، فقال غير مبالٍ:

"لم أستطع أن أحبّه، في كل مرة أراه فيها أتذكر شجرة عائلته بأكملها، وأنت تعلم بالعداوات التي بيننا وبينهم، إنهم مكروهون من العالم العلوي بأكمله، وما يقتلني من الداخل بأنني أعطيت كلمتي، رغم أني لم أفهم لماذا هو بالذات؟ لماذا وقعَ الاختيار عليه؟".

"هناك تساؤلات لا نعلم إجابتها، حتى ولو كنا ملوكاً للجن، وتمَّ اختيار صوصاف من قبل الشخص الذي تعرفه جيداً، والذي أعطيتَ كلمتك له، أنا لا أفهم لماذا أنت خائف بهذا الشكل؟".

احمرَّ وجه ملك الجن، وصرخ غاضباً:

"الملك ثانوه لا يخاف أو يهاب من شيء يا قيراث، اختر كلماتك بعناية تامة، لا تجعلني أضعك مع ذاك الصوصافي

في قائمتي السوداء".

ابتسم الملك - قيراث - محاولاً تخفيف حدة التوتر:

"أولاً: أنا لم أقل بأنك خائف من شيء، أنا أريدك أن تزيل جميع شكوكك نحو صوصاف، وثانياً: بالله عليك لا تضعني في تلك القائمة، لأنني لن أطيق صحبتنا إذا أصبحتْ قلوبنا مبعثرة. في الواقع أكاد أجزم أنك بدأت تحبني، رغم بدايتنا الصعبة، بما أنك لم تخترني لكي تنهي هذه المهمة، ولكن أنت تحبني.. قلها هيا... تحبني".

حاول الملك - ثانوه - ألّا يضحك من مرح صديقه، فغيَّر الموضوع بسرعة كبيرة:

"كيف يبدو الوضع في الجهة الأُخرى من المعركة؟".

"أنت تعلم بأننا خاسرون... إلى الآن".

"لا أفهم لماذا ننتظر هذا الهراء؟ باستطاعتنا أن نمحوهم جميعهم بلمح البصر، لماذا أعطينا كلمتنا بأن نبقى ضعفاء هكذا؟".

أخذ الملك - قيراث - نفساً عميق، ومن ثم قال:

"علينا كشف جميع الأوراق واحدة تلو الأُخرى لكي نحصل على جميع الإجابات، هناك حكمة من قبل صانع القرار، وأنا واثق تماماً بأن النهاية ستكون سعيدة، على الصوصافيين بالطبع".

وكأنَّ الملك - ثانوه - لم يعرف بماذا يجيب، هو نفسه يعلم بأنه معجب بشخصيته رغم صغر مرتبته في عالم الجن، ورغم أنهما لم يلتقيا من قبل، ولكنه دائماً ما يحجب مشاعره عن الجميع، فقال مدّعياً العصبية:

"إلى الآن أرى بأنَّ قرارنا خاطىء، و بأن نترك هذا الصوصافي وحيداً".

اقترب الملك - قيراث - منه وقال مبتسماً:

"هو تحت أعيننا، لا تخدع نفسك وتخدعني بأنه يستطيع الفرار، وأنا أعلم بأنك جعلت مجموعة من الجن يراقبونه...

أعرفك جيداً يا ثانوه". قالها ومشى بعيداً عنه.

ابتسمَ أخيراً الملك - ثانوه - رغماً عنه، وكانت ابتسامته مريحة بالنسبة له، لأنه لم يشاركها مع أحد.

-48-

الأرض تحاول أن تحملها وتفشل في ذلك، إنها تزحف بصعوبة وحالها مزرٍ وتبدو كالأموات، تقطف الزهور بيدها محاولة أن تتشبث بآخر أمل في تلك اللحظة، شريط حياتها قد مر عليها بسرعة قصوى، رأت جميع المواقف السعيدة والحزينة وهي على الأرض، هل هذه هي الليلة الأخيرة لها في الدنيا؟

جسدها بأكمله ظاهرٌ للعيان، لم تستطع أن تستر نفسها طوال رحلتها من الغابة إلى المنزل، قطرات الدم تلطخ وجهها، ورائحة البول تنبعث من شعرها الطويل، تزحف باكية، تحاول أن تصرخ وتستنجد بأحد، ولكنها لم تستطع أن تفتح فمها من هول صدمتها.

رفعت رأسها وظهر بريق الأمل من جديد، عندما رأت بأنها وصلت إلى ساحة المنزل، عيونها بدأت تُغلق بشكل لا إرادي، بدأت تحاول من جديد وتقاتل لكي لا تنتهي حياتها بهذا الشكل الأليم.

وضعت يدها على أولى عتبات الباب الخارجية، راحت تنظر إلى المدخل وكأنه الجنة، إنه الخلاص من همومها ومتاعبها، فتحت فمها لكي تنادي على من تريد أن تراه الآن، سال لعاب فمها دون أن يتحرك لسانها، شعرت بأنها مشلولة، روحها تسكن جسد قد وافته المنية.

ارتطم رأسها بعتبة السلم وخارت قواها، لم تعد تحتمل أن تُكمل مشوارها، فتحت عيونها مرة أُخرى على صوت فتح الباب، رفعت رأسها فزاد بكاؤها عندما رأت - نهاراً - يركض باتجاهها مرعوباً من حالتها!. أمسكها من يدها صارخاً بخوف:

"هاميس.. أينَ كنتِ؟، من فعل بكِ هذا؟ يا إلهي أنتِ تنزفين".

ركض إلى داخل المنزل، وجاء مرة أُخرى بغطاء كبير وأبيض، ستر جسد زوجته الذي انكشف للطبيعة بأكملها، وحملها وهو

يبكي على حالها ودخل إلى المنزل.

وضعها على الكنبة التي تتوسط غرفة المعيشة الصغيرة، جلب لها الماء، فسرعان ما شربته كاشفة عن جفاف قد صاب جسدها بأكمله.

"من فعل بكِ هذا؟ هل هو ليل؟ ذلك الحقير حبسني في البيت، هو من خطفكِ؟ تكلمي أرجوك، تكلمي فأنا لا أستطيع أن أراكِ بهذه الحال، لماذا الدماء تسيل منكِ؟ ولماذا أنتِ عارية بالكامل؟".

وضعت يدها على فمه وهي تبكي بحرقة، طالبة منهُ أن يسكت ويجعلها تغلق عيونها وتحظى بقليل من الراحة، هو الوحيد الذي كانت تريد أن تراه، وعندما تحققت هذه الأُمنية، شعرت ببعض الراحة والأمان، عرفت بأنها تستطيع أن تغيب عن الدنيا لساعات قليلة، تسترجع بها نفسها، و أي نفس هي التي قد بقيت لها؟ لقد سلبوها كلّ شيء إنساني.

ابتعد - نهار - عنها خطوتين إلى الخلف، إنه ينظر إليها بحسرة وبألم، صُدم لأنها قد غطت في سبات عميق بعد ثوانٍ من إغلاق عينيها. عرف بأنها منهارة جسدياً ومعنوياً، وضع يده على رأسه محاولاً أن يفكر، سقطت المزيد من دموعه، فقهر الرجال لا علاج له، خرج من البيت ووقف على الشرفة.

استيقظت - هاميس - عندما سمعته يصرخ بألم في الخارج:

"سوف أقتلكَ يا ليل، سوف أجعلك تندم على جميع ما فعلته يا حقير، يا ساحر يا نكرة، أَظهِر نفسك يا جبان، سوف اقتلكَ يا ليل!".

بكت - هاميس - وتمنت أن تموت في تلك اللحظة عندما رأت حالها وحال زوجها، لقد كانا ضعيفين جداً، و ما جعلها تبكي بحرقة أكبر عندما تذكرت جملة - ليل - الأخيرة:

"أوصلي رسالتي لأخي الخائن، بأن اللعبة قد ابتدأت الآن".

عرفت بأنَّها بالفعل هذه هي البداية، ولكنها تأكدت من بعد ما حدث، بأن النهاية سوف تكون مؤلمة جداً، وأنهما في عداد الموتى.

-49-

الرياح قوية وتكاد أن تقذف بجميع من يمشي على شاطىء البحر، المكان خالٍ، الوقت متأخر جداً، أمواج البحر وهي تتصاعد تكوّن صورة مرعبة لمحبّي هذا العالم الساحر.

إنهما يقفان في منتصف الشاطىء، ملكا الجان - ثانوه - و - قيراث - الأول يرفع يده باتجاه البحر، ويهمس بكلمات روحانية ذات سر لا يعرفه الكثيرون، يتحكم بأمواج البحر صعوداً ونزولاً، انتهى ورمق - قيراث - بنظرة وكأنه يستعرض قوته السحرية. ابتسم - قيراث - فرفع يده هو الآخر وشق البحر إلى نصفين، وجعله يطفو فوق سطح الأرض، بدون أن تتحكم به الجاذبية، تربة البحر أصبحت واضحة للعيان في مشهد خارق للطبيعة، وبإشارة واحدة منه هبطت قطرات البحر إلى الأسفل فارتطمت بالأرض بقوة مكوّنة بركاناً مائياً ارتفاعه مهول جداً.

"لا أظن بأنك جئتَ بي إلى هنا لكي نتحدى بعضنا". قالها - ثانوه -.

أمسك - قيراث - بصخرة صغيرة، وضعها في كفّ يده وأغلق عليها، ومن ثم فتح كفّه وتحولت إلى ثلاث صخرات ذهبية اللون، رماها باتجاه البحر، فانفجرت مطلقة ألواناً عديدة.

نظر إليه الملك - ثانوه - بضجر قائلاً:

"ولا أظن أيضاً بأني جئت إلى هنا لكي أحضر عرضاً للسيرك".

ابتسم الملك - قيراث - ومن ثم قال:

"أنت تعلم لماذا جعلتك تترك الصوصافي حبيس الكهف، و لماذا أتينا إلى هنا، أريد السر يا ثانوه، أريد أن أعرف ماذا جرى خلف الكواليس مع من أعطيته كلمتك".

نظر - ثانوه - إلى المدى البعيد قائلاً: "ولماذا تريد أن تعرف؟".

"لأننا معاً في هذه المهمة، وأنا كنت هادئاً تماماً رغم أني أجهل اتفاقك مع الشخص المعني، على العكس منك أنتَ

الذي كُشفت لك جميع الأوراق، ورغم ذلك لم تستطع التحكم بأعصابك".

"هات ما عندك يا قيراث، دون أن تلمّح بالكلام الذي لا يعجبني".

"قلت لك ما أريده... أريد أن أعرف ما الاتفاق الذي جرى بينك وبينه".

"ولكنه سر".

"سر ممنوع على الجميع ولكن ليس عليَّ أنا، فأنا رافقتك منذ البداية، وسوف أشهد النهاية معك، فلا يوجد بيننا أسرار".

"ما تريد أن تسمعه يحق لشخص ما أن يسمعه قبلك، ولن تعرف شيء إلا عندما أخبر الشخص نفسه بكل شيء".

نظر إليه الملك - قيراث - مستغرباً:

"ومن هو الشخص؟".

"بالطبع هو الصوصافي الذي ندربه حالياً، عندما يصل إلى آخر مرحلة سوف أخبره بكل شيء، وهذه هي شروط الشخص الذي ائتمنني على سر خطته".

ظهر القلق على وجه - قيراث - فوقف أمام وجه صديقه قائلاً:

"هل تثق بي؟".

وكأن هذا الحوار لا يعجب الملك - ثانوه - الذي تنهد متململاً:

"جوابي لن يغيّر شيئاً، سواءً وثقتُ بك أم لا، نحن في مهمة وعلينا أن ننهيها".

"إذن أنت لا تثق بي".

"لقد أجبتكَ على سؤالك وأفصحتُ عن سر الشخص المعني، فعليك أنت ألّا تثق بي، لأنني سوف أخون الأمانة، وأنا سيد الأمانة يا قيراث، هل فهمت الآن لماذا لا أستطيع أن أبوح لك بأي شيء؟".

أومأ -قيراث - برأسه موافقاً:

"نعم. .نعم. . حسناً سوف أنتظر تلك اللحظة التي أعرف فيها كل شيء".

"دعنا نرجع إلى الكهف الآن، حتى ولو كان الصوصافي محبوساً فأنا أحب أن تكون عيوني مسلطة عليه".

قالها، فطارا و اختفيا عن المكان، تاركين أمواج البحر الغاضبة تكمل ليلتها وحيدة.

-50-

في غرفة المعيشة نفسها، يخيم الهدوء على المكان رغم وجود الأرواح فيه، تجلس - هاميس - على الكنبة وهي تنظر إلى الأرض مكسورة، وكأنها تخجل أن ترى الدنيا بأكملها من بعد ما حدث لها، أمَّا - نهار - فكان يمشي في المنزل ذهاباً وإياباً، تارة ينظر إلى زوجته المسكينة، وتارة يفكر في حل يخرجهما من هذا الكابوس المرعب.

بدأت - هاميس - تبكي لأنها تذكرت مشهد أمس بكامل أحداثه، اقتربَ زوجها منها وجثا على ركبتيه جالساً عند أرجلها، أمسك بيديها بقوة، لدرجه أنه كادَ يعصرها من القهر الذي يشعر به وهو مكتوف الأيدي:

"سوف أنتقم لكِ يا هاميس، أنتِ الوردة التي دائماً ما أراها متفتحة، لا أريد أن أرى الذبول مرسوماً على هذا الوجه الملائكي، أعلم بأن ما حدث لكِ لا يستطيع أحدُ أن يتحمّلهُ، ولكن مهما طال الظلام، فمصير الشمس أن تشرق".

نظرت إلى عينيه، وانهمرت الدموع بغزارة أكبر:

"أشعر بأنني رخيصة جداً يا نهار، لقد هتكوا جسدي واحداً تلو الآخر، وفعلها ليل أيضاً عندما خدعني و ادّعى بأنه أنت، أريد الموت يا نهار، لا أستطيع أن أكمل هذه الحياة القاسية، ما يحدث الآن لا ذنب لي فيه، وليل قد بدأ في انتقامه، ولن يرتاح إلا عندما يدفننا بيديه".

"لن أسمح له بأن يقترب منكِ من جديد، لكِ وعدي يا هاميس".

"أنا أثق بك يا نهار، ولكن الغرور ليس خياراً جيداً في هذه الظروف، هو أقوى مني ومنك، ويمتلك جيشاً من الجن السفليين، يستطيعون أن يأخذوا أرواحنا بلمح البصر".

عرفَ - نهار - أنَّ كلام زوجته صحيح، ولكنه كان يتكلم بدافع من قهر الرجال الذي يشعر به، فالرجل يمكن أن يُكسر في اليوم ألف مرة ومرة، مقابل ألا يرى أحداً من أفراد عائلته

يعاني أو يمر في مشكلة، ونحن نتكلم هنا عن الرجال و ليس عن أشباه الرجال.

بعد لحظات من التفكير العميق، قال - نهار - معلناً عن خطته القادمة:

"علينا أن نجرب طقوس صديقي الصوصافي الذي ذهبتُ إليه قبل أيام، هو أعطاني تعويذة أعترف بأنها معقدة بعض الشيء، ولكنها ستبني سداً منيعاً يردّ كيد ليل وأتباعه".

"هل أنتَ واثق من هذا الصوصافي الذي تخبرني عنه؟".

"نعم نعم بالطبع، هو من الأخيار يا هاميس، ويعرف والدكِ رحمه الله، وعندما علم بأنكِ تعانين معي، أخرج لي سراً من أسرار الصوصافيين الأتقياء، وقال بأنه لا يعطيه لأي بشريٍّ كان، ولكن من يمس ابنة صوصاف الراحل، فهو يمس الصوصافيين جميعاً".

نظرت - هاميس - إلى الأعلى قائلة بحزن:

"ليت أبي صوصافاً موجود الآن، لكان العون لنا على ليل ومشاكله السفلية".

"أنا معكِ، فلو انطفأتِ سأضيئك، ولو حزنتِ سأدخل الفرح في أعماق قلبكِ، أنتِ زوجتي وحبيبتي، والزواج ليس مشاركة فقط في الأشياء الأساسية، ولكنه مشاركة الأرواح بعضها البعض، وأنا لن أترك روحكِ تضيع في شرّ هذا العالم، سأحميها وأطرد منها شرور وسموم من يفكر أن يؤذيكِ".

داعبتْ بيدها وجهها وهي مبتسمة، تريد أن تطرد الطاقة السلبية والحزن اللذين مرت بهما لكي تقف معه، فاليد الواحدة لا تصفق أبداً:

"إذن... ماذا تنتنظر؟ دعنا نبدأ بطقوس تعويذة الصوصافي".

"علينا أولاً أن نحضر بعض الأشياء الضرورية لكي ننجح في عملنا، و أعدكِ بأنّ ليلاً لن يستطيع أن يقترب من هذا المنزل بعد الآن".

"أتمنى ذلك يا نهار".



صوصافيون

زواج الإنس من الجن موجود ولكنه مرصود!

كثرت الأقاويل حول حقيقة الزواج بين الإنس والجن، إن كان موجوداً فعلاً أم أنها حكايات خيالية تتم روايتها في المجالس بغرض نشر أجواء الرعب، قبل أن نبدأ في سرد الحقائق التي تخلو من أية شائبة، هذا الزواج هو محرّمٌ في جميع الأديان والمذاهب، ولكنه ليس من ضرب الخيال، بل هو موجود ولكنه غير مكشوف للجميع.

عندما نريد التحدث عن الصوصافيين، فهم لا يشجعون على هذه الخطوة وتعتبر من أكبر الآثام في معتقداتهم وميولهم، ولن تجد أي صوصافي يستدعي ملكات الجن العلويات بغرض الزواج منهنّ، و حتى إن لم تكن ملكة، وإنما برتبة جنية عادية.

وفي اليد الأُخرى عندما نتحدث عن الروحانيين والذين يميلون إلى العالم السفلي، فهذا الزواج مباحٌ وشرطٌ أساسيٌّ في جميع أعمالهم، سواءً مع فتيات الجن العاديات، أو مع ملوكهن السفليين، وتأتي شرعيّة هذا الموضوع من أنَّ العالم السفلي تمشي عقاربه في درجات سلم الشيطان، بمعنى أنَّ أيّ شيء محظور أو حرام يرونه بأنه أساسي، وكل هذه القناعات فقط للتقرب من إبليس اللعين.

عندما يتم تحضير أيّة واحدة من فتيات الجن السفليين، فأول طلب يكون العلاقة الزوجية، بدون زواج رسمي، وهذا الشرط الإبليسي هو لإغراق الروحاني السفلي في أسفل درك الظلام، فعندما تزداد آثام وذنوب الإنسان، يتجه أكثر فأكثر إلى الخطيئة ويعشقها. فلو كان الروحاني السفلي يستطيع أن يطلب ما يريد، وزيادة على ذلك يحظى بعلاقة مع شخص لا يفضح أمره للبشر، فسرعان ما سيوافق دون تفكير.

أما بالنسبة للصوصافيين الأتقياء، فكما ذكرنا إنهم لا يستخدمون نفس الطريقة في تنفيذ أوامرهم لو كان الموضوع بيد إحدى ملكات الجن العلويات، في الأساس الملكة نفسها لن ترضى لأنها تبقى علوية، ولديها نفس تفكير الصوصافيين

الكرام.

نأتي إلى معلومات لم تُذكر من قبل إلا لقلة من الناس، وهي أن الزواج بين الإنس والجن يحمل علاقات تضادية واضحة للعيان من حيث مَن يطلب هذا الارتباط في الأساس، بمعنى أنه لو كان الروحاني السفلي هو من يريد الزواج بجنية، فهو سوف يوافق على جميع شروطها دون اعتراض، ويدخل نفسه في نفق الذل والمعاملة التي تكاد تصل إلى العبودية، إن اقترنَ بإحدى فتيات الجن السفليات برابطة الزواج، فإنه ستحرَّم عليه جميع فتيات آدم طالما عاش، ولن يستطيع حتى أن ينظر لامرأة نظرة إعجاب، لأنه في ذلك الوقت ستكون العواقب وخيمة جداً، زد على ذلك أنه سيكون خادماً لزوجته الجنية، يفعل ما تريده منه، وغالباً ما تكون طلباتها صعبة جداً، تغضب الرب، وترضي الشيطان.

ونأتي إلى الشق الآخر في الموضوع والذي يعتبر صدمة، لو حدث العكس لانقلبت جميع الشروط التي ذكرناها في الأعلى، أي أنه لو كان هناك فتاة من الجن السفليين أُعجبت بروحاني سفلي، وهذا يحدث كثيراً حتى للبشر الذين لا يسلكون الطريق الروحاني، وتواصلت معه وعرضت عليه الزواج، ومن الممكن أن يكون متزوجاً، فإنها سترضى بشروطه الخاصة، لأنها عاشقة له، لن يكون هناك ذل لكرامته، ولا انفصال عن زوجته، ولا طلبات تعجيزية، هي من سوف تتبعه وليس العكس، وهذا الشيء يحدث أحياناً وبدرجة نادرة مع الصوصافيين الأتقياء، بأن يحظوا بإعجاب من جنيات علويات، ويطلبنَ منهم الزواج.

الخلاصة في هذا الموضوع الذي يطول شرحه كثيراً: الزواج بين الإنس والجن موجود رغماً عن أنوف المكذبين، ولو طلب الروحاني ذلك فإنه سيشقى طوال عمره، و سيشقى كل من يرتبط بواحدة منهم، ولكن لو تم العشق من قبل الجنية نفسها فإنه سوف يحظى بعلاقة محرمة بالطبع، ولكنها ميسرة لأنه لم يطلبها من البداية.

-51-

عشر شمعات تتوسط الغرفة الصغيرة، إضاءة المنزل غائبة بالكامل، الباب مُقفل بالمفتاح، يوضع على الأرض غطاءٌ أبيض اللون وطويل. رائحة البخور الزكية تنتشر مشكلة صعوبة في الرؤية، بسبب إغلاق الشبابيك، يجلس - نهار - و - هاميس - على الأرض، يقرأ - نهار - القسم الخاص بالملك الذي سيحميهم من - ليل - وجماعته السفلية، وزوجته تراقبه بكل خوف وارتباك، لأول مرة تراه بهذا الوضع المريب، كأن روحه مفصولة عن جسده، هناك صندوق أسود اللون يُركن في زاوية الغرفة ويغطى بإحكام، كانت تنظر إليه - هاميس - بين الحين والآخر.

نهض - نهار - من مكانه وفتح الصندوق، وأخرج ثلاث دجاجات كبيرات الحجم، وضعها في المنتصف، لقد كانت على قيد الحياة، ولكنها وكأنها أصيبت بصاعقة جعلتها في حالة شلل! إنها تعويذة ألقاها - نهار - على الدجاجات لكي لا تهرب أو تسبب له المتاعب في هذه الجلسة الروحانية.

أمسك بسكينة حادة، وعيون زوجته لم تكن مرتاحة أبداً، ترادوها الشكوك والظنون حول ما سيقوم به، ذبح الدجاجات دون أن يتردد، وأخذ يرسم نجمة مميزة الشكل مستخدماً دماءهم، وضع بضع القطرات على جبهته، أمسك بواحدة من الدجاجات التي بلا رأس، ووضعها فوق المبخر الذي بدأ دخانه يزيد بطريقة مريبة، تمتم بكلمات غير مسموعة، تحرك أثاث الغرفة يميناً وشمالاً، ظهر الرعب على - هاميس - أغمضت عينيها لبضع ثوانٍ، وكأنها لا تستطيع أن تُكمل هذا المشهد غير الطبيعي.

أخذ قطرات من الدم مرة أُخرى، ووضعها على جبهة هاميس التي بدأت تبكي بصمت، ولكن زوجها لم يعرها أي اهتمام، كان تركيزه منصباً على نجاح هذا التحضير.

طلب من زوجته أن تبتعد قليلاً إلى الوراء، وسحب الغطاء الأبيض الموجود على أرض الغرفة، ووضعه فوق المبخر،

تحول لونه إلى الأسود الداكن، ومن ثم الأحمر الغزالي، إلى أن استقر إلى اللون الأصفر المشع، طار الغطاء في الهواء محترقاً، واختفى في الهواء تدريجياً.

جلس - نهار - من جديد على الأرض، يتلو قسَمهُ الروحاني. تقدمت - هاميس - نحوه، شعرت بأنه غير متزن، خافت من حدوث شيء يدخلهم في دوامة جديدة، وضعت يدها على كتفه، ولكنه أزاحها بقوة وبقسوة.

شعرت بالرعب من زوجها، وتراجعت من جديد، اهتزت أرض الغرفة مرة أُخرى، لم تستطع زوجته أن تستمر في النظر إلى ما يحدث، التفتت جهة المرايا المعلقة، فرأت خيالاً ينتقل بسرعة بين أنحاء الغرفة، صرخت بأعلى صوتها، التفت إلى زوجها، فنظر إليها بعيونه المتسعة، واضعاً إصبعه على فمه، طالباً منها بأن تصمت لكي ينجح في مهمته.

وبعد مرور ثوانٍ بسيطة، خرج صوت مدوٍّ من المبخر، وكأنها قنبلة وقد تم تفجيرها، وتحول لون البخور إلى نفس اللون الأخير الذي ظهر في الغطاء، الأصفر المشع، وماهي إلا لحظات حتى تشكل ملك الجني المطلوب.

بشرته صفراء تجلب الاشمئزاز، حليق الرأس، قصير القامة، عيونه جاحظة، وظهره أحدب، أسنانه سوداء بشعة، وبيده قطة حمراء اللون، عيونها واسعة كأنها بشرية متنكرة بجسد حيوانٍ، ذيلها طويل جداً يشبه ذيل الحصان، أنهارت - هاميس - وهي تنظر إليه، ولكنها تمالكت أعصابها بصعوبة، نهض - نهار - من مكانه باحترام:

"شكراً لك أيها الملك - خانون - لتلبية دعوتي والحضور لجلستي".

داعبَ ملك الجن قطته مبتسماً:

"إنه من دواعي سروري أن أكون هنا، يكفي بأنك ضحيت بثلاث دجاجات من أجلي، لقد كانت شهية جداً، آمل أن تكرمني بمثلها في المرات القادمة".

"إنه من دواعي سروري يا ملك الجن القوي، ولك ما طلبته،

ولكن أريد منك الحماية والوعد".

"أعلم بمشكلتك، وحلها بسيط جداً، سوف أحصّن منزلكم جيداً، أنا وقطتي". قالها فبدأت قطته بالمواء بصوتٍ تقشعر منه الأبدان، كاشفة عن أسنانها الحادة وناصعة البياض، وضعت - هاميس - يدها على أذنها، لأنها شعرت بأن المواء هز أركان روحها.

نظر ملك الجن إلى زوجة - نهار - وقال ضاحكاً:

"زوجتك ابنة الصوصاف المعروف لم تتحمل حضوري، إنها ضعيفة القلب، ولكني لا ألومها فالمشاكل التي تقع على عاتقكم ليست بالسهلة، لك مني الحماية والحصانة يا هذا".

"شكراً لك على هذا الكرم يا سيدي". قالها - نهار - فاختفى ملك الجن ضاحكاً.

أمسكت - هاميس - بطرف السرير محاولة ألاّ تسقط مغشياً عليها، لحق بها - نهار - وجعلها تستلقي، بدأت تأخذ أنفاسها بصعوبة كبيرة.

"ماذا بكِ يا هاميس؟". سألها - نهار-

"حضور هذا الملك أخذ الكثير من عافيتي، لم أشعر بهذا الإحساس من قبل، شعوري يقول لي بأن وجوده كان خطأً يا نهار، هل أنت تثق فيما تفعله؟".

"نعم بالطبع، فهو من حلول صديقي الصوصافي، وأنا أثق به تماماً".

"ولكن ما جرى غريب جداً، لم أعهد جلسة تحضير روحانية وبالذات صوصافية، يكون فيها ذبح وإسالة الدماء كما حدث، أنا غير مرتاحة إطلاقاً يا نهار، أرجوك لا تجعلنا ندخل في نفق مظلم من جديد".

"نحن فعلنا كما قيل لنا يا حبيبتي، وهو أقسمَ على تحصين المنزل وحمايتنا، الآن نستطيع أن نتحرك بحرية دون أن نفكر بليل ومخططاته، وهذا الشيء يجعلنا نسبقه بخطوة، والآن سنفكر بخطة لردع أخي وأتباعه السفليين".

سكتت - هاميس - غير مقتنعة بالطقوس التي شهدتها، ولكن أين الحلول الأُخرى التي تمتلكها؟ ستجعل كل شيء يمشي كما هو مكتوب لهُ، لعلها تجد الراحة والنهاية في حكاية انتقام - ليل - منهم.

يحدث الآن!

صخب شديد في المكان، جيش الدولة ينزل بأكمله إلى وسط ميدان بلدة أرض الجنة، عدد لا يستهان به من الناس يقفون في المنتصف وعلامات الغضب مرسومة على وجوههم. أصوات عالية تصيحُ معبّرة من الألم والظلم و تنتشر على مسامع الجميع، المنطقة بأكملها مطوقة بالكامل، وجميع أفراد الجيش يتسلحون جيداً لمواجهة تمرّد الشعب.

لافتات مرفوعة تشرح حال أفراد البلدة الآن، مكتوبة بحروف تترجم مشاعرهم الحالية:

"يكفي ظلماً".

"نريد أن نعيش بسلام".

"لابد أن ترجع الحكومة القديمة".

"نحن لسنا بصوصافيين ولسنا بسحرة، نحن بشر طبيعيّون".

"كفى خلافات سياسية حمقاء".

يحاول قائد الجيش أن يهدِّيء من هذا الغضب العارم من خلال الميكرفون، وهو يصرخ بأعلى صوته:

"هذه الأعمال مخالفة للدستور، لا تجبرونا على استخدام القوة، جميع مطالبكم سوف ندرسها، البلدة تمر بظروف سياسية صعبة، عليكم أن تتحلوا بالصبر وبالحكمة".

ولكنَّ كلماته لم تعالج جروحهم، فلقد سكتوا لفترة طويلة. أمسك أحد المارة بصخرة ورماها على أحد المتاجر. كسرَ الزجاج الأمامي له، وكأنه أعطى دفعة معنوية لجميع أفراد الشعب، فبدأت أعمال الشغب والدمار، أصوات تكسير أبواب المتاجر تصمّ الآذان، صرخات الناس المدوّية جعلت عناصر الجيش يتوترون ولا يعرفون كيف يتصرفون. تقدموا إلى أن وصلوا إلى الجنود الذين يرتدون الخوذات العسكرية، و في أياديهم أسلحتهم الطويلة، ولكنّ الشعب إن ثأر فلن يهاب شيئاً أبداً.

بدأ الجيش يتراجع، رغم أوامر المسؤول المباشر. تفاقمت

الخطورة أكثر، فبدأ الناس يلقون بالحجارة على رؤوس عناصر الجيش. في هذه اللحظة أمرَ قائد الجيش أن يطلقوا النيران في الهواء، ولكن الصدمة أنه لم يتحرك أي شخص و يهرب. لقد صمدَ الناس رغم كل شيء.

زاد حماس الشعب و شعر الناس بأنهم سوف ينتصرون على هذه القيادة السياسية الفاسدة، هم يريدون أن ترجع لهم مدينتهم الجميلة، بعيداً عن الأجواء المشحونة بالشر والتي بدأت منذ إعلان الحرب على الصوصافيين.

-52-

تنهض من نومها فجأة وهي تشهق، تكاد تشعر بأن قلبها سوف يخرج من مكانه، تحس ببرودة قارسة في المكان، وكأنها تسكن في القطب الشمالي المتجمد، التفتت حولها فلم تجد زوجها بجانبها، شعرت بالاستغراب، فقررت أن تنهض وتبحث عنه.

خرجت - هاميس - من غرفة نومها، هناك شيء غريب يسكن روحها، وكأنها مراقبة من شخص غير مرئي، تضع يدها على كامل جسدها وكأنها تحضن نفسها لكي تشعر بالأمان، علمت بأن زوجها ليس موجوداً في المنزل، ولم يأخذ هذا الأمر وقتاً طويلاً لتكتشفهُ، لأن المنزل صغيرٌ جداً. بدأت الشكوك تساورها، فكرت في ألف فكرة وفكرة، و جميع الأفكار نهاياتها لم تكن سعيدة إطلاقاً.

"تُرى إلى أين ذهب في هذا الوقت المتأخر من الليل؟". سألت نفسها بحيرة.

كانت سترجع مرة أُخرى إلى غرفة النوم، ولكنها سمعت همساً يأتي من خارج باب المنزل، ظنت بأنها تتوهم أو أنه قد غلبها الخوف كعادته، وجعلها تهلوس بأصوات غير واقعية.

مشت ببطء باتجاه الباب، وكأنها كانت تراقب شيئاً لا أحد يستطيع أن يراه، وقفت بجانب الباب لكي تتأكد مما تسمع، وبالفعل... لقد كان صوت زوجها - نهار- إنه يقف خارج المنزل على الشرفة، يتكلم مع شخصٍ لم تستطع - هاميس - أن تراه. استغربتْ في بادىء الأمر، ولكنَّ شيئاً ما بداخلها جعلها لا تريد أن تواجههُ الآن، قررت أن تحاول الاستماع إلى حواره مع الشخص الغريب، كان زوجها يقول بنبرة قاسية وغاضبة:

"أنتم أغبياء.. كيف لكم أن تتركوه يهرب؟".

ولكن لم يجبه أحدٌ إطلاقاً، أو هذا ما قد ظنّتهُ - هاميس - بدأ يتكلم مرة أُخرى:

"هذا الموضوع مرّت عليه فترة من الزمن، كيف لك ألّا

تخبرني بما حدث؟ هل تريدني أن أحرقك؟ هل تريد أن تذوق نار غضبي؟".

ومرة أُخرى لم تسمع -هاميس - أحداً يجيبه! شعرت بالقليل من الخوف والقلق، ترى هل جنّ جنون زوجها؟

قررت - هاميس - أن ترجع إلى غرفة النوم وأن تواجه زوجها لاحقاً، تحركت من مكانها ولكنها أسقطت علبة الماء الموضوعة بجانبها، شعرت بشلل تام بسبب الفزع الذي انتابَ قلبها، ساد الهدوء في الخارج، حاولت أن تلقي نظرة إلى الخارج، فرأت خيالاً أسودَ اللون يطير بسرعة كبيرة باتجاه السماء، في هذه اللحظة لم تستطع أن تقف في مكانها لمدة أطول، تحركت باتجاه الغرفة، ولكن سمعت الباب يُفتح ومن ثم يُغلق، وصوت زوجها - نهار - جعلها تقف في مكانها كالسارقة:

"هاميس!".

التفتت إليه، وكان حالها كحال الطفل الذي يسهر طوال الليل ويُكشف أمره من قبل والديه:

"ماذا تفعلين؟ لماذا تقفين هنا؟".

لوهلة كانت ستكذب، ولكن اقتنعت بأنها هي من يحق لها أن تحقق معه في وقفته في الخارج وليس العكس، اقتربت منه بملامح مشككة:

"السؤال هو: لماذا تقف في الخارج؟ ومع من كنت تتحدث؟".

ظهر التوتر والارتباك على وجه - نهار - فقال غاضباً:

"هل تتجسّسين عليَّ يا هاميس؟".

"لا تظلمني، ولكني صحوتُ ولم أجدكَ بجانبي، خفتُ عليك كثيراً، واستغربت وجودك في الخارج، ولكن الشيء الذي لا أفهمه هو حوارك الغريب مع شخص لم يكن موجوداً، ماذا كنتَ تفعل يا نهار؟.. تكلم".

أخذ - نهار - نفساً عميقاً، وبان عليه الحزن:

"كنتُ أتكلم مع أحد الجن الذي أحظى بخدمته منذ سنين طويلة، لقد أمرته أن يراقب ليلاً، ولكنه فرّ منهُ، لا أحد يستطيع أن يعرف مكانه، وهذا ما جعلني أغضب منه كثيراً".

كانت - هاميس - تحاول أن تدرس تعابير وجه زوجها، شعرت بأنه يكذب في أمر ما.

"ولماذا لم تخبرني عن هذا الشيء؟ هل اجتماعك مع صديقك الجني سرٌّ؟".

"لم أرغب أن أشعركِ بالقلق، فما حدث معكِ لا يتحمله أي إنسان على هذه الكرة الأرضية".

"ولكني لم أسمع صوته إطلاقاً، هل أنت واثق أنك كنتَ تتحدث مع أحد؟".

نظر إليها - نهار - وكأنه بدأ يغضب من جديد:

"هل تظنين بأنني فقدتُ صوابي يا هاميس؟ بالطبع لن تستطيعي أن تسمعيه لأنه خادمي أنا، أنا من يستطيع أن يراه ويتواصل معه، هل نسيتِ جميع طقوس عالم الجن؟".

صدقته... ولكن من أعماق قلبها. كانت تريد أن تناقشه أكثر وتحاول أن تعرف إن كان صادقاً، أو بالفعل يمر بمرحلة عصيبة وبدأ يتخيل أشخاصاً غير موجودين، ولكنها قالت مواسية لهُ:

"حسناً يا حبيبي، سوف يجدونه، فهو لن يستطيع أن يختفي عن الجميع، دعنا نذهب للنوم".

ابتسمَ لها بسخاء، و أمسكَ يدها ودخلا إلى غرفة النوم، ومن ثم إلى السرير، و أطفأ النور في المكان، والغريب بأن - نهاراً - دخل في عالم أحلامه سريعاً، وكأنّه كان مرهقاً جداً، ولكن ظلت

- هاميس - مستيقظة تفكر في الكثير من الأشياء، هل جنّ جنون زوجها؟ هل هذه لعبة جديدة من أخيه - ليل- ؟ ومتى سوف ينتهي هذا الكابوس المقزز؟ وفي ختام سلسلة أفكارها كان لابد من أن تتذكر أباها، وتتحسر على عدم وجوده. إنها تحب والديها بالتساوي، وتشتاق إلى والدتها أيضاً، ولكنها

كبرت مع أبيها وتعلمت الصوصافية معه، وتعلم بأنه لو كان موجوداً لاختلفَ الأمر كثيراً.

أغمضت عينيها محاولة أن تنام، ولكنها فجأة فتحتهما من جديد على أقصى اتساع، شعرت بألم كبير يسري في كامل جسدها جعلها تعيش حالة شللٍ تام، إنها تشعر بكل شيء لكنها لا تستطيع أن تحرك أية عضلة في جسدها. حاولت أن تلتفت إلى زوجها النائم ولم تستطع، حتى فمها لم يسعفها لكي تصرخ بأعلى صوتها، بدأت تسمع همسات داخل أذنها، كلمات غير مفهومة، ضحكات مرعبة، واشتدت أجواء الغرفة برودة، تحركت عيونها يميناً وشمالاً ولكنها لم ترَ شيئاً إطلاقاً.

بدأ شيء يزحف من تحت غطاء السرير، عيونها تنثر دموعاً غزيرة، تحاول أن تتحرك ولكنها تفشل في كل مرة، كبر الشيء وأحست بثقل على جسدها، أصبح يتحرك ويرتفع أكثر فأكثر، إلى أن وصل إلى جسدها، شعرت بيد تلامس جميع أنحاء جسدها، وفجأة خرج - ليل - من تحت الغطاء إلى أن وضع رأسه مقابل رأسها النائم. اتسعت عينيها دهشة وصدمة، بكت أكثر بصوت غير مسموع، كانت تحاول أن تركل زوجها النائم لينهض و ينقذها ولكنها لم تستطع. ابتسم لها - ليل - بخبث وهمس في أذنها:

"هل فعلاً توقعتِ بأنني لن أستطيع أن أصل إليكِ؟ هل وضعتِ إيمانكِ التام في ذلك الصوصافي الذي ذهب أخي التعيس لزيارته؟ إنه ميت يا هاميس، نعم، نعم لقد ذبحته قبل أن آتي إلى هنا وفككت تعويذته الحمقاء، لن تستطيعي أن تختبئي مني إطلاقاً، وسأعذبكِ بحضوري المفاجىء، وسأذبح أخي في نهاية المطاف، ولكن ليس قبل أن أتسلى بكما قليلاً، أنتِ مشلولة الآن، وأخي لا يستطيع أن يسمعني، لقد أدخلته في غيبوبة مؤقتة، دعينا نحظى بقليل من المرح".

قالها وسقط لعابه من فمه على وجه هاميس الباكية، اندسَّ مرة أخرى تحت الغطاء، وبدأ يتحسس جسدها ثانيةً. أغلقت عيونها فجأة، حاولت أن تكون قوية جداً، تذكرت والدها الصوصافي، سمعت نبرات صوته ولم تكن تعرف إن كانت

حقيقية أم خيالية، لقد كان يطالبها بالقتال، فجأة شعرت بقوة خفية تسري في أنحاء جسدها، صرخت بأعلى صوتها، وتحرر جسدها من تعويذة الشلل، نهض زوجها - نهار- مرعوباً، علا صوت بكائها، فأخذها بحضنه قائلاً بخوف وفزع:

"ماذا بكِ يا هاميس؟ ماذا جرى؟ هل راودكِ كابوس آخر؟".

"لقد كان هنا يا نهار، أخوك ليل كان يحاول أن يعذبني مرة أُخرى".

نهضَ من سريره باحثاً في كل مكان، ولكنها أوقفته قائلة:

"لقد طردتهُ من المكان، ولا تسألني كيف؟ لأنني لا أعرف! تذكرت أبي، وشعرت بقوة هائلة جعلتني أهزمه. لقد قال لي بأنه قد ذبحَ صديقك الصوصافي يا نهار، أشعر بأن جسدي ممسوسٌ به، وكأنه يعيش في أعماقي، أنا خائفة جداً، أريد هذا الكابوس أن ينتهي أرجوك".

وكعادة - نهار - المغلوب على أمره، شعر بغضب شديد، مشى في الغرفة مفكراً، رأى المرآة المعلقة، فضربها بقوة وكسرها، ونزفت يده وتلطّخت الأرض بدمائه.

صوصافيون

في كل بقعة في الأرض، وفي كل دولة هناك مناصب كثيرة لجميع الناس، سواءً أكانوا ممّن يمسكون زمام أمور الدولة، أو من أعضاء الحكومة نفسها، أو من الموظفين العاديين. وهذا الأمر ينطبق على عالم الجن، هناك مناصبٌ ورتبٌ كثيرة للجن أجمعين، وسوف نتكلم عن الجن العلويين فقط.

في العالم الجني توجد أعلى رتبة لأفراد الجن وتسمى برتبة - الملوك - وهذه الفئة لا يتعامل معها سوى المتمرسين في عالم الصوصافيين، كبراء الشيوخ الذين يعلمون العديد من التلاميذ المتصوصفين، لأنَّ الملوك أقوياء جداً، وحضورهم له هيبة كبيرة من الممكن أن توقف قلب أي إنسان لا يملك العزيمة الكافية.

وتليهم رتبة - الأعوان - و - الأمراء - و - الوزراء - و- كبار الحراس - وهذه الفئة يتعامل أفرادها مع الصوصافي الذي يستطيع أن يسير في دربه دون مساعدة معلمه، أي أنه يعرف قوانين هذا العالم وما يجوز ومالا يجوز.

وتأتي المرتبة الأخيرة وهي رتبة - الخدام - و تضم كل مخلوقات الجن العاديين من الجانب العلوي، الذين من الممكن أن يستدعيهم أي صوصافي ويحظى بخدماتهم دون مشقة، لأنهم سلسونَ جداً، عكس الجن أصحاب المناصب و الرتب العالية.

و بعدما ذكرنا بعض رتب الجن، نستنتج شيئاً لا شكّ في صحته، و هو أنّ العالم الإنسي مشابه بشكل كبير للعالم الجني، جميعنا نعيش في هذا الكون، لدينا من يعمل ولديهم من يشغل وظيفة، لدينا مسميات ومناصب، ولديهم مثلها. نحن نكمّل بعضنا في هذا الكوكب، ولكن هم يروننا، ونحن من نطلب رؤيتهم.

-53-

صراخ يملأ المكان، حركة غريبة تزلزل أرض المنزل بأكمله، مشت - هاميس - من صالة المعيشة إلى غرفة النوم وهي مصدومة مما تسمعه، فتحت الباب ببطء، فرأت زوجها - نهاراً - يُطلق البخور الروحاني في المكان، ويدور حوله بشكل دائري، جسده تغطيه قطرات دم أحد الحيوانات المقتولة من قبله، والملقاة على الأرض دون رحمة. تجمدت في مكانها وهي تراه كالمجنون يدور ويدور في نفس الصورة، كانت تريد أن تناديه، ولكنها لزمت الصمت إلى أن زادت حالته الغريبة، وبدأ يصرخ وهو يمسك بأحد الحيوانات ويمسح دمه على جسده:

"آمركَ أيها الملك الجني أن تحضر إلى مجلسي الآن، وإلا أنزلتُ عليك غضبي وسخطي، لقد أهديتك هذه الدماء لكي تحضر، لا تتأخر في جوابك... أنا آمرك الآن".

تقدمت إليه بعيون مبهورة ومصدومة! وقفت أمامه ولكن كأنه لم يشعر بها أو يرَها. أكملَ في دورانه وصراخه:

"نهار... نهار!". نادت عليه ولكنه لم يجبها، و تابعَ طقوسه الغريبة، أمسكته من يده قائلة:

"ماذا بكَ يا نهار".

أبعد يدها بقوة وأسقطها على الأرض غاضباً وصرخ:

"ألا ترين أنني وسط جلسة تحضير يا غبية؟ اغربي عن وجهي حالاً".

أكمل ما يفعله وتركها تتألم على الأرض وهي مذهولة! نهضت بصعوبة وأخذت كأس الماء الذي كان موضوعاً على الطاولة الصغيرة، و رشقت محتواه على البخور فانطفأ. توقف - نهار - عن الدوران أخيراً، ونظر إلى زوجته بغضب واضح، كادت عيونه أن تخرج من مكانها. وجهها كان مرعباً جداً مع قطرات الدماء المنتشرة حوله. ركّز نظراته في عينيْ زوجته ومن ثم ضربها على وجهها بكل قسوة قائلاً:

"كيف لكِ أن تتجرّئي وتُطفئي بخّوري يا بلهاء؟، عليكِ اللعنة".

مسّدت - هاميس -خدها مصدومة، كانت ستعاتب وتسأل وتعرف عن سبب تحول زوجها المفاجىء. شعرت نحوهُ بمشاعر غريبة ولكنها كانت ممزوجة بالرعب والخوف، وكأنها لم تعد تعرفه، فخرجت من الغرفة مسرعة إلى غرفة المعيشة.

جلست على الأريكة تبكي وتفكر. ترى ما الذي قلبَ حال - نهار - بهذه الصورة؟ هل هو ممسوسٌ من قبل الجن؟ هل أخوه - ليل - خلف تصرفاته الغريبة؟

نظرت إلى باب المنزل تارة، وإلى غرفة النوم تارة أخرى، ونهضت من مكانها ووضعت يدها على مقبض الباب الرئيسي لفتحه، ولكنها توقفت عندما سمعت صوته:

"أنا آسف يا هاميس". التفتت إليه باكية، فرأته بعيون حزينة ونادمة، اقترب منها قائلاً:

"إلى أين ستذهبين؟".

لم ترغب في أن ترى وجهه، فأعطته ظهرها قائلة بحزن:

"أنا لم أعد أعرف من أنت، حالك غريب جداً، أظنك ممسوسٌ يا نهار، وأنا أريد المغادرة، لا أريد المكوث معك، إن كان أخوك ليل هو من يؤثر عليك وعلى تصرفاتك، وإن كان سيقتلنا في النهاية، فلماذا أموت هنا؟ أريد أن أرجع إلى منزلي، إلى مدينة أرض جنة الصوصافيون، دعهم يدفنوني هناك من بعد أن يأخذ ليل ما يريده، أنا حقاً لا أريد أن أعيش بعد الآن".

ظهرت الصدمة على وجه - نهار -، لم يصدق هذه الكلمات الخارجة من فم زوجته، واجهها وقبَّل رأسها ويدها بكل حب واحترام:

"أولاً، أنا آسف على ما فعلتهُ، أعلم بأنها المرة الأُولى التي أضربكِ فيها، ولكني لم أكن أشعر بنفسي، وكأن هناك قوى تتحكم بي، ربما كان بسبب الملك الذي أريد تحضيره لكي يحمينا من...".

قاطعته - هاميس - غاضبة:



"يحمينا.. يحمينا، لقد سئمتُ من هذه الكلمة، منذ متى والجن يحموننا يا نهار؟ الحماية تأتي من الرب فقط، هل نسيت ذلك؟ لم أتذكر يوماً أنني أرغمتك على اتّباع علم الصوصافيين، أنت مَن أحببته من تلقاء نفسك، وتعلم بأنه بدون الله لا يوجد أمان ولا بركة، لا نحتاج الجن للحماية في هذه الظروف، إن كنت تريد رأيي فإننا نعيش حالياً تحت رحمة أخيكَ ليل، وهذا لم أعهده من قبل. أنا هاميس ابنة صوصاف الكبير، كيف لي أن أبقى مختبئة كالفأر؟ أريد أن أعود إلى بلدتنا ولن أغير رأيي أبداً".

"حسناً... حسناً، أرجوكِ اسمعيني، فقط دعينا نرتب بعض الأمور ومن ثم نذهب سوياً، لن أتركِكِ تذهبين لوحدكِ، هل نسيتِ بأنّ أرواحنا مترابطة؟ ولا يوجد شيء يجعلنا نفترق أبداً؟".

لم تقتنع - هاميس - بكلام زوجها، ولكنها قررت أن تتنازل قليلاً، هزت رأسها إيجاباً، ابتسم زوجها قائلاً:

"أريد أن أعطيكِ شيئاً، انتظريني". قالها مبتسماً وفرحاً.

ذهبَ، وماهي إلا ثوانٍ حتى رجع وبيده كأسٌ به سائل غريب اللون، أعطاه لزوجته المستغربة:

"ما هذا؟ رائحة مقرفة جداً". قالتها - هاميس -

"أريدكِ أن تشربيه، هذه وصفة جلبتها من إحدى الكتب الصوصافية التي أملكها، هي حراسة لكِ يا عزيزتي، لقد شربتُ حصتي، وأريدك أن تتحصّني به".

ترددتْ كثيراً ولكنها شربت القليل منه، وسرعان ما بصقتهُ من فمها، وبدأت تسعل بطريقة مخيفة، نظرت إلى زوجها بغضب:

"ما هذا الذي أعطيتني إياه؟". نظر إليها باستغراب قائلاً:

"إنه مزيج من النباتات النادرة والمخلوطة ببراز القطط الإناث، التي تكون عذراء غير متزوجة".

اتسعت عيون زوجته صدمة، وصرخت غاضبة:

"هل جننتَ يا نهار؟ لماذا تريدني أن أشرب هذا المشروب المقرف؟ يا إلهي سوف أجنُّ منك! كيف لا تشعر بأنك قد تغيرتَ؟ لقد استحوذ عليك أخوك ليل، أنا لا أستطيع حتى أن أجلس معك لخمس دقائق، أرجوك ابتعد عني".

قالتها وذهبت إلى غرفة النوم وأغلقت الباب بقوة، تاركة زوجها - نهاراً - وحيداً في غرفة المعيشة.

-54-

دخل الملك - ثانوه - إلى الكهف وصُدم مما رآه! الصوصافي يجلس في المنتصف وأمامه مبخرةُ الروحاني الذي يبعث أذكى روائح عالم الروحانيات، وأمامه ملكٌ معروف من ملوك الجن يُعرف باسم - أبي المعارف- هذا الجن له صيتٌ لدى جميع مخلوقات الأرض الإنسية والجنية، يشتهر بامتلاكه معلومات كثيرة عن جميع الكواكب والمجرات وأسرارها، يستطيع أن يرشدك إلى أيّ طريق تريده، سواءً بالعلاج أو بتقوية الروح والروحانية، أو بأمور الحياة والدنيا، أي أنه باستطاعة أي روحاني أن يستشيره في كل مجالات الحياة الدنيوية وفي عالم الماورائيات الروحانية، دائماً ما يدخل الملك -أبو المعارف - على من يطلبه وبيده كتابٌ جلدي أبيض اللون، سميكٌ جداً، من يراه يتأكد بأنَّ وزنه ليس بالخفيف، ولكنه يحمله بكل راحة وهدوء. ابتسامة الملك لا تفارقه أبداً، فوجهه تلوح منه سماحة تدخل مباشرة إلى القلب، شعره قصير وأبيض اللون، وطوله متوسط، وعلى جبهته علامة مربعة صفراء اللون، تشع بطريقة جميلة، إنها كالنجمة الساطعة، لم يعرف أحد ما سرها إلى يومنا الحالي. قيلَ بأنَّ جميع المعلومات التي يعرفها -أبو المعارف - متمركزة في منتصف جبهته، وتحديداً في المربع الأصفر.

كان الصوصافي يتحدث مع - أبي المعارف - بود واحترام، ويبدو بأنه يقضي وقتاً ممتعاً معه، عندما شعرا بدخول الملك - ثانوه - توقفا عن الحديث. نهض الملك - أبو المعارف - تقديراً واحتراماً للملك الآخر الذي يكبره بسنوات وبخبرة ليس بالقليلة. انحنى له بطريقة كلاسيكية لكي يريه مدى احترامه له، أنزل رأسه بكل تهذيب قائلاً:

"وقتي الآن قد نفدَ، أرجو المعذرة منكما، عليَّ أن أرحل". قالها واختفى مبتسماً.

جلس الملك - ثانوه - أمام الصوصافي، الذي كان يريد أن يطفيء البخور، ولكن الملك منعه قائلاً:

"لا،لا . . . اتركه، فرائحتهُ طيبة جداً".

شعر الوصافي بارتباك كبير في حضرة - ثانوه - فهو لم يعتد أن يجلس معه وحيداً، هيبة الملك كفيلة بأن تجعله يعرف كيف يتصرف أو ماذا يقول، وكأن حروف اللغة العربية أصبحت صعبة جداً عليه.

نظر الملك - ثانوه- إلى الصوصافي نظرات منبهرة:

"بصراحة لم أتوقع بأن أجدك مع أحد الملوك الصالحين يا صوصاف، ولا أقصد بأنك لا تهوى العالم العلوي، ولكنَّ الملك أبا المعارف من الصعب أن تستدعيه لجلستك، هو طيب الذكر والأخلاق، ولا يريد أن يرد أحداً خائباً أبداً، ولكنه مشغولٌ جداً طوال حياته، ولا يختلي بنفسه في اليوم الواحد إلا لكي ينام ويحظى بقسط من النوم. عندما رأيتكَ تجلس معه، عرفتُ بأنك تتطور يوماً بعد يوم، أنا فخورٌ بك يابنيّ".

اتسعت عيون الصوصافي دهشة من مديح الملك له، فتح فمه كالأبله دون أن ينطق بشيء، فزجره الملك بعصبية:

"لا تتركني أتكلّم لوحدي كالمجنون، انطقْ يا صوصاف".

"أنا آسف. . . آسف، ولكنَّ مديحكَ لي شيء لم أعهده من قبل، وهذا الشيء يسعدني بالتأكيد، أنا أجتهد يومياً كما طلبتم مني، لعلي أصل إلى نهاية هذا الموضوع، وترتاح روحي عندما أعرف باقي تفاصيل هذه المهمة".

تنهّد ملك الجن، وكأنه لم يعجبه ما قاله الصوصافي:

"دائماً ابن أدم يبدو عجولاً بطبعه، يريد أن يعرف كل شيء في نفس اللحظة".

"التفكير في المستقبل يا ثانوه، كمرض السرطان، ينتشر في جسدك دون رحمة، وأنا أعلم بأن المؤمن دائماً ما يجعل حياته بيد الله، ويؤمن بأنَّ ربه سيكتب له الأفضل، ولكننا في النهاية بشرٌ، والتفكير شيء من صفاتنا الطبيعية".

"ما الذي تريد أن تقوله يا صوصاف؟ دون أن تلقي علينا بهذه الألغاز".

"أريد أن أعرف جميع الأسرار التي خُبّئت عني، أريدكَ أن تفتح لي قلبك يا ملك الملوك، أنا أشعر بالتعب، من الطقوس الصوصافية التي أمارسها طوال يومي، وحتى في وقت راحتي، أجد نفسي منهكاً من التفكير والأرق وضياع راحة البال".

"الأسرار التي تريد أن تعرفها ستُكشف قريباً، وهذا وعدٌ مني أيها الصوصافي، ولكن لو كنت تريد أن ترتب الأحرف الأبجدية، فعليك أن تبدأ بحرف الألف، لا يجوز لك أن تقفز إلى حرف الياء، هل فهمت ما أعنيه؟".

رغم أنّ كلام الملك كان واضحاً، ولكن الصوصافي شعر بأنه يريد المزيد من الأجوبة.

"أنا أفهمك يا ثانوه، ولكن أرجوك لمّح لي إذا استطعتَ، هل وصلنا إلى النهاية؟".

"النهاية قريبة، ولكنّ الوصول إلى النهاية له غاية هامّة، وهي أن تبدأ البداية من تلك النهاية".

"من الذي يتكلم بالألغاز الآن؟". ابتسم الملك ثانوه لأول مرة في وجه الصوصافي قائلاً:

"عليك أن تنجز بعض المهمات، لكي تحظى بالسر الكبير يا صوصاف".

نظر إلى الصوصافي بكل استغراب:

"وماهو هذا السر.".

"أنا". قالها الملك مبتسماً.

-55-

فتحت عيونها فجأة، التفتت إلى يمينها فوجدت زوجها نائماً وسطَ أحلامه. نهضت - هاميس - من سريرها خلسة، مشت على أطراف أصابعها بخطوات حذرة وهادئة، فتحت الدولاب وأخرجت منه حقيبتها الصغيرة، كانت تنوي أن تهرب من المنزل دون أن يشعر بها - نهار -.

فتحت باب الغرفة وأصدرَ صريراً مزعجاً، انتابها القلق والخوف، التفتت إلى زوجها فتأكدت بأنه لم يشعر بها إطلاقاً.

خرجت من الغرفة ومع كل خطوة تخطوها، كانت تشعر بأن روحها سوف تخرج من مكانها، لم تتوقع يوماً أن تهرب من - نهار - أو من المنزل الذي يجمعهما سوياً، ولكن ما تمر به معه، شيء يفوق القدرة البشرية على التحمل. هي تشعر بأن زوجها قد مسّه شيطان أخيهِ - ليل - و متأكدة بأنه متغير الحال، ولم يعد ذاك النهار الذي تعرفه.

وصلت إلى باب المنزل، وضعت يدها المرتجفة محاولة أن تفتحه، ولكنه كان مقفلاً، صُدمت من هذا الأمر! لأنهما لم يوصدا الباب من قبل، كان مفتوحاً طوال الوقت، حاولت مرة أخرى دون جدوى، فتجمدت في مكانها حين سمعت صوته يأتي من الخلف:

"إلى أين ستهربين يا هاميس؟ تريدين أن تتركيني وحيداً".

التفتت إليه بجسدها المرتعش، ولكن قررت أن تواجهه وتكسب هذه المعركة:

"لماذا الباب موصدٌ؟ أرجوك افتحه حالاً".

ظهر الحزن والقلق على وجه زوجها، فاقترب منها خطوتين قائلاً:

"إلى أين ستذهبين يا هاميس؟ ما الذي جرى لنا؟ لماذا نبتعد بهذا الشكل المقرف؟".

"أريد أن أخرج يا نهار، سأرحل إلى مدينة أرض جنة الصوصافيون، لا أريد أن أعيش معك بعد اليوم، لقد

تغيرت... تغيرت كثيراً، ولا تريدني أن أساعدك، أنا متأكدة بأن هناك من يستحوذ على عقلك، كنت أراك كالملاك المحلق في السماوات العالية، والآن أراك تميل إلى العالم الشيطاني، أنا خائفة منك يا نهار، ولا أستطيع أن أنام معك في نفس السرير وتحت نفس السقف، أرجوك دعني أرحل".

"كيف تريدينني أن أدعكِ ترحلين بهذه البساطة؟ في البداية أنا لم أحبسكِ يا هاميس، ولا يحق لي أن أفعل ذلك، ولكن انظري إلى وجهي جيداً، أنا حبيبكِ وزوجك نهار، أنا الذي وعدته بألّا تتركيه أبداً، كيف لكِ أن تخلفي بوعودكِ".

وكأنه لعبَ على وترها الحساس، بانَ التعاطف على ملامح وجهها، و سقطت من عينيها بعض الدموع، ولكنها أصرت على موقفها قائلة:

"لن أهجرك طويلاً، ولكني أريد أن أرحل من هذا المكان، لم أرَ فيه شيئاً جميلاً منذ أن داستهُ أقدامنا، أريد أن أختلي بنفسي يا نهار، فما أمرّ به حالياً يقطّعني من الداخل، يُميتني في اليوم ألف مرة ومرة، من مصلحتنا أن نبتعد عن بعضنا قليلاً".

تحولت نظرات الحزن على وجه - نهار - إلى نظرات جادة ومربكة، اقترب منها إلى أن وقف أمام وجهها، لم يفصل بينهما سوى الهواء الذي يمر بينهما:

"لو أعطيتكِ مفتاح المنزل، هل سترحلين بهذه البساطة؟".

رجعت خطوتين خوفاً منه، شعرت بالرعب من طريقة كلامه، ولكنها مصممة على الفوز في هذا الجدال:

"نعم... أرجوك، أعطني إياه".

اتسعت عيون - نهار - دهشةً، إنه لا يصدق ما يخرج من فم زوجته، وضع يده في جيبه وأخرج المفتاح، وأعطاها إياه. نظرت - هاميس - إلى المفتاح وترددت قليلاً، شعرت بأن هذا الموضوع لن يمرّ بسلام.

"هيا... خذيه". قالها -نهار-.

مدت يدها وأخذته منه بسرعة، وضعت المفتاح على الباب، وكانت ستفتحه، ولكنه سحبها من شعرها وأسقطها أرضاً بكل

قسوة، صرخت من الألم:

"أنت مجنون، ابتعد عني و إلا سأصرخ بأعلى صوتي، كيف لك أن تضربني بهذا الشكل؟ لا أريد أن أعيش معك بعد الآن".

سقطَ - نهار - بجانبها أرضاً:

"أنا آسف.. آسف يا هاميس، ولكنكِ تجعلينني أغضب من تصرفاتكِ الطائشة، نحن وسط دوامة لا نعرف كيف نخرج منها، وأنتِ تريدين أن تتركيني بكل بساطة".

نهضت من مكانها وهي تبكي، وتبتعد عنه خوفاً:

"لا تعتذر، لا أريد أن أسمع هذه الكلمة منك، أنت لم تعد كما كنت، قلتُها لك من قبل وسأرددها، أنت ممسوس من أخيك - ليل - لقد دخل إلى أعماق قلبك واستحوذَ عليك بإحدى تعويذاته، عليكما اللعنة أنتما الاثنان، لا تقترب مني".

قالتها وركضت باتجاه غرفة النوم، وأغلقت الباب على نفسها.

-56-

الساعة تشير إلى الثانية صباحاً، الرياح قوية وكأنها غاضبة من شيء ما، المكان خالٍ من البشر، حبيبات الرمل تتطاير في الهواء وكأنّ هناك عاصفة تسيطر على هدوء المكان.

هناك يوجد الملكان - ثانوه - و - قيراث برفقة الصوصافي، على أحد شواطىء البحر البعيدة جداً، والتي غالباً ما تعاني من ندرة زيارة البشر لها بسبب بعدها عن الأماكن المأهولة بالناس.

يقف صوصاف في المنتصف، وخلفه يقف الملك - قيراث - أما الملك - ثانوه - فيقف أمامه ويمد يده حاملاً ورقة عتيقة وصفراء اللون، أخذها الصوصافي مستغرباً، وعرف بأنها خاصة بتحضير أحد مخلوقات الجن، نظر إليها لبضعِ ثوانٍ، ومن ثمّ قال متسائلاً:

"ماذا عليّ أن أفعل؟". التفتَ إلى الملكيْن اللذين يحاصرانه جيداً، فاقترب منه الملك - ثانوه - ووضع يده على كتفه:

"هذا تحضير لأحد ملوك الجن الأنقياء، وظيفته هيَ البحث عن الأشياء، غالباً ما يساعد الصوصافيين في استخراج الذهب والأموال المدفونة، ولكنه أيضاً يستطيع أن يجد لك أي شيء مختبىء عن عمد، أو ضائعٍ دون قصد".

"إلى الآن لم أفهم ما المطلوب مني يا ثانوه".

وقف الملك - قيراث - أمامه مكملاً شرح صديقه الآخر:

"هذا الملك الذي تمسك بطريقة تحضيره، يستطيع أن يفعل كما قال ثانوه، ولكنه أيضاً لديه قدرة على شق البحر إلى نصفين، وهذا السر بالذات لا يمتلكه أغلب الروحانيين و من بينهم الصوصافيين والسحرة، وأنا متأكد بأنك لم تحظَ بتجربته في مشوارك الصوصافي السابق".

فضَّ صوصاف الورقة التي بيده، تحسسها بعناية وكأنه شعر بكمية قوتها وسحرها، فقال مندهشاً:

"هذا صحيح... ولكن إلى الآن لم أفهم مهمتي، مادخل

البحث عن الكنوز بشق البحر؟ ولماذا تريدانني أن أحضر هذا الملك بالذات".

تدخّل الملك - ثانوه - مرة أُخرى في هذا الحوار المريب بالنسبة للصوصافي قائلاً:

"في هذا البحر بالذات ومنذ سنوات طويلة، تمّ إلقاء سحر أسود في أعماقه من قبل أحد السحرة التابعين لإبليس اللعين، وهذا السحر يخص امرأة طيبة القلب، عانت كثيراً منه، بل انقلبت حياتها جحيماً بسببه، كتبَ الله لها اليوم أن يُفك هذا السحر من حياتها، وأنت من ستتشرف على هذا العمل الكبير، وبمساعدة الملك - محرز - وبهذه العملية ستتطور كثيراً في روحانيتك، وستكسب الأجر الكبير عندما تفك السحر، وأيضاً ستمتلك خدمة الملك العلوي، كي يرافقك في باقي مشوار حياتك".

تلفّتَ الصوصافي يميناً وشمالاً، وكأنه يبحث عن شيء، راقبهُ الملكان باستغراب:

"من أين سوف أجلب البخور؟ وكيف سأشعله مع هذا الطقس المجنون؟".

"لن تحتاج إلى البخور يا بني، أبدأ عملك". قالها الملك ثانوه.

أخذ صوصاف نفساً عميقاً، ومن ثم وضع يده داخل البحر، وأخذ رشفة منه والغريب بأنه لم يشعر بملوحته إطلاقاً، كان يمشي على الخطوات المكتوبة في الورقة الروحانية، أدخل يده مرة أُخرى في البحر، ووضع بضع قطرات على جبينه وهو مغمضٌ عينيه. تراجعَ بضع خطوات إلى الوراء، كانَ الملكان يراقبانه بصمت، -قيراث- تفضحه عينيه كثيراً، هو متعاطف مع الصوصافي بشكل كبير، يريد له النجاح، أما نظرات الملك - ثانوه - فكانت مريبة جداً، لا أحد يستطيع أن يقرأ أفكاره أو مشاعره بمجرد أن ينظر إليه.

بدأ الصوصافي يتلو القسم المكتوب على الورقة، ولم يتوقع إطلاقاً بأنه سيكون بهذه القوة، شعر بوجود الملك العلوي، لم

يره حتى الآن، ولكنه أحسَّ بحضوره القوي، اهتزت اليابسة بقوة، هدأ الطقس بشكل مريب، اختفت الرياح، وساد الهدوء في المكان، وكأنها خدعة تم تنفيذها بإتقان من قبل صناع أفلام السينما. فتحَ الصوصافي عينيه أخيراً، ابتسم للملكين قائلاً:

"إنه هنا... أنا لا أراه ولكنه يحدثني، أسمع صوته في داخل أعماقي".

"لا أحد يستطيع رؤيته، حتى نحن، فهذه من صفات الملك - محرز - هو يعلم بطلبك، افعل ما تؤمر به لكي تنجح يا صوصاف".

أغمض الصوصافي عينيهِ مرة أُخرى، رفع يده عالياً، ظهر صوتٌ مدوٍّ في المكان، كأن هناك قنبلة قد رميت وسط البحر، ثار البحر غاضباً، ورجعت الرياح العاتية تحرك كل شيء في الأرض، فجأة انشقّ البحر إلى نصفين: النصف الأيمن يطير في السماء، والنصف الأيسر لم يحرك ساكناً.

"تحلّى بالقوة والصبر يا صوصاف، أنت تستطيع أن تفعلها، لا تعتمد على الملك بشكل كلي، هو يريد أن يختبر قوة روحانيتك". قالها الملك - قيراث - مشجعاً.

ظهر التعب والإجهاد على وجه الصوصافي، تجاعيد وجهه أصبحت ملحوظة، الغريب بأن هذه التجاعيد لم تظهر على وجهه قط إلا في هذه اللحظة الصعبة. استمرَّ يهمس بالكلمات المطلوبة، فارتفع الجزء الأيسر لاحقاً الأيمن في ارتفاعه، خرجت من منتصف قاع البحر ورقة داكنة اللون، طارت من البعيد بسرعة البرق وسقطت تحت أقدام الصوصافي الذي توقف عن القراءة، هبط البحر مرة أُخرى إلى مكانه الاعتيادي، مسبباً ضجة كبيرة ومرعبة.

"رحلَ الملك محرز، وأقسم لي على الطاعة والولاء". قالها صوصاف بنبرة مرهقة، إنه بالكاد يستطيع أن يقف على رجله، أخذ الورقة الساقطة تحت قدمه، تفحصها جيداً، إنها مربوطة بإحكام، سميكة جداً.

"احرق هذا السحر يا صوصاف بكلمات الصوصافيين الطاهرة". أمرهُ الملك - قيراث-.

أرجعَ الصوصافي الورقة إلى الأرض من جديد، ركز فيها جيداً، فبدأت تحترق ببركة الكلمات المباركة التي يعرفها، وعندما انتهى ابتسم ابتسامة مريحة جداً، لقد علم بأنه خلّص روحاً بشرية كانت تعاني من السحر الأسود، ومقبلة على حياة جديدة وهادئة.

-57-

فتح الباب ودخل الغرفة، فوجدها جالسة على السرير تفكر بشرود، اقترب - نهار - من زوجته، وجلس بجانبها، فظهر عليها الاشمئزاز الواضح. رفع يده ووضعها على شعرها الطويل، فمنعته حتى من لمسها، تنهد بضجرٍ وقال:

"هاميس حبيبتي... لماذا تستسلمين بهذه السهولة؟ أنا لستُ بعدوكِ، أنا في صفّكِ منذ البداية، ولن أغير هذا الصف أبداً".

نظرت إليه بعيون غير مُصدقة، من أعماق قلبها لم تعد تثق به إطلاقاً:

"من فينا الذي رفع راية الاستسلام يا نهار؟ أنت من صرتَ تتعمق في العالم السفلي، منذ متى وأنت فاقدٌ للأمل بالعالم العلوي، أأصبح الآن لا يستهويك؟ كيف تفقد إيمانك بهذه السهولة؟ أنا أعترف بأننا قد هزمنا منذ الجولة الأُولى من قبل أخيكَ ليل، ولكن علينا أن نكافح ونقاتل، وهذا من مصلحتنا ومصلحة الصوصافيين جميعاً، ولا تنسَ بأنني وريثة أبي، وريثة الصوصاف".

ضحك - نهار - باستهزاء ومن ثم قال:

"وريثة الصوصاف؟ هل أنتِ مصدقة لهذه الجملة قبل أن تقوليها؟ كيف للوريثة أن تستسلم بهذه البساطة؟ ماهي رؤيتكِ يا هاميس؟ ماهو المستقبل الصوصافي الذي تسعين إليه؟ أنتِ عاجزة، وأنا لست بشامتٍ، ولكنني لا أظن بأنكِ تلك الوريثة التي ينتظرها الصوصافيون".

استفزتها نبرة زوجها المليئة بالسخرية، فقررت أن تنهض من الفراش وتخرج من المكان، ولكنه أمسكها من يدها بقوة زاجراً:

"أنا لم أنتهِ من كلامي بعد، ولو كانت بيننا خلافات عدة، فأنا لن أسمح لكِ بألا تحترميني بهذا الشكل".

تنهدت حزناً، ومن ثم قالت وهي تنظر إلى عينيه بشكل

مباشر:

"ماذا تريد مني يا نهار؟".

اقترب منها بطريقة غريبة، وضع يدهُ على جسدها، دهشتْ من ردة فعله، كان يريد منها شيئاً هي تعرفه ولكنها غير مصدقة لما يطلبه، أبعدت يده وقالت غاضبة:

"يا إلهي... هل جننت؟ تريد أن تطلب مني هذا الطلب الآن ونحن وسط هذا الخصام؟ قلبي غير راضٍ عنك يا نهار، فما بالكَ بجسدي؟".

وقف وشرارات الغضب بانت واضحة في عينيه:

"هل تريدين أن تسلبي مني حقي الشرعي؟ أنتِ زوجتي وأنا لدي احتياجات، ليس من حقكِ أن تمنعي هذا الشيء عني".

نظرت إليه بطريقة مقرفة، وقالت بقسوة لم تعهدها في نفسها:

"هل شممتَ رائحتك يا نهار؟ لقد أصبحت مهملاً جداً، رائحتك مقززة، هل هذه طقوس جديدة لكي تقترب من العالم السفلي؟ أن تكون مقرفاً وغير طاهر؟".

أغمض عيونه محاولاً أن يتمالك أعصابه، ومن ثم فتحهما وقال مبتسماً ابتسامة صفراء:

"هاميس حبيبتي.. إنني أحاول بشتى الطرق أن أنهي هذه الخلافات الحمقاء، أرجوكِ ساعديني".

"وأرجوكَ أنت ابتعد عني، لن أعطي جسدي لساحرٍ مثلك".

وصل - نهار - إلى آخر مراحل الغضب، فقرر أن يجرحها بطريقة قاسية:

"وكيف أعطيتِ جسدك لليل ولأعوانه؟ جسدك الذي مر على جميع المخلوقات السفلية، والآن وبكل وقاحة تريدين أن تمنعي زوجك منه".

اتسعت عيون - هاميس - دهشة، وقفت أمامه بجسدٍ منهك ومرتجف:

"عارٌ عليك أن تجرحني بهذه الطريقة يا نهار، أنت تعلم بأنّ



الذي حدث كان لا يرضي الله ولا يقبل به أي إنسان على هذه الكرة الأرضية، ولكن شكراً لك لأنك هدمتَ آخر أمل كنتُ أظن بأنه حيٌّ من أجلك، أرجوكَ أريد أن أنام".

رجعت إلى سريرها و أطفأت الإنارة التي بجانبها، وضعت رأسها على الوسادة، فسقطت دموعها عليها قبل رأسها، شعرت بأن زوجها بالفعل قد حطّمها، ولن تستطيع أن تبني نفسها من جديد.

لم ينتهِ غضب - نهار - فبدأ يشتمها ويلقي بكلمات جارحة تطعن بشخصها وبشرفها، وضرب حبهما بعرض الحائط دون أن يهتم، ومن ثم دخل إلى الفراش وحاول أن ينام دون أن يعتذر أو يصلح الموقف الغريب الذي حدث بينهما.

محاولات هاميس للنوم كانت فاشلة تماماً، لا تعلم كيف تنام أو تفكر، ترى بأنّ جميع من حولها يحاولون أن يسلبوا منها الحياة، زوجها وحبيبها الذي ظنت بأنه جدارها المانع لكل خيبات الدنيا، أصبح هو الخيبة الكبرى في يومها الحالي، أغمضت عينيها وهي تتلو كلمات مباركة عسى أن تخفف الهم عن قلبها، ودخلت أخيراً في عالم أحلامها.

مكان مظلم جداً، تمشي فيه بحذر كبير، لا تعلم كيف دخلت إليه ولا أين سيؤدي بها، أصوات غريبة منتشرة في المكان، مواء قطط، وضحكات شيطانية، إنها تشمّ أنفاساً نتنة تأتي من خلفها، وعندما تلتفت لا تجد أحداً. صرخت - هاميس - بأعلى صوتها:

"هل يوجد أحدُ هنا؟". ولكنها لم تتلقّ أية إجابة.

أكملت سيرها والخوف يزداد في داخلها أكثر فأكثر، لمحت كرسياً جلديّاً أسود اللون خرج من اللا مكان، يجلس عليه رجلُ يرتدي عباءة سوداء تغطي كامل وجهه، بيده سبحة طويلة، مطرزة باللون الأحمر الدموي، حاولت أن تكتشف هويته ولكنها فشلت، اقتربت منه برهبة وخوف:

"من أنت؟". ولكنه لم يحرك ساكناً، الأصوات المرعبة ماتزال موجودة، تحاصرها من كل اتجاه، وجدت بأن هذا الرجل

الغامض ربما يكون الجواب لوجودها هنا.

وقفت أمامه، أنزلت رأسها لكي ترى ملامح وجهه، ولكنه كان متخفّياً بإحكام، مدت يدها المرتجفة باتجاه رأسه، أنزلت قبعة عباءته فبرزت عيون - ليل - الحمراء الشيطانية، وابتسم لها بطريقة مرعبة. سقطت على الأرض خائفة، نهضَ عن كرسيه ومد سبحته أمام وجهها قائلاً:

"لا يوجد مفر مني يا هاميس، لا في الواقع ولا في عالم أحلامكِ، سوف أحطمكِ، وقلتُها لكِ من قبل، ستتمنّين الموت، و لن تنعمي بحياة راغدة".

بدأت - هاميس - تركض في هذا المكان المظلم الذي لا ينتهي، وجدت باباً أبيض مشعّاً خرج من العدم، حواسها أكدت لها بأنه الخلاص من هذا الكابوس المرعب، وصلت إليه وفتحته ودخلت مسرعة. أقفلت الباب والتفتت فوجدت شمساً ساطعة، المكان بأكمله يمتلئ بالزهور الملونة، والحيوانات البرية التي تعيش بكل سلام وأمان. هناك نهرٌ سحري في المنتصف، نقاء مياهُ لم ترهُ من قبل إطلاقاً، أصوات العصافير وهي تغرد مكونةً لحناً موسيقياً فاخراً، هل دخلت في أرض العجائب دون أن تشعر؟

أتى رجلٌ من البعيد لم تختلف هيئته عن - ليل - عندما كان يجلس على الكرسي ذاك، ولكن هذا الرجل يرتدي عباءة بيضاء اللون، وبيده سبحة ذهبية مشعة، اقترب من - هاميس - وأنزل قبعته، فعرفت هويته، بكت وقالت مبتسمة:

"أبي صوصاف!".

ابتسم لها ورفع يده لكي يضعها على شعرها، ولكنه توقف فجأة وكأنه تجمّد في مكانه، وقال بطريقة مرعبة:

"الفرج قادم....

الفرج قادم....

الفرج قادم....

ولكن احذري يا هاميس.... احذري يابنتي".

"أحذرُ ممَّ يا أبي؟". قالتها - هاميس - مستغربة.

"السحر يا هاميس... الوسادة.... السحر والوسادة".

لم تفهم - هاميس - تحذير والدها! كانت ستسأله أن يبيّن لها ما يقصد، ولكن انتشر الظلام في المكان بشكل مفاجىء.

نهضت هاميس من حلمها الغريب وهي بالكاد تلتقط أنفاسها، رفعت رأسها عن الوسادة وبدأت تفكر في تفسير لما رأته، كابوس - ليل - لم ترهق نفسها بالتفكير فيه، لأنه يطاردها منذ زمن طويل، ولكن رسالة والدها الغريبة، بالتأكيد خلفها تلميح حول شيء، دون أن تشعر وجهت نظرها إلى وسادتها، رفعتها فوجدت حجاباً صغير الحجم لونه أسود، يُربط بخيوط حمراء في كل اتجاهاته، قرّبتهُ من أنفها، فشمّت رائحة مقيتة جداً. رمته على الأرض ونهضت والتفتت وصرخت رعباً. لقد كان - نهار - يقف خلفها طوال هذه الفترة، عيونه سحابية وبها نقاط حمراء اللون، تمشي عبر عيونه بطريقة سريعة.

ركضت باتجاه باب الغرفة، ولكنه وضع يده على المقبض ومنعها من الخروج، التفتت إليه فوجدته قد رجع إلى طبيعته حينما قال باستغراب:

"لماذا تركضين يا هاميس؟ ما الذي جرى".

ذهبت باتجاه الحجاب الملقى على الأرض، وصرخت بغضب كبير:

"ما الذي يفعله هذا الشيء تحت وسادتي؟ هل تريد أن تسحرني يا نهار؟ أنت ساحر! والآن أنا متأكدة بأنك انخرطت في أعمال العالم السفلي، أبي جاءني في المنام وحذرني منك".

اقترب منها إلى أن أصبح وجهه مقابلاً لوجهها المرتعب، وقال بنبرة تملؤها الثقة الكبيرة:

"نعم يا هاميس، لن أجادلكِ بعد اليوم، لقد اخترتُ أن أسلك طريق عائلتي، العالم السفلي، هو الذي سيحمينا من كل هذه الشرور، هو من سيقوّيني كي أستطيع أن أدافع عنكِ وعن

منزلنا، بل حتى سيجعلني أقف في وجه أخي ليل، الذي جعل مستقبلنا كالدمية في يده".

اتسعت عيون - هاميس - من الصدمة:

"إذن تعترف بأنك ساحر! اغرب عن وجهي يا نهار، أنا لا أريد حتى أن أنظر إليك".

أمسكها من يدها بقوة، وقال بغضب:

"لو كنتُ ساحراً فسوف تتقبلين هذا الأمر، وستشاركينني جميع طقوسي وستقدسين عالمي، فأنتِ زوجتي، وواجبٌ عليكِ أن تطيعي شريك حياتكِ بكل ما يأمرك به".

حررت يدها منه، وشعرت بقوة قوية تُقبل على روحها، ربما هي موجات صوصافية موروثة عبر دمائها:

"تباً لك يا ساحر! أنا هاميس ابنة الصوصافي الكبير صوصاف، دمي ينحدر من سلالة الصوصافيين العلويين، مستحيل أن ألوّث روحي وأنضم إلى عالمكَ الإبليسي".

"تباً لي؟ لا، بل تباً لكِ أنت ولأبيكِ صوصاف، وتباً للعالم الصوصافي بأكمله، سوف تدخلين العالم السفلي يا هاميس، وإلا حسابكِ سيكون عسيراً".

ركزت نظراتها في عيونه، وقالت بنبرة واثقة وقوية:

"يقال بأنّ حلم إبليس في دخوله الجنة، وهذا ردّي عليك يا قذر، طلقني يا نهار، فأنا لا أريد أن أكون متزوجة بساحر، سحقاً للحب ولأيامنا الجميلة، إذا كان سيجعلني أدخل عالم إبليس، طلقني يا نهار حالاً".

بدأ - نهار - يغمض عينيه ويفتحهما بطريقة مرعبة، كأن جسده مستحوذٌ عليه من قبل أحدهم. ظهرت تعابير الغضب على وجهه، فنظر إليها، وضربها على رأسها و جعلها تسقط على الأرض و تصرخ من الألم.

وضع يده على رأسها، وبدأ يهمس بكلمات سريانية سفلية، فشعرت - هاميس - بأنها بدأت تتحنط وهي على قيد الحياة، خلال ثانية واحدة جعلها تشعر بأنها مشلولة!

-58-

في الكهف الذي باتَ يسمى بكهف الصوصافي، يجلس الملك - ثانوه - برفقة صديقه الملك - قيراث - وأمامهما الصوصافي الذي يبدو عليه أنهُ متوترٌ جداً، و كأنهُ طالبٌ ينتظر نتيجة امتحاناته النهائية. إنه يجلس اليوم لكي يعرف ملامح مصيره المُحير، ويعلم بأن ما سيسمعه بعد قليل، سيريح عقله وذهنه.

أشار الملك - ثانوه - إلى مدخل الكهف، وقال للصوصافي:

"أنت تعلم بأنكَ لا تستطيع أن تعبر هذا الحاجز المخفي، هل هذا صحيح؟".

أومأ - صوصاف - له بالإيجاب، فأكمل بنبرة جادة جداً:

"تستطيع الآن أن تمر من خلاله بكل سهولة، دون أن ننقلك من هذا الكهف كما كنا نفعل في السابق، أنت تستطيع أن تغادر في أي وقت تريده".

ارتسمت علامات الذهول والاستغراب على الصوصافي. نهضَ من مكانه واقترب من الحاجز غير المرئي بحذر، مدّ يده فُصعق لأنّ التعويذة الموضوعة عليه قد اختفت. رجع إلى مكانه مبهوراً:

"أنا لا أفهم، لماذا أزلتَ التعويذة عن مدخل الكهف؟ وما السبب الذي يجعلك تجعل مني رجلاً حراً؟".

وزّع الملك - ثانوه - نظراته على الصوصافي وعلى صديقه ملك الجن الآخر:

"اليوم سوف أقول لكم ما تريدون أن تسمعوه، أنت يا قيراث تريد الأجوبة، وصديقنا الصوصافي يريد أن يعرف الحكاية كاملة، اليوم ستُكشف لكم جميع الأوراق".

"هل أنت واثق بأنك ستقول لي كل ما ما أريد معرفته؟". سأله قيراث.

"نعم يا صديقي، فلا وقت للمزاح الآن".

"إذن ماذا تنتظر؟ أرجوك تكلم". توسّل إليه الصوصافي.

نظر إلى الأعلى، وبدأ كلامه وهو يتذكر الأحداث:

"قيراث... سأخبركَ عن اتفاقي الكامل مع الشخص الذي أعطيته وعدي، وأنت يا صوصاف ستعرف الليلة لماذا تم اختيارك لهذه المهمة، وماهي الأسرار التي حُبكت من خلف ظهرك، ولماذا مصيرك بات مربوطاً بهذا الكهف، وبرفقتي أنا وقيراث، أرجوكما اسمعاني جيداً، ولا تقاطعاني أبداً، و ثمة طلبٌ أخير: كونا صبورين معي".

حدّق الصوصافي و قيراث بالملك الراوي، وكأنّ ما سيقوله سيكون آخر كلمات يسمعونها في حياتهما.

-59-

فتحت عيونها بصعوبة، لترى نفسها مقيدة على كرسي خشبي موضوع وسط غرفة النوم، حاولت أن تستجمع قواها، فنظرت إلى المكان المظلم، ووجدت زوجها - نهاراً - يشعل الكثير من الشموع ويضعها في شكل دائري، ويرسم في منتصف الأرض نجمة داوود المستخدمة في عالم الروحانيات، كان يجرح نفسه ويجعل دماءه تسيل ويضحك بشكل شيطاني، يتذوق الدماء ويمسحها على أطراف جسده، يتمتم بكلمات غير مسموعة. من يراه الآن يتأكد بأنه ممسوسٌ من قبل روح شريرة تهوى طريق الظلام، وتمجّد الشيطان اللعين.

"نهار... لماذا تقيدني بهذه الطريقة؟، فكّني أرجوك". قالتها - هاميس - .

ولكنه لم يلتفت إليها، وأكمل طقوسه الإبليسية. جلب المبخر الكبير ووضع أعواد البخور وأشعلها، فانتشرت الرائحة في كل مكان، شعرت - هاميس - بالاشمئزاز لأن البخور المستخدم غالباً ما يضعونه في الأعمال السفلية، رائحته مقيتة جداً. فتح الدرج الصغير الموجود في خزانة الغرفة و أخرج مقصاً، واقترب من -هاميس -بوجه ضاحك ومفزع. صرخت زوجته بأعلى صوتها مغمضة عينيها، أمسك برأسها وقص بضع شعرات منه، أخذها ووضعها داخل المبخر فازدادت كثافة البخور المنتشر.

أنزلَ بنطاله وبدأ يتبول على البخور ويضحك بصوتٍ غريب، التفتَ إلى زوجته وقال ساخراً:

"هل تتذكرين هذا المشهد؟ عندما تبوّل أخي عليكِ بعدما جعل مجموعة من الجن يعتدون عليكِ؟ أظن بأنه كان على صوابٍ. غلطة حياتي عندما أحببتكِ وهربتُ معكِ إلى هنا، أنا أنتمي إلى العالم السفلي الكبير، ضيعت أجمل سنوات عمري وأنا ألهث خلف الصوصافيين، قلبي خدعني بحب فتاة ساقطة مثلكِ، والآن حان وقت تصحيح جميع المسارات".

"إنك إنسان مريض، ساحر لعين، لا تستطيع أن تنسى بأنك

قد ولدت من شجرة فاسدة، عائلتك بأكملها تقدس الشيطان اللعين. في البداية استغربتُ من ميولك منذ صغرك لعالم الصوصافيين، كنتُ أخاف أن ترجع إلى أصلك القذر، وكان إحساسي في محله يا نهار، أنت ولدت من بطن ساحرة، وتربيتَ بين أحضان ساحر، حتى أخوك التوءم هو أقذر ساحر في العالم. عليك اللعنة، فكّني من قيودي ودعني أرحل، لا أريد أن أراك أبداً".

ابتعدَ عن المبخر، ووقف أمامها وأكمل تبوله على جسد - هاميس - ولم يهتم لصراخها، فقال مبتسماً:

"لماذا تنزعجين من تبولي؟ إنه طاهر لأنه يخرج من جسد مقدس، جميع هذه الأشياء تحبب إبليس فيَّ، هو يهواها وأنا أعشقهُ، لابد أن تتعودي عليها لأنك ستعيشين معي طوال حياتكِ، بالطبع جارية لي ولسيدي إبليس، وعليكِ أن تنسي هذا العالم الملُقب بعالم الصوصافيين. عالم الضعفاء والجبناء، كيف لكِ ألّا تري قوة إبليس؟ نحن الحزب المختار، الذي سينتصر في النهاية، الصوصافيون لم يستطيعوا أن يحاربوا الحصار الذي حدث لهم في مدينة أرض الجنة، كيف لهم أن يحاربوا أعوان إبليس العظيم؟".

"إنكَ أقذر من أخيك بألف مرة، كيف تزوجتك؟ كيف شاركتك نفس السرير؟ كيف أوهمتُ نفسي بأنك تحبني.، لماذا لم أرَ الصورة كاملة؟ هل أنت راضٍ عن نفسك الآن؟ هيا اقتلني يا نهار، لأنني لن أصبح سفلية مهما حدث".

ضحك بطريقة مستفزة جداً، رفعَ بنطاله من جديد وذهب في اتجاه المبخر يستنشق الرائحة التي تنتشر منه بكل استمتاع. شردت - هاميس - بأفكارها، سمعت صوت والدها الصوصافي وهو يقول لها كما لو أنه في الحلم:

"الفرج قادم....

الفرج قادم....

الفرج قادم....".

التفتت إلى - نهار - وفكرت بشيء ما، وشعرت بإحساس

لم تعشه من قبل، ترددت في البداية ولكنها قالت بينها وبين نفسها: لربما تكون على حق، لربما هذا الشك الذي بداخلها يكون حقيقياً رغم انه مجنوناً جداً

"نهار.... أريد أن أسألك سؤالاً".

التفت إليها بعيون مذهولة، هل شعرَ بما استنتجته أخيراً؟ ولكنه في النهاية لم يعرها اي اهتمام وتركها وغادر المكان.

حدث سابقاً منذ سنوات...

"اقترب!".

"لماذا تريدني أن أقترب؟ ما السبب الذي يجعلك تخاف حتى الآن؟ لقد أكدتُ لك بأن جميع الجن قد طردوا من هذا المكان".

لم يعلق على كلامه ولكنه أمره بالاقتراب مرة أخرى من خلال إصبعيه. اقترب الملك منه، فبدأ رئيس الصوصافيون السيد - صوصاف - بالهمس له، تغيرت ملامح ملك الجن و صُدمَ وغضب، رجع بضع خطوات إلى الخلف قائلاً غير مصدق:

"ماذا؟ تريدني أن أحمي هذا المعتوه؟ أنا لا أتشرف بسماع صوته، كيف لي أن أحميه؟ وأن أتبعه في كل مكان".

بدأ الغضب يتصاعد على وجه الصوصافي، فاقترب من ملك الجن دون رهبة أو خوف، وقال بنبرة قاسية ومخيفة:

"اسمعني يا ثانوه، لقد سئمت من تكرار طلباتي لك، أنت عليك أن تنفذها دون نقاش، ولكني أحاورك لأنك صديقٌ قبل أن تكون مُلكاً لي".

قاطعه ملك الجن وهو ضائعٌ ومرتبك:

"هل لهذا السبب تخلصتَ من سبحتك الصوصافية؟".

"إن مرت السنوات، وتعثّر حالي، وحُبست في السجن، وهذا واردٌ جداً، وتأكدتُ بأنك لم تنفذ وصيتي، فأنت ملعون يا ثانوه في الدنيا والآخرة".

رغم عدم قناعة ملك الجن بكلام الصوصافي، ولكنه لا يستطيع أن يكسر كلمته:

"حتى البخور الذي أشعلته من أجلي لم أستمتع به من هول ما سمعته منك يا صوصاف! ولكن لك مني السمع والطاعة، وصيّتك سوف أبقيها أمام عيني طوال حياتي، لن أخذلك أبداً، هذا وعدٌ مني لك."

ابتسم الصوصافي بطمأنينة، أمسكَ ملك الجن من كتفه قائلاً:



"إذن الآن سوف أخبركَ عن خطتي!".

أخذ الصوصافي نفساً عميقاً ومن ثم قال:

"سأقول لك بماذا أفكر، وكيف جاءتني قراراتي الصادمة، ولكن عليك أن تُصغي لي جيداً، وتفهم أن ما حدث وما سيحدث هو مقدّرٌ ومكتوب. في البداية طلبتُ منك أن تحجب القوى الروحانية عن جميع الصوصافيين لسبب وجيه، وأنت تعلم القليل من ذلك. الصوصافيون ولدوا أحراراً، ولن يستطيعوا أن يقفوا مكتوفي الأيدي وهم يرون السحرة يأخذون المدينة بسهولة، طلبت منك أن تمنع عنهم الإمدادات العلوية لكي لا يدخلوا في معركة ويخرجوا منها بخسارة. أنا أعلم بأنهم سيغضبون ويستخدمون جميع خدماتهم الجنية العلوية، ولكن الذي يقف أمامنا ليس السحرة فقط، بل قادة سياسيون كثيرون، يحكمون البلد و يسيّرونها كما يريدون. وهذا من حقهم يا ثانوه، مهما فرضوا عقوبات على الصوصافيين أو منعوهم من طقوسهم الطاهرة، فنحن نعيش على هذه الأرض التي يحكمها نفس القادة السياسيين. آلمني قلبي عندما اتخذت هذا القرار، لأنني أعلم بأن الصوصافيين سيُكسرون، ولكنني مؤمنٌ جداً بأنهم سينهضون من جديد وأقوى من أي وقت مضى، ومن الممكن ألّا توافقني على قراري وأن تقول لي بأنه عليّ أن آخذ رأي البقية، ولكني أريدك أن تفهمني، فقد رُزقت برؤية مباركة... عظيمة جداً، طلبت مني الرؤية أن اقوم بهذا العمل، و رؤياي لا تخيب أبداً يا صديقي".

"وماذا تقول هذه الرؤية؟ أقصد غير حجب الروحانيات عن الصوصافيين؟". قالها ملك الجن مستغرباً.

"الرؤيا تنص على أن أيامي معدودة يا ثانوه، أنا ترأست حزب الصوصافيين زمناً طويلاً، لربما حان الوقت لكي أتنحّى، ويبدأ عهدٌ جديدٌ، بدماء مختلفة. وحينما أرحل ستبدأ المعركة الحقيقية، وسيكون وريثي هو البطل.... وريث الصوصاف. وهذا سبب طلبي منك بأن تحميه يا ثانوه، هو من سيكمل مشواري، أنا أعلم بأنك لا تحبه، ولا تحترم عائلته بأكملها، ولكنه القدر يا صديقي، هذه الملحمة الكبرى ستتشمل

الجميع، وسيكون عنوانها الليل والنهار، وأظنك تعلم ما أقصده، نعم المشهد المقبل سيُسلّط على ابنيّ الساحر -آمون - التوءم - ليل و نهار - .

مطلوبٌ منك أن تحضر في وسط كل هذه العواصف التي ستحدث يا ثانوه، أنت أقوى ملوك الجن العلويين، ولقد تشرفتُ بالعمل معك لعدة سنوات، وأنت من جعلتني قوياً أمامَ جميع الصوصافيين، ووضعتَ يدكَ في يدي لمحاربة السحرة وإبليس اللعين. لقد تخليتُ عن سبحتي الصوصافية، التي يكمن فيها مفتاح كسب خدمتك وقوتك، وأنت تعلم بأن من يريد أن يحظى بك عليه أن يبحث عن سر تحضيرك، وهذا السر أنا زرعته في سبحتي، بعد أن حظيت برفقتك طوال هذه السنوات.

الشخص الذي تمقته ولا تستطيع تخيل أن تساعده، هو من ستقف معه في المرحلة المقبلة يا ثانوه، أريدك أن تعلمه علم الروحانيات من نقطة البداية، إلى أن يشتد عوده، ويكون قوياً جداً، ومن بعدها سيحصل على سبحتي، وسيكسبك أنت يا صديقي، لأن هذا الوريث مكتوبٌ عليه أن يحكم مملكة الصوصافيين كلها، وأن يكون موجوداً في هذه البلدة في المرحلة المقبلة، لكي يأخذ مكاني، ويحكم الجميع بالعدل الروحاني العلوي".

-60-

انتهى الملك - ثانوه - من ذكر أحداث الاتفاق الذي جرى بينه وبين صوصاف المتوفى. نظرات الدهشة والاستغراب كانت واضحة على وجه الملك - قيراث - والصوصافي الذي عرف الحقيقة كاملة.

"لم أكن أتصور بأنه هذا هو الاتفاق! إنها خطة كبيرة وخطيرة، الآن عرفت لماذا أنت دائماً مشغول الذهن يا ثانوه". قالها الملك - قيراث -

وقف الصوصافي غاضباً، وقال ناظراً إلى الملك - ثانوه - :

"من أعطاكم الحق بفعل كل هذا؟ كيف تسيرون الناس بهذه الطريقة؟ من سمح لكم بأن ترسموا لي مخطط حياتي القادمة؟ أنا لم أختر هذا الطريق، ما فعلتموه لا يجوز أبداً".

وقف الملك - ثانوه - ووضع يده على كتف الصوصافي:

"هذا قدركَ يا بنيّ، والقدر لا تستطيع أن تهرب منه، مهما سلكتَ يميناً أو اتّجهتَ يساراً. قدرك سيصيبك يا صوصاف، لقد كُتب عليك أن تكون ملكاً جديداً لجميع الصوصافيين. أنت من ستستلم راية العلم من صوصاف رحمه الله، وبالمناسبة هذا سبب تسميتنا لك بصوصاف، تيمناً به، هو من رآك في منامه بأنك المختار، هو من وثق بأنك ستنجح وتكمل باقي الطريق، هذه الفرص لا تأتي إلا نادراً يا بني".

وكأن الصوصافي لم يقتنع بكلام الملك، ربما لأنه شعر بسذاجة أو باستغباء منهم، لم يكشفوا له جميع الأوراق من البداية، وهذا ما زاد غضبه، أكمل الملك - ثانوه - كلامه محاولاً أن يهدىء من روعه:

"صوصاف... عليك أن تفكر جيداً قبل أن تتخذ أي قرار، أنا لا أستطيع أن أمنعك من الانسحاب، ولكن مستقبل الجميع يقع فوق عاتقكَ، وأعلم بأنها مسؤولية كبيرة جداً، ولكنني سأكون معك... في صفك، لن أجعلك وحيداً أبداً، هذا ما كتبه ربي وربك، أن تنتقل المهمة من كبير الصوصافيين إلى

فتى في ريعان شبابه، يحمل هموم الجميع على ظهره، والخطة التي رُسمت من قبل صوصاف رحمه الله كانت قاسية جداً، ليست عليك فقط، ولكن على الجميع، ولكن دائماً ما تأتي الراحة بعد العواصف والمحن، شمس الصوصافيين ستشرق من جديد معك يا ملكهم الجديد".

وكأنّ الملك نجح أخيراً في احتواء غضب الصوصافي، بدأ يفكر بصمت، وعيون الملكيْن مركّزتان عليه. نهض الملك - قيراث - وحاول أن يشجع صوصاف:

"ألم تشتاق لحياتك الطبيعية؟ لمدينتك المفضلة؟ لأهلها الطيبين؟ ألم تشتاق لجميع هذه الأشياء؟ أمامك فرصة ذهبية لصنع التاريخ يا صوصاف، تخيل بأنك ستكون أول رئيسٍ صوصافيٍّ في هذا العمر، لا تضيّع مجهود الصوصافي الكبير".

تنهد الصوصافي حزناً، ومن ثم نظر إلى الملك - ثانوه - قائلاً:

"هل هذه جميع الأسرار التي خبّأتها عني؟ هل يوجد شيء آخر لا أعرفه؟".

"تبقّى سرٌّ واحد، ولكن لن تحصل عليه، إلا عندما تنجح في استخراج سبحة الصوصافي، وأعطيك ولائي وعهدي الدائمين، ولكن لا نملك الكثير من الوقت، علينا أن نتحرك سريعاً".

-61-

تحاول أن تحرك يديها لكي تفكهما وتتحرر من الحبال الملتفة حولهما، بدأت تنزف دون أن تشعر، وكأن الألم لم يعد موجوداً كما كان. رفعت رأسها لعلها ترى ما الذي ينوي - نهار - أن يفعله، هذا الرعب المسيطر عليها لا يجعلها تفكر بطريقة سليمة، كيف له أن يتحول في يوم وليلة من ملاك إلى شيطان لعين؟ كيف يضرب بكل تعاليم الصوصافيين العلوية، ويتجه إلى الدرك السفلي الإبليسي؟

كل هذه التساؤلات لم تستطع - هاميس - أن تفك شيفرتها الغريبة. هل أخوه - ليل - استطاع أن يسيطر عليه؟ هل هذه هي خطته لتدميرهما؟ هو قال بأنه لا يريد أن يقتلهما، بل أمنيته أن يجعلهما يتعذبان، وهذه المشقة دوماً ما تكون مهلكة ومميتة. تخيل بأنك تواجه مسدساً محشواً برصاصة واحدة، والذي أمامك لا يعرف أين سيكون مستقرها بالضبط. يجرّب المرة تلو الأُخرى إلى أن تفجّر رأسك خلال ثانية. هذا ما يحدث مع الزوجين بسبب ألاعيب - ليل - التي لا تنتهي.

أغمضت عينيها محاولةً أن تطرد جميع هذه الأفكار التي لن تفيدها الآن، حاولت مرة أُخرى فك قيودها ولكنها فشلت:

"نهار يا جبان، فك قيودي ودعنا نتحدث، هذه ليست طريقة حوار، هل نسيت بأننا متزوجان؟ إن كنت تريدني أن أسامحك فأثبت لي ذلك وحررني الآن".

سكتت لبضع ثوانٍ، كان لديها إيمان بسيط بأن هذه الخطة ستنجح، وسيلين قلب زوجها، ولكنه لم يظهر أمامها حتى الآن، والغريب بأنه لا يوجد أي صوت في غرفة المعيشة، وكأنه قد غادر المنزل.

رجعت تفكر مرة أُخرى، ولكن هذه المرة في حلمها الذي رأت فيه والدها المتوفى - صوصاف - كان يحذرها من شيء ما، يريد أن يعطيها شعلة الأمل لكي تقاتل من جديد، و استرجعت في ذهنها الإحساس والشعور الذي انتابها عندما تحدثت مع زوجها مؤخراً، فظهرت علامات الذهول على وجهها

عندما سألت نفسها:

"هل من الممكن أنّ ما أفكر فيه صحيحٌ؟ يا إلهي ولكن كيف؟ ما الذي سيجعلني أتأكد من هذه الظنون؟".

فكرة تأتي، وأُخرى تذهب بعيداً، هزت رأسها بقوة، وكأنها تحاول أن تطرد السموم من أفكارها، وتركز على المطلوب فقط، رفعت رأسها وبرق شعاع الأمل في عيونها، ابتسمت بتردد ومن ثم قالت:

"أظن بأنني أستطيع أن أريح رأسي من هذه الفكرة، الآن أستطيع أن أتأكد". صرخت بأعلى صوتها:

"أين أنت يا نهار؟ أريد أن أتحدث معك، أرجوك كف عن تصرفات الأطفال وواجهني".

فقدت الأمل بهذه المواجهة التي ربما تكون مصيرية جداً، وتغيرت خارطة حياتها بأكملها، أنزلت رأسها مستسلمة، ولكنها رفعته من جديد مذهولة عندما سمعت صوته:

"أنا هنا... ماذا تريدين مني؟".

-62-

على نفس شاطئ البحر الذي استطاع الصوصافي أن يشقه إلى نصفين، يركع أمام البحر وهو يتمتم بكلمات غير مسموعة، تكرّر المشهد ذاك، و انشقّ البحر إلى نصفين وارتفع غير مبالٍ بجاذبية الأرض. الأسماك بدأت تتطاير من مكانها، والطيور استغلت هذه الفرصة، وأخذت نصيبها لهذه الليلة من وجبة العشاء. ظهر التعب المفاجىء على الملك - ثانوه - وكاد أن يسقط أرضاً، ولكنّ صديقه الملك - قيراث - جعله يتكئ عليه:

"ماذا بكَ يا صديقي؟". سأله -قيراث-.

"إنه يقترب من أخذ خدمتي وولائي، وهذا الشيء تكرّر معي كثيراً، و آخر مرة حدث مع صوصاف المتوفي. لا أعلم ما سبب هذا التعب، ربما شيء إلهي لا أفقهُ فيه، ولكن أشعر بأن طاقتي تنفذ، إلى أن أعطي الشخص المطلوب ولائي". فسّر - ثانوه - حالته وهو يسعل بشدة.

وقف الصوصافي، وكانت ملامحه غريبة جداً، قوية بشكل لا يُصدق، وكأن الأسرار التي كانت مخبئة عنهُ وعرفها أخيراً، استطاعت أن تقوي من شخصيته، وهذا شيء يحدث مع جميع الناس، فالمعرفة قوة والجهل ضياع، صرخ بأعلى صوته منادياً:

"بحق جميع الأسماء التي تلوتها، وبحق عظمة الصوصافيين، أنا أعلنها من مكاني بأنني سيد الصوصافيين الجديد، سأحارب السحرة السفليين بالسبحة العظيمة، وبالملك الجليل، أنا الوارث القادم، أنا القوي الأمين، أنا من سيحارب إبليس اللعين، أنا الصوصاف، آمركِ أيتها السبحة العظيمة أن تأتي راضية مرضية إلى يدي، وأن يعم الهدوء مرة أُخرى على قطرات هذا الماء الكريم".

اهتزت الأرض مرة.. .مرتين.. والثالثة كانت قوية جداً، وكأن الكرة الأرضية بأكملها قد أصابها هذا الزلزال العظيم. خرجت السبحة الصوصافية من أبعد مكان في البحر، وطارت إلى

أن استقرت فوق رأس الصوصافي الذي رفعه وهو ينظر إليها. كانت مشعّة ببياض لؤلؤي ساحر، هبطت رويداً رويداً إلى أن طوّقت عنقه. أخذها وأمسكها وشعر بقوة لم يشعر بها من قبل.

وقف الصوصافي أمام الملك - ثانوه - ومدّ السبحة الروحانية أمامهُ قائلاً:

"آمركَ أيها الملك العظيم أن تعطيني العهد والولاء، بحق هذه السبحة المجيدة، التي تحمل بها أسرارك وقواك العظيمة، آمرك أن تكون لي حليفاً وصديقاً، ولا تعصي لي أمراً في الخير، وأن تمنعني عن سلوك طريق الشر، وأن تحارب معي إلى أن تدق الساعة وتصعد أرواحنا إلى المولى عز وجل. أطلب منك القوة والهيبة والأسرار والعلم والمعرفة، هاتِ ولاءك أيها الملك ثانوه، وهذا طلبٌ من عبدٍ صوصافي يريد أن يكمل حياته في الطريق العلوي".

انحنى الملك - ثانوه - أمام الصوصافي قائلاً بتعب واضح:

"أعطيكَ الولاء والعهد الطويل والمديد، سأكون معك أينما تكون، أقرب إليك من ظلك، أطهّر لك روحك، و أكون أنقى لك من الهواء، و أكثر أمناً لك من وطنك، لك الولاء والطاعة أيها الصوصافي".

ابتسم الملك - قيراث - لما رآه أمامه من عهد جديد، يجمع ملك الصوصافيين الجديد، بحاكم ملوك الجن العلويين. نهضَ الملك - ثانوه - ووقف أمام صوصاف، الذي نظرَ إليه نظرة ثاقبة:

"هاتِ الآن سرك الأخير يا ثانوه، ولا تخبىء عليّ شيئاً أبداً".

أخذ الملك نفساً عميقاً، يدل على أنّ السر التالي خطيرٌ جداً، وبدأ يتكلم...

-63-

يقف - نهار - أمام - هاميس - المقيدة، يتكلم وهي تدرس تعابير وجهه ونبرة صوته، وكأنها تراه لأول مرة:

"لا أعلم لماذا لا تريدين الانضمام إليّ يا هاميس، طوال حياتنا ونحن نمشي على طريق الصوصافيين، أرجوكِ قولي لي: ماذا استفدنا؟ طردونا وعذبونا في أرض الجنة، وأصبح لا قيمة لنا، كنت أرى بأن طريق عائلتي كان خاطئاً، ولكن اليوم أنا موقنٌ بأنه هذا هو المسلك الصحيح، هو نفسه الدهليز الذي يؤدي إلى عتبات إبليس الكبير، ستشعرين به بالقوة العظمى، جميع الدول والحكومات تريد أن تسلك هذا المنهج، إنه يقويهم، هو المستقبل والحاضر والماضي، هو الذي سيفوز في النهاية، حزب الشياطين هو الأقوى يا هاميس، أرجوكِ فكري قبل أن تخسريني إلى الأبد".

حتى هذه اللحظة- هاميس - تنظر إليه بطريقة غريبة، مما زاد استغرابه:

"لماذا تنظرين إلي هكذا؟ هل اقتنعتِ أخيراً؟ لو أعطيتِني وعداً، فسأفك قيدكِ ونعيش باقي حياتنا في العالم السفلي، لن يستطيع أحد أن يتغلب علينا، بل سنكون أنصاراً لهم، ونرجع إلى مدينة أرض الجنة، ألم تشتاقي لمنزلكِ؟".

"تريدني أن أعطيكَ وعداً؟ هل هو نفس الوعد الذي أعطيتني إياه عندما قلتَ بأنك ستحميني وتحبني إلى الأبد؟".

"وأنا لم أكذب إطلاقاً، أنا حتى الآن ملزم به، سأحميكِ بقوة إبليس العظيم، وسنشكل حزباً لن يستطيع أحدُ المساس به أبداً، ضعي يدي بيدكِ يا هاميس، فقط قولي بأنكِ موافقة، وسأرتب مراسيم دخولكِ إلى العالم السفلي".

ضحكت -هاميس- بسخرية واضحة، وقالت مستفزة لهُ:

"مراسيم؟ هل هناك شيء كهذا في عالمكم المقرف؟ أظن بأن بابَ الدخول إلى عالم إبليس مفتوحُ ولا يحتاج إلى هذه المراسيم، لأنه سهل جداً، عكس الباب العلوي والذي يسلكه

الصوصافيون العلويون. أنت مضحك جداً يا نهار، لا لستَ فقط مضحكاً، بل أنا أشفق عليك كثيراً، يا إلهي! كيف كنتُ أشاركك حياتي طوال هذه الفترة".

ظهر الغضب على وجه زوجها، ولكنه قرر أن يمسك أعصابه، فقال مبتسماً:

"لا تتسرعي يا عزيزتي، أستطيع أن أتركَكِ لتفكري دون أن أضغط عليكِ، ولكن إما متابعة الطريق معي، أو متابعة الطريق إلى الموت، لا خيار ثالث أمامكِ".

"هل تهددني يا نهار؟".

"لا تعتبريه تهديداً، ولكن أريدكِ أن تعتبريهِ خوفاً على مصلحتكِ التي أهتم لها كثيراً".

ابتسمت وهي خافضة رأسها، ومن ثم رفعته وشعرت بأنها هذه هي اللحظة المناسبة لكي تتأكد من شكوكها الكبيرة:

"أنا موافقة على الدخول معكَ في العالم السفلي، وسأكون تلميذة وفية لإبليس".

اتسعت عيون زوجها دهشة وفرحاً، كان يريد أن يتكلم ولكنها قاطعته:

"ولكن لن أدخل حتى تجيب على سؤالي".

تحولت ملامحه إلى الشك والاستغراب، فقال مصدوماً:

"وماهو سؤالكِ؟".

"اقترب مني وسأقوله لك".

تردّد - نهار - وشعر بأنّ هناك فخاً سيلقي به أرضاً، ضحكت - هاميس - :

"هل أنت خائف؟ أنا مقيدة يا نهار، كيف لي أن أؤذيك؟ حتى ولو كنتُ حرة، فأنت تعلم بأنني لست بتلك القوة".

اقترب منها بخطوات حذرة، قرّبَ وجههُ منها، فقالت له وهي تحدق به بتمعن:

"أنا نهار.... وأنت؟".

اتسعت عيونه دهشة، ولم يفهم مقصدها:

"ماذا تقصدين بأنكِ نهار؟".

ارتسمت الصدمة على وجه - هاميس - وتراجعَ - نهار - لبضع الخطوات إلى الوراء. شعر بأن اللعبة قد انكشفت، فقالت - هاميس - غير مصدقة:

"أنت.... أنت لست بنهار! أنت ليل!".

صمتَ ولم يعلق عليها، شعر لأول مرة بأنه لا يعرف ماذا يفعل، تارة يبتسم بجنون وتارة يسكت، سكن الرعب في نفس - هاميس - التي بدأت تصرخ بأعلى صوتها وهي تبكي:

"ماذا فعلتَ بزوجي يا حقير، أين نهار؟ ماذا حدث له؟ تكلم".

بدأ يضحك من جديد بطريقة شيطانية ومخيفة، اقترب منها وهمس في أذنها مفجراً قنبلة ستهز كيانها:

"و ماموقفكِ إن قلتُ لكِ بأنكِ عندما هربتِ من مدينة أرض الجنة فقد كنتِ قد هربتِ معي أنا وليس مع نهار، وأنه طوال فترة وجودكِ هنا، أنا من كان معكِ وليس أخي الضعيف، وأنكِ لم تري نهار منذ حادثة وقوع الحريق".

شعرت - هاميس - بأنّ الصداع الذي هجم على رأسها سوف يقتلها، اتسعت عيناها صدمة، لم تصدق ما سمعتهُ:

"ما الذي تقوله؟ لا....مستحيل! هذا يعني بأنني قد تزوجتك أنت ولم أتزوج بنهار؟".

"و لمَ تقولينها بهذا الشكل؟ لكِ الشرف يا أيتها الصوصافية القذرة، وبما أن الحقيقة قد بانت لكِ، حان وقت الانتقام الذي ضيعتُ لأجلهِ الكثير من وقتي، سلبتكِ حياتكِ، وجعلتُ أخي يُحرم منكِ، واستمتعت بجسدكِ، وانتهكت بشرفكِ كل شيء أريده، هذا هو الانتقام الذي كنتُ أريده".

"أنا لا أفهم... لا أفهم شيئاً!".

استمرت ضحكاته تتردد في زوايا المكان، فقال مجيباً على تساؤلات - هاميس - :

"كنتُ أعلم من البداية بأنكما ستقومان بفعل شيء مشين،

تجسستُ عليكما برفقة خدامي من الجن، وعرفتُ بأنّ نهاراً يريد إحراق المنزل، يريد أن يذبح أخاهُ ووالدته. تباً لكما! كيف تزعمان بأنكما نقيّان، و تدّعيانِ بأنّ الصوصافيين كالملائكة؟ و تريدان أن تقتلا أرواحاً بريئة؟".

"أنتم أقذر من الجميع، ووالدتكَ تستحق أن تموت يا ساحر، وأنت ستلحق بها لا محالة".

"وكيف ستجعلينني ألحق بها؟ وأنتِ مقيدة بهذا الشكل؟ حتى ولو حررتكِ فأنت ضعيفة جداً، تقولين بأنك صوصافية، ولكنكِ ورثتِ هذا الاسم فقط، لا تمتلكين أية خدمات ولا قوى خارقة، وهذا ما سهّل مهمتي، طوال هذه الفترة وأنا أتقن دور أخي المسكين، الذي أظن بأنه قد مات وتعفنت جثته منذ فترة طويلة، حاولتُ أن أدخلك معي في العالم السفلي ولكني أعترف بأنني قد فشلت، وأنا لا أحب الفشل أبداً، ولهذا فأنتِ ستموتين الآن وعلى يدي، وستذكرين ملامح وجهي عندما تفارقين الحياة".

اقترب منها، وبدأت تصرخ بأعلى صوتها، أمسكها من رقبتها وبدأ يخنقها بغل وبعيون غاضبة، حاولت أن تصارعه، أن تتمسك بحياتها، ولكنها شعرت بأن حياتها قد انتهت وولت، هل هذه هي الطريقة التي سترحل فيها عن الدنيا؟

فجأة... اهتزَّ البيت بطريقة مرعبة، حرّر - ليل - قبضته من حول عنق - هاميس - وهو يتلفت مرعوباً، ومن ثم جاء ذاك الصوت:

"ابتعد عنها يا ليل... لقد حان وقت الحساب".

التفتَ الساحر غير مصدقٍ! فرأى أخاهُ - نهاراً - يقف خلفه الملكان - ثانوه - و - قيراث -

الصوصافية - هاميس - لم تصدق عيونها، فسرعان ما أغمي عليها.

انطفأت جميع أنوار المكان، فصرخ - نهار - عالياً:

"لا تدعوهُ يهرب، أريده حياً".

انتشرت أصوات تكسير وتحطيم في أرجاء المنزل، ليل كان

يصرخ بأعلى صوته متألماً، أخيراً وقع في فخ أعماله، ومن كانا يمسكان به هما من كبراء ملوك الجن.

-64-

مع الهدوء الذي يخيّم على الغرفة، كان صوت الجهاز الطبي الخاص بدقات القلب عالياً جداً، متصلاً بجسد - هاميس - النائمة والتي يبدو عليها التعب والإرهاق، وجهها مصفر وواضح عليها بأنها تعاني من جفاف كبير، ولذلك يُوصل لجسدها الماء المغذي لكي ينقذوا ما تبقى من جسدها.

تعابير وجهها مؤلمة، و متقلّبة، تارةً تكون هادئة، وأُخرى كأنها تتألم. هي تنفصل عن العالم الآن وتحظى بشرف ضيافة أحلامها، ولكن وكأنه حتى في هذا العالم الجميل، ينتابها الشعور بالفزع والرعب.

فتحت عينيها بصعوبة، بدأت تنظر إلى المكان باستغراب تام، تسأل نفسها: كيف وصلت إلى المستشفى؟ هل ما مرت فيه في الفترة السابقة كان حلماً؟ شعرت بالرعب الشديد عندما شاهدت كمية الأجهزة الطبية الموصلة لجسدها، فتحت فمها ولكنها شعرت بأنه جافٌ جداً. أخذت كوب الماء الموضوع بجانب رأسها، وارتشفت القليل منه. أخيراً أحست بالحياة، كأنها كانت مدفونة في حفرة في أقصى بقاع الأرض، حاولت أن تنهض من مكانها ولم تستطع، قالت منادية بصوت ضعيف ومرهق:

"هل يوجد أحدُ هنا؟ لماذا تضعوني في هذا المكان؟".

أغمضت عينيها مرة أُخرى ولكن سرعان مافتحتهما، عندما سمعت صوت أقدام تجري باتجاهها، رأت ذاك الشخص يقترب منها بسرعة كبيرة، صرخت بأعلى صوتها قائلة:

"لالا... أرجوك اتركني".

اقترب منها الشخص وأمسك يدها كي يشعرها بالأمان:

"لا تقلقي يا هاميس أنا معكِ الآن".

دون أن تشعر، بدأت عيناها تنغلقان مرة أُخرى، بسبب كثرة التعب والمهدئات التي تمر عبر جسدها، قالت بخوف شديد:

"ارحل عني يا ليل، يكفي ما فعلتهُ به".

نظر إليها الشخص بعيون حزينة مكسورة:

"أنا لستُ بليل يا هاميس، أنا حبيبكِ نهار، لقد انتهى كل شيء، لن تري ليلاً أبداً، سأحميك يا هاميس كما وعدتكِ".

كانت تريد قول شيء ولم تستطع، اقترب منها - نهار - ووضع أذنه بجانب فمها، فقالت:

"أريد أن أثق بك...

أنا نهار.....".

ابتسم لها بنظرات مشفقة، نعم كان يتألم وهو يرى حبيبته بهذا الحال، همسَ لها قائلاً:

"وأنا هاميس... أنتِ نهار وأنا هاميس، أنا حبيبك نهار، صدقيني يا حبيبتي".

أخيراً بانت الابتسامة التي تدل على الراحة النفسية:

"لقد....اشتقتُ إليك... كثيراً... أرجوك.... لا تتركني...أرجوك".

و غطّت في سبات عميق، فجلس - نهار - يداعب خصلات شعرها، وينظر إليها ودون أن يشعر بدأ يبكي على حال حبيبته، وضع يده على رأسها، وبدأ يتلو كلمات مباركة عسى أن تساعدها في إيجاد الراحة المؤقتة، فما مرت به لم يكن بالأمر السهل أبداً.

حدث سابقاً...

يقف - ليل -في ساحة منزلهم الخلفية، أمامه أحد خدام الجن السفليين الخاصين به، إنه طويل القامة، ذو بشرة سمراء، عيونه حمراء مخيفة، وأسنانه تميل إلى الاصفرار، يرتدي عباءة سوداء منقوشة بحروف سيريانية تُكتب باللون الأحمر المشع.

-ليل - يبدو في حالة غضب، والتوتر واضح عليه، نظر إليه خادم الجن باستغراب وقال:

"سيدي ليل، لم أرك من قبل بهذا الشكل، ما الذي يشغل بالك؟ أنت مُرني وأنا أنفذ لك ما تريده".

"أخي نهار قرّر أن يتمرد عليّ.. هل لك أن تتخيل ذلك؟".

خاف الجني أن يقول رأيه بكل أريحية ويُعاقب من سيده، فسكتَ وبانت علامات التوتر على وجهه، نظر إليه - ليل - وزجره بقوة:

"لم أحضرك إلى هنا لكي تصمت، قل ما الذي يدور في ذهنك؟".

"مع كل احترامي لك يا سيدي، لكني أقولها لك: أخوك منبوذٌ من العالم السفلي، هو يهوى العالم العلوي، ويميل إلى الصوصافيين، ولن أصدم لو فكّر بأن يؤذيك".

"لا أحد يستطيع أن يؤذيني يا خادم". صرخ - ليل - غاضباً.

انحنى الجني السفلي احتراماً لسيده:"لم أقصد ذلك يا سيدي، وأنت تعرف هذا، قل لي ماذا تريدني أن أفعل؟ وسيُنفذ".

وضع -ليل - يده على ذقنه مفكراً، ومن ثم قال وهو ينظر إلى المدى البعيد:

"هو لا يعرف بأنني أسبقه بخطوتين، إنه ينوي حرق منزلنا لكي يذبحني أنا ووالدتي، ولكن سوف أقلب الخطة عليه، سأدعه يُحرق المنزل، وأجعله يظن بأنه منتصرٌ، ولكني سأخرج من المنزل دون أن يشعر، وأريدك أن تخطفه وتذهب به بعيداً، وتنتظر أوامري منك".

"ولكن لماذا تتركه يحرق المنزل؟ بهذا الأمر ستموت والدتك".

ابتسم - ليل - بشر كبير وقال:

"وهذا ما أريده يا خادمي المطيع".

"لم أفهمكَ يا سيدي!".

"دعه يحرق المنزل ويظن بأنه قتلني، ودعه يقتل والدتنا، لكي أستحوذ على منصب رئيس المدينة، وإن فعلتُها فلن أسير على خطا والديّ، بل سأحرق جميع الصوصافيين بالنيران السفلية".

ابتسم له الجني السفلي، وكأنه تلذّذ بخطة سيده الشيطانية.

حدث سابقاً...

في إحدى أعلى السموات الأرضية، يطير الملك- ثانوه - وأمامه ملكٌ صغيرٌ من الجن يُطلق عليه - زوبعة - يتحاوران والغيوم الكثيفة عليهما شواهد.

"ما الذي توصلتَ إليه يا زوبعة؟".

"ليل يخطط لعملية انقلاب على خطة أخيه نهار، لقد أوصى خادميه بأن يخطفوا نهاراً بمجرد أن يحرق المنزل، وسوف يذهب مع هاميس بعيداً".

سكتَ الملك - ثانوه - مفكراً، ومن ثم قال له بنبرة جادة:

"عندما يتم خطف نهار من قبل الجني السفلي، أريدك أن تلحق بهما وتحرقه، وتأخذ نهاراً، وتذهب به إلى إحدى الكهوف البعيدة التي أخبرتك عنها".

"ولكن يا سيدي، ليل سوف يأخذ هاميس ويرحل، إنه سيخطفها و يتظاهر أمامها بأنه نهار".

"دع عنك هذا الموضوع، لا شأنَ لنا به".

سكت الملك - زوبعة - وبانت عليه علامات عدم الرضا، فقال له الملك:

"لماذا أنتَ حزين يا زوبعة؟".

"لماذا لا نتخلص من ليل؟ لماذا نطيل هذه اللعبة القذرة؟ أنت تعلم بأنّ ابنهُ سوف يستغل الصوصافيين، هاميس ليس لها علاقة بكل هذه الصراعات".

"صدقني أنا أشاطرك نفس الرأي، ولكنّ الأمر ليس بيدي، هذا القرار جاء من قبل صوصاف قبل أن يتوفى".

اتسعت عيون - زوبعة - ذهولاً:

"هل تقول لي بأنه يعلم بأن ابنتهُ هاميس سوف تتعذب، ولا يريد أن يخلصها من الساحر ليل؟".

"هناك أمورٌ يا صديقي لا تستطيع أن تفهمها، ولكن خلفها حكمة كبيرة، أنجز عملك يا زوبعة ولا تطل هذا النقاش".

"سمعاً وطاعة يا ملكي العزيز".

طار الملك - زوبعة - بعيداً، وظل الملك - ثانوه - يطير بين السحاب بسرعة كبيرة، وعلى وجهه تعابير غاضبة، وكأن الخطة لا تعجبه إطلاقاً، ولكنه قد أعطى وعده للصوصافي، ولا يستطيع أن يتراجع عنه.

-65-

"لا أصدق ما أسمعهُ منك يا نهار".

قالتها -هاميس - باكية وهي تستلقي على فراش المستشفى وتنظر إلى - نهار - ذي الملامح الحزينة والمكسورة.

"للأسف هذا ما حدث يا هاميس، هذه هي الحقيقة كلها، كلّ ما مررنا به كان عبارة عن خطة مدروسة من والدك رحمه الله صوصاف".

"ولكنها خطة قاسية جداً، كيف استطاع أن يوافق عليها؟ لقد ذقتُ جميع أشد أنواع المرارة في الفترة الماضية، لقد كنت أُقتل في الليلة مائة مرة، عندما استيقظتُ ورأيت بأنني في المستشفى تمنيت أن يكون ما رأيته حلماً، هل فهمت مدى معاناتي التي عشتها؟".

وضع يده على يدها مواسياً إياها وقال:

"أعلم بأن المرحلة السابقة كانت قاسية جداً، ولكن التضحية ضرورية لكي ترجع الأمور إلى وضعها الطبيعي، هذا ما فهمته من تجاربي".

نظرت إليه مستغربة: "ما الذي حدث لكَ بالضبط يا نهار؟".

ابتسم محاولاً أن يتذكر جميع ما مرّ به:

"فتحتُ عيوني ووجدت نفسي في كهف مظلم، آخر شيء أستطيع أن أتذكّره هو حرقي لمنزل عائلتي، شعرت بالرعب الكبير و أنا موجود هناك، للوهلة الأُولى كنت متأكداً بأن من يخطفني هو أخي ليل، ولكن عندما رأيتُ ملكيّ الجن ثانوه وقيراث استبعدتُ هذه الفكرة سريعاً. جعلوني أتأسّس من البداية على علم الروحانيات، درّسوني وسهّروني لكي أصبح صوصافياً كبيراً، وهذا طبعاً بناء على طلب والدكِ المتوفي صوصاف، رأى فيَّ القائد الجديد، الذي يستطيع أن يكمل مشواره الصوصافي، في بداية فترة حبسي في الكهف كنتُ أكره نفسي كثيراً، لم أكن أريد أن أستمر في تلك المهمة التي حملتها فوق رأسي، ولكنني بعد عدة أيام قررت أن أرضى

بقدري، خاصةً وأنهما كانا يقولان لي بأنكِ بخير، لم يوضحا لي الصورة كاملة، لأنني لو عرفت بأنك تعيشين في هذا العالم مع أخي ليل في منزل واحد، لكان موقفي قد تغيّر كلياً، ولكنهما أخفيا عنّي الحقيقة لكي لا يشتتوني وأنا رهن التطور في العالم الصوصافي".

"إلى الآن لا أستطيع أن أصدق بأنّ الذي كان معي طوال الوقت هو أخوكَ ليل! ولكن هناك شيء لم أستطع أن أفهمه، لقد كنتُ أراكما في نفس الوقت يا نهار! وكان يوهمني بأنّ من يهجم علينا، ويخطفني ويفزعني هو ليل".

"لقد كان يستخدم قواه السفلية يا هاميس، جعل إحدى خادماته من الجن تتشكل على هيئتي، هذه هي خطته المرسومة بإتقان لكي ينتقم منكِ ومني، ولكنه غضب كثيراً عندما عرف بأنني مفقود، وهنا بدأ يفقد أعصابه واتزانه، وأتوقع بأنكِ لاحظتِ ذلك في الأيام القليلة الماضية".

"نعم..نعم، لقد تغيّر كلياً وبشكل سريع، كنتُ أظن بأن الشخص الذي يقف أمامي ممسوسٌ، ولكنها كانت بداية النهاية له، وأحمد الله بأنكَ جئت لإنقاذي في الوقت المناسب".

ابتسم - نهار - باستيحاء غريب، ولزم الصمت، شعرت - هاميس - بهدوئه الغريب فقالت:

"إذن ما الخطة الآن؟ ما الذي سيحدث لليل؟ وما الذي سيحدث معنا؟".

"ليل سوف ينال حسابه سريعاً، خطة والدكِ الصوصافي سنجني ثمارها قريباً، وسترجع أرض الجنة إلى أرض جنة الصوصافيين مرة أخرى".

"ولكن خطة أبي الى الآن غير مفهومة، لماذا حملنا كل هذه المشقة؟".

"في كل الحكايات التاريخية، الظالم يطغى وينجح ويفتخر بنفسه، إلى أن تدور عليه الدنيا، حكايتنا مشابهه جداً لما أقوله، أبوك صوصاف ومن خلال رؤية مباركة قد زارته، علم

بأنه لن يستطيع أن يغير شيء إلا عندما يستحوذوا السفليين على المدينة بأكملها وبمساعدة القادة السياسية، ولكن هؤلاء القادة هم من سوف يغيرون الصورة بالكامل عندما يقنعوا بأن قرارهم مبنياً على خطأ، وفي كل حكاية هناك تضحيات، ونحن من تم التضحية بهم".

"حسناً.... وما الذي علينا ان نفعله الآن؟".

"هذا الذي أريد أن أقوله لكِ يا هاميس، هناك شيء يعذبني من الداخل، بل يقتلني في كل لحظة أقضيها معكِ الآن".

عدّلت - هاميس - من جلستها، وقالت مستغربة وخائفة:

"وماهو هذا الشيء يا نهار؟".

"هاميس... أنا آسف جداً على ما سأقوله، أنا أنقذتكِ من ليل وهذا واجبي، وجئتُ للاطمئنان عليكِ وأيضاً هو واجبي، ولكن بعد أن أرحل من هنا، لن نرى بعضنا أبداً".

اتسعت عيونها دهشة، وقالت غير مصدقة:

"ما الذي تقوله يا نهار؟ هل تريد أن تهجرني؟ ولكن لماذا؟ هل حبك تبدّل؟ هل قلبك لم يعد ينبض لي؟ أم بسبب ما حدث لي، هل أصبحتُ لا أشرفك؟".

"لا تقولي ذلك أرجوكِ، ولكنني لا أستطيع أن أكمل معكِ". قالها بحزن شديد

"ما الذي تقوله يا نهار، هل جننت؟ "قالتها صارخة بغضب.

نزلتْ دمعة حزينة من عين - نهار - وقال متأثراً:

"هذا فراقُ بيني وبينكِ يا هاميس".

حدثَ سابقاً منذ سنوات...

يقف الملك - ثانوه - أمام زعيم الصوصافيين - صوصاف - ويقول الملك مستغرباً:

"جميع ما قلته له سوف ينفذ يا صوصاف، ولكن هناك شيء لم أفهمه، في الحقيقة خطتك بأكملها غريبة وقاسية جداً، ولكن هناك شيء واحد أريد تفسيره منك".

"وماهو هذا الشيء؟".

"لماذا تريدني أن أحمي ابن الساحر - آمون - ابنه الذي يُطلق عليه اسم - نهار - لماذا أحمي شخصاً جذوره تنبع من عائلة إبليس اللعين؟".

"لأن نهاراً هو التفاحة الصالحة من بين جميع التفاحات الفاسدة في شجرة عائلته".

"لم أفهم!".

"نهار له ميول للعالم الصوصافي، هو صغير جداً الآن، وهذا الميول يحتاج إلى توجيه، ولكنه سيزول منه مع الوقت، لأنّ أخاهُ ليلاً يلح عليه كثيراً باتّباع الطقوس و العلوم السفلية، وإن تركناه بيد الشياطين فسوف تفشل خطتنا بالكامل".

"إلى الآن لم أفهمك يا صوصاف، أرجوك أوضح لي أكثر، كيف لحمايتي أن توجّهه إلى العالم الصوصافي".

"سأقول لك السر الذي تريده يا ثانوه لكي ترتاح، عندما زارتني زوجتي في السجن، جلبت معها ابنتي هاميس وخطفت ابن الساحر - آمون -، لقد كان نهارٌ موجوداً أيضاً، وفي تلك اللحظة ألقيت بتعويذة طاهرة على ابنتي ونهار، جعلتهما يتعلقان ببعضهما البعض، وهذا التعلق سيولد الحب الكبير بينهما مع الأيام. وإن كان سيعشقها فهو سيميل إليها و إلى عالمها الصوصافي، وهنا نستطيع أن نكسبهُ. هو الوريث الوحيد لي يا ثانوه، شئنا أم أبينا، هذه هي الرؤية المباركة التي رأيتُها في منامي، الله كتبَ عليه هذا المصير، هذه الخطة قاسية جداً ومميتة، ولكنها واجبة يا صديقي".

لم يعجب الملك كلام الصوصافي، فقال محذراً:

"اللعب بالقلوب خطيراً جداً يا صوصاف، أنت تريد أن تجعل نصيبهما واحداً وهذ لا يجوز، أخاف عليك من الإثم يا صديقي".

"أعلم بأنه لا يجوز، وأنتَ تتكلم عن ابنتي، صدقني لا يوجد أحدٌ يخاف عليها ويحبها أكثر مني، ولكن هذه المرحلة تحتاج إلى التضحيات، هل أنا أنانيّ؟ ربما! ولكن في النهاية، ابنتي ستعيش حياة راغدة برفقة زوجها زعيم الصوصافيين الجديد. المرحلة القادمة هي مرحلة الشباب، ثورة الإيمان اليافع التقي، انتهت مرحلتي يا ثانوه، وأعلم بأن كلامي لا يعجبك إطلاقاً، ولكن المكتوب مكتوب، سيصيبك حتى لو كنتَ مختبئاً في أعمق حفرة في أبعد بقعة في كوكب الأرض".

-66-

تجمدت ملامحها، صوت جهاز قياس القلب بدأ يتصاعد محذراً من خطر قادم لا محالة، نزلت دموع - هاميس - وهي تنزل لأجل حبيبها - نهار- و قالت:

"إذن ما تقوله بأننا عشنا وكبرنا وشعرنا بإحساس كاذب بالحب؟".

"حبنا خدعة يا هاميس، خرج من تعويذة من قبل والدك الصوصافي، جعلنا نشعر بأن أرواحنا تعشق بعضها، ولكن في الواقع هي أوهام وأحاسيس كاذبة".

"لا..لا أنا لا أصدق هذا، أنا أحبك يا نهار، وحبك هو ما يجعلني أعيش.. وأتنفس.. وأحب الحياة، بل أنت الحياة كلها، لن تستطيع أن تقنعني بأن كل هذا عبارة عن وهم عابر".

لم يتمالك - نهار - نفسه، وبدأ يبكي هو الآخر:

"أريد أن أكذّب نفسي، وأكذّب الملك ثانوه عندما أخبرني هذا السر الكبير، ولكنني لا أستطيع، أرى أمامي الفتاة الوحيدة التي عرفتْ كيف تجعل قلبي يتراقص فرحاً، جعلتني أواجه العالم كله برفقتها، كنت أحلم بكِ في كل يوم قضيته في ذلك الكهف، أتكلم الآن وأنا أشعر بضعف لا أحبه، أحبكِ يا هاميس صدقيني أحبكِ، ولكني لا أريد أن أنهض من نومي يوماً ويختفي مفعول هذه التعويذة، لا أريد أن أراكِ بطريقة مختلفة عن التي أراكِ بها الآن، لا أريد أن أكسر قلبكِ وأحطم فؤادكِ.

في نهاية المطاف اتضح بأنّ حياتنا كانت مسلوبة منا يا هاميس، منذ صغرنا إلى يومنا الحالي، عشنا لكي يكون لنا دورٌ قاسٍ في هذا المجتمع، كُتب علينا أن نحمل الهم والشقاء منذ نعومة أظفارنا، كل هذا من أجل تحرير الصوصافيين من وباء سيهجم عليهم، لم يقضِ عليهم أبداً، لأنهم سيرجعون كما كانوا سريعاً، ولكنه قضى علينا وعلى حبنا".

هزت - هاميس- رأسها غير موافقة، عيونها تذرف دموعاً

بغزارة تنفطر لها القلب:

"أنت مخطىء يا نهار، لا أبالي إن كان حبنا عبارة عن تعويذة أم لا، لن أسامحك أبداً إذا لم تغير فكرتك هذه، نحن سنكمل مع بعضنا البعض، ونحب بعضنا أكثر وأكثر، ونتزوج، وننجب الأطفال، ونراهم يكبرون أمامنا، وسنعلمهم على العالم والطقوس الصوصافية، سنفعل كل هذا يا نهار".

"ولكن كيف يا هاميس؟". قالها وهو ينظر إليها نظرة بائسة ومحطمة.

"لو كان حبنا يعتمد على تعويذة كما تقول، فاتركنا تحت مفعول هذا السحر، فما هو الحب يا نهار؟ إنه سحر... شيء أشبه بالجنة، ألا تريد هذه الجنة برفقتي؟".

"أريدها ولكني لا أستطيع أن أكمل مع شخص اجتمعتُ معه بسبب تعويذة، أرجوكِ افهميني يا هاميس".

"إذن لا تُكمل في عالم الصوصافيين، لابدّ من أن تصبح ساحراً".

نظر إليها مصدوماً، وقال: "تريدينني أن أصبحَ ساحراً؟".

"هذا منطقكَ يا نهار، تقول بأنك تهابُ أن تلغى التعويذة في يومٍ ما، ويختفي حبنا بداخلك. إذن إذا حلّت اللعنة فأنتَ سترجع إلى أصلك الحقيقي... ساحر! لأنّ هذه اللعنة جعلتك تتجه إلى العالم العلوي، كما جعلتك تتجه إلى طريق حبي".

"لا يا هاميس، أنتِ مخطئة، أنا منذ صغري أكره العالم السفلي، والدكِ جعلني أعيش معكِ أجمل قصة حب، لن أنساها أبداً، ولكنه ساعدني أيضاً في اختيار الطريق الصحيح، حتى لو فُكّت هذه التعويذة، فقلبي سيكون متجهاً إلى الصلاح دائماً، لن أتخلى عن الصوصافيين أبداً".

"كم أنت قاسٍ يا نهار، تتكلم بشغف كبير عن الصوصافيين، ولا تريد التخلي عنهم، ولكنك تريد أن تتخلى عني بكل سهولة، كيف أصبح قلبك بهذه القساوة؟".

نهضَ - نهار - من مكانه وهو يمسح دموعه، قبّلها على رأسها، فشدته من قميصه بقوة وقالت كأنها طفلة تخاف أن

تفقد والدها:

"لا... لن ترحل! هل تريد أن تلقي بهذه القبلة على رأسي لكي تغادر؟ لن أسمح لك يا نهار، أنا أحبك هل تفهم ما أقوله؟ أرجوك لا تهدم حياتي أكثر مما هي مبعثرة وحزينة، لن ترحل يا نهار، شئتَ أم أبيت لن أدعك تهجرني، هل تسمع؟".

"أنا آسف يا هاميس ولكن عليّ أن أرحل، لن تحتاجي إلى شيء أبداً، فسوف أوصي بكِ جميع من أعرفهم لكي يلبوا جميع طلباتكِ".

"أنا لا أريدهم ولا أملكُ طلبات، أريدكَ أنت، تباً لك يا أحمق! لا تكسر قلبي يا نهار، أنا أحبك وأنت تحبني، لا تجعلنا نخسر هذا الشعور أبداً".

حرَّر - نهار - نفسه من قبضة هاميس، وقال لها وهو مغادرٌ وباكٍ:

"إلى اللقاء يا هاميس... أتمنى لكِ كامل الصحة والأمان".

بدأت تصرخ - هاميس - بطريقة هيستيرية، تبكي وتصرخ بأعلى صوتها:

"ارجع يا نهار... نهار أنا أحبك.... نهار!!".

يحدث الآن!

بيان حكومي

بعد انتهاء التحقيقات الجارية في قضية حرق منزل رئيسة المدينة السيدة - كليوبترا - أصدرت الحكومة العليا حكماً بالسجن المؤبد على ابنها السيد - ليل آمون - وذلك بسبب تورطه في الحادث، وبسبب خطفه للسيدة - هاميس صوصاف - وتعذيبها وترهيبها، وأيضا لأنه كان يدير وكراً للسحر والعلوم السفلية.

وقررت الجهات العليا أن تعيد الحكومة السابقة لكي ترأس المدينة، وأن يُعاد تسمية المكان بمدينة أرض جنة الصوصافيين من جديد، أملاً بأن يسترجع سكان المدينة الإحساس بالشعور والطمأنينة، وسيُحاسب أي شخص شاركَ في المؤامرة الظالمة التي نفّذت ضد الصوصافيين المسالمين. و اعتباراً من هذه الليلة لهم كامل الحرية في ممارسة طقوسهم المسالمة، دون أن يحاسبهم أي شخص على ذلك.

هذه القرارات الهامة جاءت بعد ما رأينا الظلم والتراجع الأمني يسود المنطقة، لا نريد صراعات بين أحزاب متفرقة، أدام الله الحب والأمان على هذه الأرض المباركة.

-67-

يقف - نهار - أمام البحر الهادئ، يرفع رأسه فتضرب وجهه أشعة الشمس القوية جداً، يدخل يده في جيبه فيخرج صورة لحبيبته - هاميس- ينظر إليها بنظرات امتزجَ فيها الحزن والفرح، سرعان ما يُدخلها في جيبه من جديد، ويلتفت ليرى الملكان - ثانوه - و - قيراث - واقفين أمامه، فيقول بنبرة جافة:

"لم يعجبني ما سمعته يا صديقيَّ؟".

"ماذا تقصد؟ "قالها الملك - ثانوه - مستغرباً!

"البيان الحكومي الذي صدرَ البارحة، لقد اتهموا أخي ليل بحرق المنزل، وأنا من فعلتُ ذلك، لا أريده أن يُحاسب على جناية لم يفعلها".

تقدم الملك - قيراث - وقال:

"هو سيحاسب على أعماله الكثيرة، ولن يضره إذا اتهموه بحرق المنزل، لقد كان يعلم بخطتك وجعلك تقوم بها لكي يستولي على الحكم من والدتكما، لا تقلق يا صوصاف... أقصد يا نهار، يا إلهي، لقد تعودتُ أن أقول لك: صوصاف".

ابتسم نهار وقال: "اسم صوصاف مميز جداً، لا أستطيع أن أصف هذا الرجل رحمهُ الله، هل هو سبب شقائي أم فرحي؟ هو الذي قرر أن يبعثر أوراق حياتي بكل سهولة، ولكن حمداً لله على ما جرى، الآن المدينة سترجع كما كانت، للصوصافيين ولغيرهم، ولن يعاني أيُّ روحانيّ مهما كان توجّهه، وبصفتي رئيساً للصوصافيين، فأنا لا أريد محاربة ومطاردة السحرة، ولكن سأحمل سيفي في وجوههم لو فكروا بذلك، وأحمد الله أيضاً بأنني حظيتُ بملكٍ كبيرٍ مثلكَ يا ثانوه".

ابتسم الملك - ثانوه - وانحنى احتراماً وتقديراً لنهار.

"وأنا؟ هل نسيتني؟ لقد أعطيتكَ ولائي أيضاً". قالها الملك -قيراث - ممازحاً.

"لالا لم أنسَك أبداً يا صديقي". ردّ عليه نهار ضاحكاً.

"يا إلهي! لقد نسيتُ بأنك أعطيتَ ولاءك لنهار، الآن سوف أراك طيلة حياتي، لقد ظننتُ بأنني سأتخلص منك عندما ينتهي هذا الموضوع". قالها الملك - ثانوه -.

ضحك الملك - قيراث- قائلاً:

"لن تستطيع أن ترتاح مني إلا بعدما أموت يا صديقي ذا الوجه العابس".

ضحكوا جميعهم، لم تمر عليهم ليلة مفرحة وهادئة كهذه منذ أن التقوا. اقترب الملك - ثانوه - من نهار وقال له:

"أريد أن أنصحكَ يا نهار، وأنت حر في أن تأخذ بنصيحتي أو ترميها في البحر الذي أمامك، الوقت لم يفت بعد يا صديقي، حاول... أرجوك". قالها وأشار إلى جيبهِ الذي يحمل داخلهُ صورة - هاميس - .

ابتسم - نهار - بحزن، وقال بصوت غير مسموع:

"أظن بأنَّ هذا القطار قد رحل عني، ولا أستطيع أن ألحق به".

يحدث الآن!

يوجد العديد من محطات التلفاز، ومجموعة كبيرة من الصحفيين والمراسلين، جميع أبناء أرض جنة الصوصافيين يجتمعون في وسط المدينة، من أجل حضور محاكمة الساحر - ليل - أمام الجميع.

دخلت قوات الجيش و عناصرهم يمسكون به وهو مقيد بالسلاسل، كان ينظر إلى الناس باسماً ومنتصراً رغم أنه في آخر مراحل خسارته، أوهم الجميع بأنه غير مهتم حتى ولو طبقوا عليه عقوبة الإعدام الشنيعة.

صعد إلى المنصة، لفُّوا الحبل السميك حول رقبته، وسأله قائد الجيش:

"هل لديك طلب أخير؟ هل تريد قول شيء أخير يا ليل؟".

ابتسم بخبث، ونظر إلى الجميع وصرخ بأعلى صوته:

"أنا ليل... تعرفونني جيداً، ابن الشيطان العظيم، هل تظنون بأنني حزينٌ؟ أنا سعيدٌ جداً، لأنني مشيت في طريق العالم السفلي، وكنت مرعباً جداً فيه، أرى العديد من الوجوه السعيدة بسبب مصيري، وأرى بعضاً من حلفائي السابقين الذين يختبئون بينكم... نعم نعم أنا أراكم يا جبناء، وأرى عيونكم الحائرة يا شعب أرض الجنة... لن أسمّيها أرض الصوصافيين حتى ولو متُّ الآن، إن كنتم تظنون بأنها هذه هي النهاية فأنتم واهمون، فإنْ رحل ليل اليوم، سيأتِ بعده ليل آخر... وآخر... وآخر، سحقاً لكم جميعكم".

شدوا حبل الإعدام على رقبته، وانتظروا أمر قائد الجيش لكي يبدؤوا عقوبة الإعدام، لأول مرة بدأت تتحول عيون - ليل - إلى نظرات خائفة ومستسلمة. نظر إلى جميع الناس الموجودين، ولمح أخاه - نهاراً - يراقبه بنظرات مكسورة من البعيد، ابتسم - ليل - له وغمزَ بعينيه وكأنه الوداع الأخير. بإشارة من يد قائد الجيش تمَّ شنق الساحر - ليل - وسط دهشة الناس من فظاعة المنظر.

أغمض - نهار - عينيه، وقال هامساً:

"الوداع يا أخي... أتمنى أن يغفر لكَ الخالق".

بعد مرور عشر سنوات!

يجلس - نهار- في غرفة المكتب الخاصة به، الممتلئة بالكتب الروحانية والأوراق التي فيها طلبات الصوصافيين له. لقد مرت عليه عشر سنوات وهو يخدمهم، لم يشعرهم قط بأنه الرجل الأوحد في عالم الصوصافيين في أرض جنة الصوصافيين. كان خير صديق لهم، ولم يبخل أبداً في مساعدة أي محتاج. خلال فترة وجوده اختفت المشاكل عند سكان المدينة، ولم يواجه كثيراً من التدخلات السفلية. الجميع عرفوا مكانه وعرفوا مقداره، فالعلم العلوي دائماً ما ينتصر على السفلي.

نظر - نهار - إلى نفسه عبر المرايا، ورأى بأن الشيب قد غزا شعره بالكامل. قال بينه وبين نفسه بأنَّ الزمنَ قاسٍ جداً، وأن الهموم تستطيع أن تجعل منظرَكَ يبدو أكبر من عمرك الحقيقي.

فُتح باب الغرفة ودخل طفلٌ في التاسعة من عمره راكضاً إلى حضن نهار، فاحتضنه وقبّله وقال له ممازحاً:

"كيف حالكَ يا بطل؟ قل لي ماذا فعلتَ اليوم في المدرسة؟".

كان الطفل بريء الوجه، ذا شعر أسود داكن، عيونه جميلة جداً وواسعة، ولديه فم صغير يكاد لا يُرى:

"أنا لا أريد أن أذهب إلى المدرسة... لا أحبها!".

"ولماذا تقول ذلك؟ ما الذي حدث؟ تكلم!".

"أصدقائي يتنمّرون عليّ يا أبي، إنهم يجرحونني".

"وماذا يقولون لك؟".

"يقولون بأني أحملُ اسماً غريباً جداً، ودائماً ما يتنمّرون عليّ بسببه".

ضحك الأب، وأجلسَ الابن على الكرسي الذي أمامه وقال له:

"اسمك جميل يا فتى، ومن يتنمّر عليك بسببه لا يفقه شيئاً

أبداً".

"لا يا أبي، اسمي غريبٌ جداً، ترى ماهي حكايته؟".

فُتح الباب مرة أخرى، ودخلت منه امرأة جميلة جداً، شعرها أبيض اللون، يغزوه الشيب، فقالت مبتسمة:

"ماذا بكَ يا صوصاف؟ لماذا تزعج والدك؟".

نهض - نهار - وأمسكَ بيد زوجته - هاميس - وقبّلها، ومن ثم قال:

"ابنك لا يعجبه اسمه يا هاميس، يريد أن يعرف ماهي حكاية صوصاف".

ضحكت الأم، ومن ثم قالت وهي تنظر إلى عيون زوجها:

"صوصاف، وما أدراك ما صوصاف، هي حكاية تاريخية يملؤها الحب والتضحيات، هي عشق وملذات، انتكاسات وبعدها انتصارات وهيبة وجاه، دع والدك يحكي لنا قصة صوصاف يا ولدي".

جلسوا ثلاثتهم على الأرض، وحضنَ - نهار - ابنه الصغير، ونظر إلى زوجته - هاميس - نظرة كلها حب وهيام، ومن ثم قال:

"دعنا نبدأ قصتنا يا فتى، صوصاف وحزب الصوصافيين، وإن كنا نريد أن نذكر أهم شيء في القصة فسنقول أولاً بأنّ الصوصافيين يمرضون، ولكنهم لا يموتون".

النهاية

تمت

صوصافيون3

2 يناير 2021

محمد جمال

صوصافيون

وريث الصوصاف

تُقذف سهام الاتهامات للصوصافيون لتعاملهم بالسحر الأسود ونشر الرعب بين البشر، فتُشكل القادة السياسية حكومة جديدة أهم اهدافها: طمس العلوم الصوصافية ومعاقبة من ينبعث بخوره الروحاني إلى سماء البلدة.

ملحمة علوية...سفلية بمساعدة قوة حكومية سحرية تبعثر أوراق رئيس حزب الصوصافيون - صوصاف - فتجعله يرسم خطة قاسية جدا لتحرير أبناء قومه من قبضة سحرة السفليين.

هي حكاية الليل والنهار...البناء والدمار، ترى ما الذي جعل رئيس الصوصافيون يعلن استسلامه بسهولة؟ ومن هو ذاك الوريث المنتظر؟ وهل هو موجود بالفعل، أم انه املا واهم تم زرعه من بعد هزيمة الصوصافيون.

محمد جمال

m_j89

Mohammed89jamal

mayaj89




بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND

bookland.kw bookland.kw www.booklandkw.com